زهر الآداب

وثمر الألباب

لأبي إسحق الحصري القيرواني

مفصل ومضبوط ومشروح

بقلم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

صفات الطعام

ألفاظ لأهل العصر فى صفات الطعام ومقدماته وموائده وآلاته

أفرش طعامك اسم الله ، وألحفه حمد الله ، لا يطيب حضور الخوان ، إلا مع الاخوان ، البخل بالطَّعام ، من أخلاق الطَّغام ، الكريم لا يُحْظِر ، تقديم ما يحضر قد قامت خطباء القدور ، قدورٌ أبكار ، بخواتم النار ، قد طار عَرفها ، وطاب غرفها ، دهماء تهدر كالفنيق [1] ، وتفوح كالمسك الفتيق . مائدة كدارة البدر ، تباعد بين أنفاس الجلاس ، مائدة مثل عروس ، مائدة لطيفة ، محفوفة بكل طريفة ، مائدة تشتمل على بدائع المأكولات ، وغرائب الطيبات ، مائدة كأنما عملها صُناع صنعاء ، تجمع بين أنواع الربيع ، وثمار الخريف

وقال الجماز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العُفاة ! وذم آخر رجلا فقال : لا يحضر مائدته إلا أكرم الخلق ، وألأمهم ، يريد الملائكة والذباب

وقال ابن الحجاج لرجل دعاه وأخَّر الطعام

قد جُنّ أصحابك من جوعهمْ * فاقرأ عليهم سورة المائدة

ولبعض أهل العصر يذم رجلا

خِوانٌ لا يُلِمُّ به ضيوفٌ * وعِرض مثل منديلِ الخوانِ

رغفان كالبدور الممنطقة بالنجوم ، حَمَل ذهبيّ الدِّثار ، فضيّ الشعار ، أطيب ما يكون الحمل ، اذا حلت الشمس الحمل ، جدى كأنما نُدِف على جبينه القزّ ،

---

(١) الفنيق . الفحل الهائج

زيرباجة ، هى للمائدة ديباجة ، تشفى السقام ، ولونها لون السقيم ، سكباجة تفتق الشهوة ، وأسفيذباجة تغزو القرم ، وطباهجة يتفكه بها ، وخبيص يختم بخير ، طباهجة من شرط الملوك ، كاعراف الديوك ، وقليّة كالعود المَطْرِى ، مغمومة تفرج غم الجائع ، هريسة نفيسة ، كانها خيوط قز مشتبكة ، كأن المُرِّى عليها عصارة المسك ، على سبيكة الفضة ، ارزة ملبونة ، فى السكر مدفونة ، شواء رشراش ، وفالوذج رجراج ، طباهجة تغذى ، وفالوذجة تعزى ، واسفيذباجة تصفع قفا الجوع ، لافراش للنبيذ ، كالحمل الحنيذ ، دجاجة سميطة ، لها من الفضة جسم ، ومن الذهب قشرة ، دجاجة دينارية ثمنا ولونا[1]

وهذا محلول من قول على بن العباس الرومى يصف طعاماً أكله عند أبى بكر الباقطانى

وسميطة صفراء دينارية * ثمناً ولوناً زفها لك حَزْوَرُ[2]

عظمت فكادت أن تكون أوِزَّةً * وغلت فكاد إهابها يتفطّرُ

طفقت تجود بذوبها جوذابة * فأتى لباب اللوز فيها السكرُ

ظلنا نقشّر جلدها عن لحمها * فكأن تبرا عن لجين يُقْشرُ

وتقدّمتها قبل ذاك ثرائدٌ * مثل الرياض بمثل ذاك تصدّر

ومرقّقات كلهنّ مزخرفٌ * بالبيض منها مُلْبَس ومدثّرُ

وأتت قطائف بعد ذاك لطائفٌ * ترضى اللّهاةُ بها ويرضى الحنجر

ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها * دمع العيان من الدهان يُعَصَّرُ

---

(١) تلك أسماء الاطعمة التى كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن . لان للاطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها تركية وفرنسوية (٢) الحزور : السريع الى اكرام الضيف

المقامة البغدادية

قال البديع حدثنى عيسى بن هشام قال : اشتهيت الأزاذ ، وأنا ببغداذ (١) وليس معى عَقْد ، على نَقْد (٢) فخرجت أنهز محالّه ، حتى أحلنى الكرخ (٣) فاذا أنا بسوادىّ يحدو بالجَهْدِ حماره ، ويطرّف بالعقد إزاره (٤) فقلت ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد ! من أين أقبلت ، وأين نزلت ، ومتى وافيت ، فهلم الى البيت . فقال السوادى : لست بأبى زيد ، وانما أنا أبوعبيد ! فقلت نعم لعن الله الشيطان ، وأبعد النسيان ، أنسانى طول العهد بك ، كيف أبوك ، أشابٌّ كعهدى أم شاب بعدى (٥) قال قد نبت المرعى على دِمْنته ، وأرجو أن يصيِّره الله الى جنته ، (٦) فقلت انا لله ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار ، الى الصِّدار (٧) أريد تمزيقه ، وأحاول تخريقه (٨) فقبض السوادى على خصرى بجمعه (٩) وقال : نشدتك بالله لا مزقته ، فقلت فهلم الى البيت نصب غداء ، أو الى السوق نشترى شواء ، والسوق أقرب ، وطعامه أطيب ، فاستفزته حُمَةُ القَرَم (١٠) وعطفته عطفة النَّهِم ، وطمع ، ولم يعلم انه وقع ، ثم أتيت شوّاء يتقاطر شواؤه عرقاً ، ويتسايل

---

(١) الازاذ : من أجود أنواع التمر ، و بغداذ : هى بغداد (٢) ليس معى عقد على نقد : أى ليس معى نقود يعقد عليها الكيس والثوب (٣) المحال : جمع محل ، والكرخ فى الجانب الغربى من بغداد (٤) السوادى : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً لاكتساء أرضه بالخضرة — يطرف بالعقد إزاره : أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر (٥) كعهدى : أى كعهدى به حين عرفته (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة الا حين يبعد عهدها بالخراب ، يريد ان أباه مات منذ زمن طويل (٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قميص صغير يلى البدن (٨) يريد انه هم بتمزيق ثوبه من الحزن ؛ (٩) جمع الكف ، بضم الجيم ، قبضته (١٠) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم شدة الشهوة الى اللحم

جُوذَابُه مرقاً [١] فقلت أبرز لأبى زيدمن هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء ، واخترمن تلك الاطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئاً من ماء السُّماق [٢] ليأكله أبو زيد هنيـا. فأنحى الشواء بساطوره ، على زبدة تنوره [٣] فجعلهـا كالـكحل سحقاً ، وكالطحين دقاً ، ثم جلس وجلست ، ولا نبس ولا نبست ، حتى استوفيناه ، وقلت لصاحب الحلواء :زن لأبى زيد من اللوزينج رطلين [٤] فانه أجرى فى الحلوق ، وأسرى فى المروق ، وليكن ليلىّ العُمْر، يومىّ النشر [٥] رقيق القشر، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن، كوكبى اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، ليأكله أبو زيد هنيا ، فوزنه . ثم قعد وقعدت ، وجرد وجرّدت [٦] واستوفيناه ،ثم قلت يا أبا زيدما أحوجنا الى ماء يشعشع بالثلج ، ليقمع هذه الصارّة [٧] ويفثأ هذه اللقم الحارة ، [٨] اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء ، يحيينا بشربة من من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراه ولا يراني ، أنظر ما يُصنع به . فلما أبطأت عليه قام السوادى الى حماره ، فاعتلق الشوّاء بازاره . وقال أين ثمن ما أكلت ؟ قال ما أكلته إلا ضيفاً ! قال الشواء هاك وآك ، متى دعوناك ، زن يا أخا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين !فجعل السوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ، ويحل عقد بأسنانه ، ويقول كم قلت لذلك القُرَيْد ، أنا أبوعبيد وهو يقول أنت أبو زيد ! فأنشدت :

اعمل لرزقك كل آلة لا تقعدنّ بذُلّ حاله
وانهض بكل عزيمـةٍ فالمرء يعجز لا المحالة

(١) الجوذاب خبز يوضع فى التنور ومعه طائر أولحم (٢) السماق حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان (٣) الساطور :آلة يقطع بها الجزار اللحم (٤) اللوز ينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ويسقى بدهن اللوز ، ويحشى بالجوز (٥) ليلى العمر : صنع من ليلته ، ويومى النشر: نشر فى يومه (٦) جردوجردت : يريدان كلامنهما جرد ثيابه استعدادا للمائدة (٧) الصارة: العطش (٨) يفثأ : يسكن

وصف القطائف

ومن مليح ماقيل فى القطائف قول بن يحيى بن أبى منصور المنجم

قطائف قد حشيت باللوزِ والسكر الماذِىّ حشو الموزِ (١)
يسبح فى آذِىّ دُهن الجوزِ سررت لما وقعت فى حَوْزى
سرور عباسٍ بقرب فوزِ (٢)

ومن ألفاظ أهل العصر فى الحلواء :فالوذج بلباب البُرّ ، ولُعاب النحل ، كأن اللوز فيه كواكب در ، فى سماء عقيق . ولم يقل أحد فى صفة اللوزينج أحسن من قول بن الرومى

لا يخطئنّى منك لوزِينَجٌ * اذا بدا أعجب أو عجّبا
لو شاء أن يذهب فى صخرةٍ * لسهّل الطيب له مذهباً
لم تغلق الشهوة أبوابها * إلا أبت زلفاه أن يُحْجَبَا
يدور بالنفحة فى جامِهِ * دوراً ترى الدّهن له لولباً
عاون فيه منظرٌ مخبراً * مستحسَنٌ ساعد مُستعذَبا
مستكثف الحشو ولكنهُ * أرقُّ جلداً من نسيم الصبا
كأنما قدَّت جلابيبهُ * من نقطة القطر اذا حُبِّبا
يخال من رقة خِرشائهِ * شارك فى الأجنحة الجندُبا (٣)
لو أنه صُوِّرَ من خبزهِ * ثغراً لكان الواضح الأشنبا (٤)
من كل بيضاء يود الفتى * أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاءُ مدقوقةٌ * صهباء تحكى الأزرق الأشهبا

---

(١) الماذى: العسل — الآذى: الموج (٢) فوز : هى معشوقة العباس بن الاحنف
(٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الاشنب : من الشنب وهو رقة وبرد وعذوبة فى الاسنان

قرة عين وفم حُسِّنتْ * وطِيِّبت حتى صبا من صبا
دِيف له اللوز فما مرةً * مرت على الذائق إلا أبا (١)
وانتقد السكر نقادهُ * وشاوروا فى نقده المذهبا
فلا اذا العين رأته نَبَتْ * ولا اذا الضّرس علاه نَبَا
لا تنكروا الإدلال من وامقٍ * وجه تلقّى بكمَ المطلبا

هذه الابيات يقولها فى قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد ابن عبد الله بن بشر المرثدى ويهنيه بابن ولده وأولها

شمس وبدر ولدا كوكبا * أقسمت بالله لقد أنجبا

قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم دخلت على ابى الحسن وهو يعمل هذه القصيدة فقلت لو تفاءلت فيها لابى العباس بسبعة من الولد لأن أبا العباس معكوساً سابع لجاء المعنى ظريفاً فقال

وقد تفاءلت له زاجراً * كنيتهُ لا زاجراً ثعلباً
انى تأملت له كنيةً * اذا بدا مقلوبها أعجبا
يصوغها العكس أبا سابع * لا كذب الله ولا خيَّبا
بل ذاك فالٌ ضامنٌ سبعةً * مثل الصقور استشرفت مرقبا
يأتون من صلب فتى ماجدٍ * وذاك فالٌ لم يعد معطبا
وقد أتي منهم لهُ واحدٌ * فلننتظرهم ستة غُبَّا
فى مدة تغمرها نعمةٌ * يجعلها الله له ترتبا
حتى نراه جالساً بينهم * أجلّ من رَضوى ومن كبكبا
كالبدر وافى الارض من نورهِ * بين نجوم سبعة فاجتبا
ولْيُشكر الناجم عن هذهِ * فانها من بعض مابوّبا
سدّى وألحمتُ أخٌ لم أزلْ * أشكر ماأسدى وما سبّبا

(١) ديف : من الدوف وهو الخلط

نهم ابن الرومى

وكان ابن الرومى منهوما فى المآكل ، وهى التى قتلته ، وكان معجبا بالسمك فوعده أبو العباس المرثدى أن يبعث اليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ، فبعث اليه يوم سبت ثم قطعه ، فقال

مالحيتاننا جَفَتنا وأنّى * أخلف الزائرون منتظريهمْ
جاء فى السبت زَوْرهم فأتينا * من حفاظٍ عليه ما يكفيهم (١)
وجعلناه يوم عيد عظيمٍ * فكأنا اليهود أو نحكيهم
وأراهم مصممين على الهجـ ـــرفلمْ يُسخطون من يُرضيهم
قد سبتنا وما أتتنا وكانوا * يوم لا يسبتون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فكتب الى ابن الرومى

أبا حسنٍ أنت من لا تزا * ل نحمد فى الفضل رجحانه
فكم تحسن الظنّ بالمرثدىّ * وقد قلّل الله إحسانَهْ
ألم تدر أن الفتى كالسراب * اذا وعد الوعد إخوانَهْ
فبحر السراب يفوت القلوب * فقل فى طِلابك حيتانَهْ

وخرج ابن الرومى الى بعض المتنزهات وقصدوا كرما رازقيا فشربوا هناك عامة يومهم، وكانوا يتهمونه فى شعره، فقالوا ان كان ما تنشدنا لك فقل فى هذا شيئا، فقال لا تريموا حتى أقول فيه وأنشدهم لوقته

وراز قىّ مخطَفِ الخصُورِ * كأنه مخازن البلّورِ
قد ضمّنت مسكا الى الشطورِ * وفى الأعالى ماء وردٍ جورى
بلا فريد وبلا شذُورٍ * له مَذاق العسل المشورِ

(١) الزور : الضيف

وبَرْدُ مسِّ الخصِرِ المقرورِ * ونكهة المسك مع الكافورِ
ورقة الماء على الصدورِ * باكرته والطير فى الوكور
بفتية من ولد المنصورِ * أملأ للعين من البُدُورِ
حتى أتينا خيمة الناطور * قبل ارتفاع الشمس للذرورِ
فانحط كالطاوى من الصقور * بطاعة الراغب لا المقهور
والحر عبد الحلَبِ المشطورِ * حتى أتانا بضُروعٍ حُورِ
مملوءةٍ من عسل محصورِ * والطلُّ مثل اللؤلؤ المنثورِ
ثم جلسنا جلسة المحبورِ * بين حفافَىْ جدول مسجورِ
أبيض مثل المُهْرَق المنشورِ * أو مثل متن المنْصُل المشهورِ
ينساب مثل الحية المذعورِ * بين سِمَاطَىْ شجرٍ مسطورِ
ناهيك للعقود من ظهورِ * فنيلت الأوطار فى سرور
وكل ما يقضى من الأمور * تَعِلَّةٌ من يومنا المنظورِ
وُمتْعَةٌ من مُتَعِ الغرورِ

صفات الفواكه والثمار

(ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر فى صفات الفواكه والثمار)

كرْم نُسلفه الماء القراح ، ويقضينا أمهات الراح ، عنقود كالثريا ، وعنب كمخازن البلور ، وضروب النور ، وأوعية السرور . أمهات الرحيق ، فى مخازن العقيق ، نحل نسلفه الماء ، ويقضينا العسل ، رطب كأنها شهدة بالعقيق مقنّعة ، وبالعقيان مقمَّعة ، رمان كأنه صُرَر الياقوت الأحمر ، سفرجل يجمع طيبا ، ومنظرا حسنا عجيبا ، كأنه زِئبر الخز الأغبر ، على الديباج الأصفر ، تفاح نفَّاح ، يجمع وصف العاشق الوجِل ، والمعشوق الخجل ، له نسيم العبير ، وطعم السكر ، رسول المحب ، وشبيه الحبيب ، تين كأنه سُفَر مضمومة على عسل ، مشمش كأنه الشهد فى بيادق الذهب

وصف الليل

قال بعض الرواة أنشدت أعرابيا قول جرير بن عطية بن الخَطَفى

أبُدِّل الليل لا تسرى كواكبهُ * أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال هذا حسن فى معناه ، وأعوذ بالله من مثله ، ولـكنى أنشدك فى ضده من قولى وأنشدنى

وليلٍ لم يقصِّره رقادٌ * وقصَّر طُوله وصلُ الحبيبِ

نعيم الحب أورق فيه حتى * تناولنا جَناهُ من قريب

بمجلس لذةٍ لم نقوَ فيهِ * على شكوى ولا عدّ الذنوبِ

بخلنا أن نقطّعه بلفظٍ * فترجمت العيون عن القلوب

فقلت له زدنى فما رأيت أظرف منك شعرا ، فقال أما هذا الباب فحسبك ، ولـكن أنشدك من غيره

وكنت إذا علِقْتُ حبال قومٍ * صحبتهُمُ وشيمتىَ الوفاءُ

فأحسِنُ حين يُحْسِنُ محسنوهم * وأجتنب الإساءة ان أساءوا

أشاء سوى مشيئتهم فآتى * مشيئتهم وأترك ما أشاء

خلف الاحمر

قال الاصمعى قرأت على أبى محذر خلف بن حيان الاحمر شعر جرير فلما بلغت إلى قوله

ويوم كابهام القطاة محبّبٍ * إلىّ صباه غالبٌ لىَ باطِلُهْ

رُزِقنا به الصيد العزيز ولم نكن * كمن نَبْلُهُ محرومةٌ وحبائِلُهْ

فيالك يومٌ خيره قبل شرِّهِ * تغيّبَ واشيهِ وأقصر عاذِلُهْ

فقال خلف :ويحه فما ينفعه خير يؤول إلى شرّ ؟ فقلت له كذا قرأته على

أبي عمرو بن العلاء .فقال لى وكذا قال جرير : وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ماسمع ، قلت فكيف كان يجب أن يكون ، قال الأجود أن يقول خيره دون شرّ ، فارود كذلك فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الأوائل ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا كذا

قصر الليل

ومن أجود ماقيل فى قِصَرِ الليل قول ابراهيم بن العباس

وليلةٍ من الليالى الغُرِّ * قابلت فيها بدرها ببدرى
لم تك غير شفَقٍ وفَجْرِ * حتى تقضّت وهى بِكر الدهر

وقال محمد بن احمد الاصبهانى فيما يتعلق بهذا المعنى وان كان فى ذكر النهار

كيف يُرْجى لمقلتىَّ هدُوٌّ * ورُقادى لطرف عينى عَدُوُّ
بأبى من نعمت منه بيومٍ * لم يزل للسرور فيه نُمُوُّ
يوم لهْوٍ قد التقى طرفاهُ * فكأنّ العشىّ فيه غُدُوُّ
إذ لشخص الرقيب فيه تناءٍ * ولبدر السماء منى دُنُوُّ

وقال ابن المعتز

يارب ليل سَحَرٌ كلّهُ * مفتضَح البدر عليل النسيم
تلتقط الأنفاس برد الندى * فيه فتهديه لِحَرّ الهموم
لا أعرف الإصباح لما بدا * فى ضوئه إلا بِسُكْر النديم
لبست فيه بالتذاذ الهوى * ولذة الراح ثياب النعيم

وصف منبج

أخذ قوله (سحر كله) من قول عبد الملك بن صالح بن على وقد قال له الرشيد لمادخل منبج: أهذا منزلك ؟ قال هو لك ، ولى بك يا أمير المؤمنين ، قال كيف بناؤه ؟ قال دون منازل أهلى، وفوق منازل الناس . قال وكيف ذلك وقدرك

فوق أقدارهم ؟ قال ذلك خُلُق أمير المؤمنين أتأسّى به ، وأقفو أثره ، وأحذو حذوه ، قال فكيف طِيب منبج ؟ قال : عذبة الماء، طيبة الهواء ، قليلة الادواء ، قال فكيف ليلها ؟ قال سحر كله ؟ وأخذ هذا الطائى فقال :

أيامنا مصقولةٌ أطرافها * بك والليالى كلها أسحارُ

ولأهل العصر : قال أبو على محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمى

يارب ليل سرور خلته قِصراً * كعارض البرق فى أفق الدجا بَرَقا
قد كاد يعثر أولاه بآخرِهِ * وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأنما طرفاه طرف اتفق الجفنا ن منه على الإطباق واقترقا

(ألفاظ فى هذا المعنى لاهل العصر) ليلة من حسنات الدهر ، هواؤها صحيح ، ونسيمها عليل ، ليلة كبُرد الشباب ، وبَرد الشراب ، ليلة من ليالى الشباب ، فضية الأديم ، مسكية النسيم ، ليلة هى لمعة العمر ، وغرة الدهر ، ليلة مسكية الاديم ، كافورية النجوم ، ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعودها ، وغابت عذالها ، ليلة كالمسك منظرها ومخبرها ، ليلة هى باكورة العمر ، وبِكر الدهر ، ليلة ظلماتها أنوار ، وطِوال أوقاتها قصار

سعيد بن هريم

كان سبب اتصال سعيد بن هُرَيْم لذى الرياستين الفضل ، وسمى ذا الرياستين لانه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون ، أنه دخل عليه يوماً فقال « الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخر الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة أخى القدرة ، وإنالم نصن وجوهنا عن سؤالك ، فصن وجهك عن ردنا ، وضعنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأميلك » فأمر أن يكتب كلامه وسماه سعيد الناطق ووصله المأمون فخص به ، فلحقته فى بعض الاوقات جفوة من الفضل فكتب اليه : « ياحافظ من يضع نفسه عنده ، وياذاكر من نسى نصيبه منه ، ليس كتابى إذا كتبت استبطاء ، وما إمساكى اذا أمسكت استغناء

فكتبت مذكرا لا مستقصراً فعلك » فوصله وأحسن اليه ، وقد روى بعض هذا الكلام المنسوب الى سعيد بن هريم لأبى حفص الكرمانى مع ذى الرياستين ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمى

لعمرك ما الأشراف فى كل بلدةٍ * وان عظموا للفضل الا صنائعُ
ترى عظماء الناس للفضل خُشّعا * اذا مابدا والفضل لله خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعةً * وكل جليل عنده متواضع

وقال ابراهيم بن العباس

لفضل بن سهلٍ يدٌ * تقاصرَ عنها المثلْ
فباطنها للندى * وظاهرها للقُبَل
وبسطتها للغنى * وسطوتها للأجل

أخذه ابن الرومى فقال لابراهيم بن المدبر

أصبحتُ بين ضراعة وتجمل * والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدد الىَّ يداً تعوّد بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وزاد فى هذا المعنى تشبيهاً ظريفاً

مُقبَّل ظهر الكف وهّاب بطنها * لها راحةٌ فيها الحطيم وزمزمُ
فظاهرها للناس ركن مقبَّلٌ * وباطنها عين من العرف عَيْلمُ(١)

ذو الرياستين

وكان ذو الرياستين يقبل صواب القائلين بما فى قوته من صفاء الغريزة ، وجودة النحيرة(٢) فهو كما قال أبو الطيب

ملكٌ مُنشد التقريض لَدَيْهِ * يضع الثوب فى يدَىْ بزّازِ

وكانت مخايل فضله ، ودلائل عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً البحر (٢) النحيرة : الطبيعة

المجوسية ، فقال له أسلم أجد السبيل الى اصطناعك ، قال فأسلم على يد المأمون ولم يزل فى جنبته ، الى أن رقى الى رتبته . وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء فأمر باحضاره فلما رآه أفحم فنظر الرشيد الى يحيى كالمستفهم ، فقال يا أمير المؤمنين إن من أدل دليل على فراهة المملوك أن تملك هيبة مولاه لسانه وقلبه ، فقال الرشيد : لئن كنت سكت لكى تقول هذا فقد أحسنت ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الحصر لقد أجدت ، وزاد فى إكرامه وتقريبه ، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شىء الا أجابه بأفصح لسان ، وأجود بيان

قال سهل بن هارون ومما حفظ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تخليده فى الكتب ليؤتم به ، وينتفع بمقول حكمته ، قوله : من ترك حقاً فقد غبن حظاً ، ومن قضى حقاً فقد أحرز غنما ، ومن أتى فضلا فقد أوجب شكراً ، ومن أحسن توكلا لم يعدم من الله صنعاً ، ومن ترك لله شيئاً لم يجد لما ترك فقداً ، ومن التمس بمعصية الله حمداً عاد ذلك على ملتمسه ذماً ، ومن طلب بخلاف الحق له دركاً عاد ما أدرك من ذلك له موبقاً ، وذلك أوجب الفلاح للمحسنين ، وجعل سوء العاقبة للمسيئين المقصرين .

قبح السعاية

ووقّع فى رقعة ساعٍ : نحن نرى قبول السعاية شرا منها ، لأن السِّعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شىء وأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه آثما ، إذ لم يحفظ الحرمة ، ويستر العورة ، والشىء يقرن مع جنسه

كتب محمد بن على الى محمد بن يحيى بن خالد ، وكان واليا على أرمينية للرشيد ، : إنّ قوما صاروا الى سبيل النصح فذكروا ضياعا بأرمينية قد عَفَت ودرست يرجع منها الى السلطان مال عظيم ، وإنى وقفت عن المطالبة حتى أعرف

رأيك . فكتب اليه قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها ، وسوق السعاية بحمد الله في أيامنا كاسدة ، وألسنة السعاة في أيامنا كليلة خاسئة ، فاذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما في ديوانك ، فإنّا لم نولك الناحية ، لنتبع الرسوم العافية ، ولا لإحياء الاعلام الداثرة ، وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قومٍ * رحلت بخزيةٍ وتركت عارا

وأجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، واعلم انها مدّة تنتهي ، وأيام تنقضي ، فاما ذكر جميل ، وإما خزي طويل

حزم المهدي

وقال رجل للمهدي : عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه ؟ لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟ قال لك يا أمير المؤمنين ، قال ليس الساعي بأعظم عورةً ولا أقبح حالاً ممن قبل سعايته ، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة ، فلا نشفي غيظك ، أو عدوّاً فلا نعاقب لك عدوك ! ثم أقبل على الناس فقال: لا ينصحْ لنا ناصح الا بما فيه لله رضى ، وللمسلمين صلاح ، فانما لنا الابدان وليس لنا القلوب ، ومن استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادانا طلبنا توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته . فاني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة ، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا ينعطف اذا استعطِف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر اذا ظفر ، ولا يرحم اذا استُرحم

ووقع ذو الرياستين الى تميم بن خزيمة : الأمور بتمامها ، والاعمال بخواتمها ، والصنائع باستدامتها ، والى الغاية يجري الجواد ، فهناك كشفت الخبرة قِناع الشك ، فحمد السابق ، وذم الساقط — وذو الرياستين هو القائل

أنضيتِ أحرف لا مما لفظت بها * فحوّلي رحلها عنا الى نَعَمِ
أو صيّريها الينا منك منعمةً * إن كنت حاولت فيها خِفة الكلم
قسّم علينا فعارضنا قياسَكُمُ * يا أحسن الناس من قرن الى قَدَم

بكاء ذى الرياستين

ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمّه فقال لا تجزعى فانى ابنك بعد ابنك . فقالت أفلا أبكى على ابن أكسبنى ابناً مثلك ؟

وصف فرس

ووصف ابن الفريّة فرساً أهداه الحجاج الى عبد الملك بن مروان فقال : حسن القدّ ، أسيل الخد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف . وأهدى عبد الله ابن طاهر الى المأمون فرساً وكتب اليه : قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب فى الصَّعْداء ، ويجاوز الظباء فى الاستواء ، ويسبق فى الحدور جرى الماء ، فهو كما قال تأبط شرا

ويسبق وفد الريح من حيث تَنْتَحى * بمنخرق من شدِّه المتدارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لى فرسا جيد القميص ، حسن الفصوص وثيق القصب ، نقىّ العصب ، يشير بأذنيه ، ويندِس برجليه[1] ، كأنه موج فى لجة ، أو سيل فى حدور . جمع محمد بن الحسين هذين الكلامين وزاد فقال يصف فرساً : هو حسن القميص ، جيد الفصوص ، وثيق القصب ، نقى العصب ، يبصر بأذنيه ، ويتبوّع بيديه[2] ، ويداخل برجليه ، كأنه موج فى لجة أو سيل فى حدور ، يناهب المشى قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب فى الصعداء ويجاوز جوازى الظباء فى الاستواء ، ويسبق فى الحدور جرى الماء ، إن عطف جار ، وإن أرسل طار ، وان كلف السير أمعن وسار ، وان حبس صفِن[3] ، وان استوقف فطن ، وان رعى أبن[4] فهو كما قال تأبط شرًّا وذكر البيت

---

(١) يندس : يضرب (٢) التبوع : ابعاد خطو الفرس فى جريه (٣) صفن الفرس قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٤) أبن : قوى

شمس بن مالك

وأول هذه الابيات

وانى لمهدٍ من ثنائى فقاصدٌ * به لابن عم الصدق شمس بن مالكِ
أهزّ به فى ندوة الحى عِطفهُ * كما هز عطفى باهِجان الأوارِكِ (١)
قليل التشكى للملم يصيبهُ * كثير الهوى شتّى النوى والمسالكِ
يظل بِمَوْماةٍ ويمسى بغيرها * جحيشاً ويعرورى ظهور المهالك (٢)
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى * بمنخرق من شدّه المتدارك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئٌ من قلب شيحانَ فاتكِ (٣)
اذا طلعت أولى العدوّ فنفرةٌ * الى سَلّةٍ من صارم العزم فاتكِ
ويجعل عينيه ربيئة قلبهِ * الى ضربة من حد أخلق صائِكِ (٤)
اذا هزه فى عظم قرن تهللتْ * نواجذ أفواه المنايا الضواحكِ
يرى الوحشة الأُنس الأَنيس ويهتدى * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك (٥)

خيل مصر

وأهدى عمرو بن العاص الى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر فعرضت عليه وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثى فقال له معاوية : كيف ترى هداياانا يا أبا سعيد، فان أخاك عَمْراً قد أطنب فى وصفها ؟ فقال أراها يا أمير المؤمنين

---

(١) الندوة : المجتمع — والهجان : الابل الكريمة ، والاوراك : راعية الأراك (٢) الموماة : المفازة ينعدم فيها الماء ، — جحيش : منفرد — يعرورى : يركب على العرى . يريد أنه يركب ظهور المهالك بلاسرج وهو تعبير بدوى (٣) الكالىء : الحافظ — والشيحان : الحازم ، يريد ان قلبه يقظ وان نامت عينه (٤) الربيئة : الرقيب والصائك : القاطع (٥) أم النجوم الشوابك : هى الشمس

على ماءِ صف، وانها لمخيلة بكل خير ، انها لسامية العيون ، لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، قبّاء الاسنان[١] ضخام الركبات ، مشرفات الحجبات ، رحب المناخر صلاب الحوافر ، وقعها تحليل ، ورفعها تعليل [٢] فهذه ان طُلبت سبقت ، وان طلبت لحقت . قال له معاوية اصرفها الى رحلك فان بنا عنها غنى ، وبفتيانك اليها حاجة — وقال النابغة الجعدى

وإنّا أُناسٌ لانعوّد خيلنا * اذا ما التقينا أن تَحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا * من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا[٣]
فليس بمعروف لنا أن نردّها * صحاحاً ولا مستنكرٌ أن تعقّرا

وقال بعض العرب :

ولقد شهدت الخيل يوم طِرادها * بسليم أوظفة القوائم هيكلِ
فدعَوا : نزالِ! فكنت أول نازلٍ * وعلام أركبه اذا لم أنزلِ

صفات الخيل

ووصف اعرابى فرسا فقال : لما أرسلت الخيل جاؤا بشيطان فى أشطان ، فأرسلوه ، فلمع لمع البرق ، واستهل استهلال الودق ، فكان أقربهم اليه ، الذى يقع عينه من بعد عليه — وذكر اعرابى رجلا فقال: عنده فرس طويل العِذار ، أمين العِثار ، فكنت اذا رأيته عليه ظننته بازيا على مربأ ، عليه رمح طويل يقصر به الآجال . وقال بعض المحدثين فى هذا التطابق

لقيناهم بأرماح طوالٍ * تبشرهم بأعمارٍ قِصارِ

ووصف اعرابى خيلا لبنى يربوع فقال : خرجت علينا خيل من مستطير نقع ، كأن هواديها أعلام ، وآذانها أقلام ، وفرسانها أسود آجام

ولما أنشد العمانى الرشيد يصف فرسا

---

(١) قباء : لها صرير (٢) التحليل والتعليل من حركات الخيل (٣) الجون الاسود

كأنّ أذنيه اذا تشوفا * قادمةً أو قلماً محرفا

ولحن فهم ذلك أكثر من حضر ، فقال الرشيد اجعل مكان كأن تخال فعجبوا لسرعة بديهته

وللطائيين فى هذا النوع أشعار كثيرة منعنى من اختيارها ، كثرة اشتهارها وسأنشد بعض ذلك . قال أبو تمام

ما مقرَب يختال فى أشطانهِ * ملآن من صلف به وتلهُوقِ (١)
بحوافر حُفرٍ وصلت أصلتٍ * وأشاعر شُعْرٌ وخلق أخلق
ذو أولقٍ تحت العجاج وانما * من صحة إفراط ذاك الأولق (٢)
صافى الأديم كأنما ألبسته * من سندسٍ بُرْداً ومن استبرقِ
إمْليسةٌ إمليدةٌ لو علِقت * فى صهوتيه العين لم تتعلقِ
مسودّ شطرٍ مثل ماا سودّ الدجى * مبيض شطرٍ كابيضاض المهرَقِ (٣)

وقال أبو عبادة :

وأغرّ فى الزمن البهيم محجَّلٍ * قد رحت منه على أغرَّ محجّلِ (٤)
وافى الضلوع يشد عقد حزامهِ * يوم اللقاء على مُعِمٍّ مخولِ
يهوِى كما هوت العقاب اذا رأت * صيداً وينتصب انتصاب الاجدلِ (٥)
متوحّشٌ بدقيقتين كانما * تريان من ورق عليه موصَّلِ (٦)
كالرائح النشوان أكثر مشيهِ * عرض على السَّنَنِ البعيد الاطولِ
ويظنّ ريعان الشباب يروعهُ * من نشوةٍ أو جنة أو أفكل (٧)
هَزِجَ الصهيل كأن فى نَبَرَاتهِ * نغماتِ معبَدَ فى الثقيل الاوّلِ

---

(١) المقرب والمقربة ، على صيغة المفعول ، الفرس التى تدنى وتقرب لئلا يطرقها فحل لئيم (٢) الأولق : الجنون (٣) المهرق : الصحيفة (٤) البهيم : المظلم. الغرة والتحجيل بياض فى الجبهة والقوائم ، والاغر المحجل هو الفرس وهو كذلك الرجل الكريم (٥) الأجدل : الصقر (٦) الدقيقتان : صفة للساقين (٧) الافكل : الرعدة

تتوهم الجوزاء فى أرساغهِ * والبدر غُرة وجهـه المتهللِ
صافى الأديم كأنما عُنيت لَهُ * بصفاءِ نقبته مداوك صيقل (١)
وكأنما كُسِىَ الخدودَ نواعما * مهما تلاحظها بلحظ يخجلِ
وكأنما نفضت عليـه صِبغْها * صهباءُ للبَرَدانِ أو قطربُّلِ
ملك العيون فان بدا أعطينهُ * نظر المحب الى الحبيب المقبلِ

وقال اسحاق بن خلف النهروانى لأبى دلف وكان له فرس أدهم يسميه غرابا

كم كم تجرّعه المنون ويسلمُ * لو يستطيع شكى اليك له الفمُ
من كل منبت شعرة من جلده * خط ينمّقه الحسام المِخْذَمُ (٢)
ماتدرك الأرواح أدنى جريهِ * حتى يفوتَ الريح وهو مقدَّمُ
رجعته أطراف الأسنة أشقراً * واللون أدهم حين ضرّجه الدمُ
وكأنما عقد النجوم بطرفهِ * وكأنه بُعرَى المجرَّة مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب

جفتنى كأنى لست أنطَقَ قَوْمها * وأطعَنَهُمْ والشُّهْبُ فى صُوَرِ الدُّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم

قد راح تحت الصبح ليل مظلمٌ * اذ لاح فى السرج المحلَّى الأدهمُ
ديباج ألوان الجياد ولم يكن * ليُخص بالديباج الا الأكرمُ
ضحك اللجين على سواد أديمه * وكذا الظلام تنير فيه الأنجمُ
فكأنه بينات نعشَ ملبَّبٌ * وكأنما هو بالثريَّا مُلجَمُ

قلت هذا من قول ابن المعتز

ألا فاسقيانى والظلام مقوَّضٌ * ونجم الدجا تحت المغارب يركضُ
كأن الثريا فى أواخر ليلها * تفتّحُ نَوْرٍ أو لجامٌ مفضَّضُ

---

(١) مداوك الصيقل : أدوات كالهاون ونحوه (٢) المخذم القاطع

وقال أبو الفتح

من شكّ فى فضل الكميت فبينهُ * فيه وبين يقينه المِضمارُ
فى منظر مستحسَنٍ محمودةٍ * أخباره إذ تبتلى الاخبارُ
ماءٌ تدفَّق طاعةً وسلاسةً * فاذا استدرَّ الحُضْرُ فيه فنارُ
واذا عطفت به على ناورده * لتديره فكأنه بركارُ
وصف الخَلوق أديمه فكانما * أهدى الخلوقَ لجلده عطَّارُ(١)
قصرت قلادة نحرهِ وعذارهِ * والرسغ وهى من العِتاق قِصارُ
وكأنما هاديه جذعٌ مُشرَفٌ * وكأنما للضبع فيه وِجارُ(٢)
يرد الضّحاضحَ غير ثانى سُنبكٍ * ويرود طرفك خلفه فتحارُ(٣)
لو لم تكن للخيل نسبةٌ خلقهِ * حاكته من أشكالها الأطيارُ

وقال ابن المعتز

وخيل طواها القَوْدُ حتى كأنها * أنابيبُ سُمْرٌ من قنا الخط ذبّلُ
صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيدٍ سراع وأرجُلُ

قوله ظالمين من أبدع حشو جرى فى بيت ، وكأن ابن المعتز أشار إلى قول اعرابى مولد

وعَوْدٍ قليل الذنب عاودت ضربَهُ * اذا هاج شوقى من معاهدها ذِكْرُ(٤)
فقلت لهُ زلفاه ويحك سبّبت * لك الضرب فاصبر إنّ عادتك الصبرُ

وقال ابن المعتز

أراجعتى فداك بأعوجىّ * كقدح النبع فى الريش اللُّؤام(٥)
بأدهمَ كالظلام أغر يجلو * بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيهِ * صعود البرق فى جو الغمام

---

(١) الخلوق : نوع من الطيب (٢) هاديه : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء (٤) العود : البعير (٥) الاعوجى : الفرس الكريم — واللؤام : المحكم

وقال أيضاً

قد أغتدى والصبح كالمشيبِ * فى أفق مثل مَدَاك الطيبِ
بقارح مُسَوّم يعبوبِ * ذى أذن كخصوة العسيب(١)
أو آسةٍ أوفت على قضيبِ * يسبق شأو النظر الرحيب
أسرع من ماءٍ إلى تصويبِ * ومن رجوع لحظة المريبِ(٢)

وقال

ربَّ ركب عرّسوا ثم هبُّوا * نحو أسراج وشدّ رحال
وعدونا بأعنة خيل * تأكل الأرض بأيدٍ عجال
زينتْها غرر ضاحكات * كبدور فى وجوه ليال

وقال على بن محمد الإيادى

مسح الظلام بعرفه يدَهُ * ومشى فقبّل وجهَهُ البدرُ

وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد

أحوى عليه مسائحٌ من ليطةٍ * شُهْبٌ تسيل على نواشر ساقهِ
فكأنهُ متلفّع قبطيــةً * أثناؤها مشــدودة بنطاقهِ
فسواده كالليل فى إظلامهِ * وبياضه كالصبح فى إشراقهِ
صافى الاديم كريمةٌ أنسابهُ * أخلاقه عَينٌ على أعراقهِ

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى الى الأمير أبى الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال وقد زاره الأمير فى داره

لا زال مجدك للسماك رسـيلا * وعلوّ جدك بالخلود كفيلا(٣)
يا غرّة الزمن البهيم اذا غـدا * أهل العلى لزمانهـم تحجيلا
يا زائراً مـدّت سحائب طولهِ * ظلاًّ علىَّ من الجمـال ظليلا
وأتت بصوب جواهرٍ من لفظهِ * حتى انتظمن لمفرق إكليـلا

(١) القارح :الفرس القوى (٢) تصويب : انحدار (٣) رسيل :قرين

وكأنه فلكٌ اذا حرّ كتَهُ * جارٍ على سهل البلاد وحَزْنهِ
قد راح يحمل جعفر بن محمدٍ * حمل النسيم لوابلٍ من مُزْنهِ

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبى

ويوم كلون العاشقين كمنتهُ * أراقب فيه الشمس أيّان تغرب
وعينى إلى أذنَىْ أغرَّ كأنهُ * من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ
له فضلة عن جسمه فى اهابهِ * تجىء على صدر رحيبٍ وتذهب (١)
شققت به الظلماء أدنى عنانهُ * فيطغى وأرخيهِ مراراً فيلعبُ
وأصرع أىَّ الوحش قفّيتهُ بهِ * وأنزل عنه مثله حين أركب (٢)
وما الخيل الا كالصديق قليلةٌ * وان كثرت فى عين من لا يُجرِّب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيَّب (٣)

المقامة الحمدانية

وينخرط فى سلك هذا المعنى مقامة من مقامات الاسكندرى فى الكُدية مما أنشأه بديع الزمان وأملاه فى شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة (قال البديع)

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض عليه فرس متى ماتَرَقَّ العين فيه تسهَّل (٤) فلحظته الجماعة ، فقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صلته . فكل جَهد جَهْده ، وبذل ما عنده ، فقال أحد خدمه : أصلح الله الامير ، رأيت بالامس رجلا يطأ الفصاحة بنعليه (٥) ، وتقف الأبصار عليه ، يسلّى الناس ، ويشفى الباس ، ولو أمر الامير باحضاره ، لفضلهم بحضاره (٦) ، فقال سيف الدولة علىّ به فى هيئته ، فصار الخدم فى طلبه ، فجاؤا

---

(١) الاهاب : الجلد (٢) قفيته : اتبعته (٣) الشيات : المحاسن الظاهرة
(٤) يريد أن اعلاه وادناه مستويان فى الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من امرىء القيس (٥) كناية عن انقيادها له (٦) الحضار بكسر الحاء سرعة البديهة

للوقت به ، ولم يعلموه لأى حال دعى به ، ثمَّ قُرِّب واستُدنى ، وهو فى طِمرين قد أكل الدهر عليهماوشرب[١] ، وحين حضر السِّماط ، لثم البساط . ووقف. فقال سيف الدولة بلغتنا عنك عارضة [٢] فاعرضها فى هـذا الفرس وصِفه فقال أصلح الله الامير كيف به قبل ركوبه ووثوبه ، وكشف عيوبه ؟ فقال اركبه فركبه وأجراه ثم قال : أصلح الله الامير هو طويل الاذنين ، قليل الإثنين ، واسع المراث [٣] اين الثلاث ، غليظ الاكرُع [٤] غامض الاربع ، شديد النفَس ، لطيف الخمس ، ضيق القَلْت [٥] رقيق الست ، حديد السمع ، غليظ السبع ، رقيق اللسان ، عريض الثمان ، شديد الضِلع ، قصير التسع ، واسع النحر ، بعيد العشر ، يأخذ بالسانح ، ويطلق بالرامح ، ويطلع بلائح ، ويضحك عن قارح ، يحز وجه الكديد ، بمداق الحديد ، يُحضر كالبحر اذا ماج ، والسيل اذا هاج . فقال سيف الدولة لك الفرس مباركاً فيه ، فقال : لازلت تأخذ الأنفاس ، وتمنح الأفراس . ثم انصرف وتبعته وقلت لك علىّ مايليق بهذا الفرس من خِلعة ان فسرت ماوصفت ، فقال سل عما أحببت ، فقلت مامعنى قولك بعيد العشر ؟ فقال بعيد النظر ، والخطو ، وأعالى الجنبين ، وما بين الوقبين ، والجاعرتين ، وما بين الغرابين ، والمنخرين ، وما بين الرجلين ، وما بين النقبة والصفاق ، وبعيد القامة فى السباق. فقلت لافض فوك فما معنى قولك قصير التسع ؟ قال هاك :قصير الشعرة ، قصير الأطرة ، قصير العسيب ، قصير القضيب ، قصير العضدين ، قصير الرسغين ، قصير النسا ، قصير الظهر ، قصير الوظيف ، فقلت لله أنت فما معنى قولك عريض الثمان ؟ قال عريض الجبهة ، عريض الصهوة ، عريض الكتف ، عريض الجنب ، عريض الورك ، عريض العصب ، عريض البلدة ، عريض صفحة العنق ، فقلت أحسنت فما معنى قولك غليظ السبع ؟ قال غليظ الذراع ،

---

(١) الطمران : ثوبان باليان (٢) العارضة قوة البيان (٣) المراث : خوران الفرس (٤) الأكرع : جمع كراع وهو مادون الكعب (٥) القلت : البقرة فى رأس الورك

غليظ المحزم ، غليظ العكوة ، غليظ الشَّوَى ، غليظ الرُّسغ ، غليظ الفخذين ، غليظ الحبال ، فقلت لله درك فما معنى قولك رقيق الست ؟ فقال رقيق الجفن ، رقيق السالفة ، رقيق الجحفلة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق الغرضين فقلت أجدت فما معنى قولك لطيف الخمس ؟قال لطيف الزّور ، لطيف النسر ، لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة ، فقلت حياك الله فما معنى قولك غامض الاربع ؟قال غامض أعالى الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الحِجاجين ، غامض الشظا . قلت فما معنى قولك لين الثلاث ؟ قال لين المردعين ، لين الفرق ، لين العنان ، قلت فما معنى قولك قليل الاثنين ؟ قال قليل لحم الوجه ، قليل لحم المتنين ، قلت فمن أين نبات هذا العلم ؟ قال من الثغور الأموية ، وبلاد الاسكندرية فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ! فأنشأ يقول

ساخف زمانك جدًّا * فالدهر جِدٌّ سخيفِ
دع الحميَّة نِسْيًا * وعش بخيرٍ وريفِ
وقل لعبدك هـذا * يجيء لنا برغيفِ

سقط عنا تفسيره فى لين الثلاث ، وأكثر هذا التفسير يحتاج الى تفسير ، ولم يرد بما أورد إفهام العوام ، والبلاغة لمحة دالة ، وبلاغة النثر ، أخت بلاغة الشعر ، وقد قال البحترى

والشعر لمح تكفى إشارتهُ * وليس بالهذر طُوّلت خُطَبُهْ

تفسيرات لغوية

وسأقول فى شرحه بكلام وجيز زيادة فى الافادة ، الوقبان نقرتان فوق العينين ، والجاعرتان من الفرس موضع الرقمتين من الحمار ، وهما منتهى ضربه بذنبه اذا حركه ، والغرابان الناتئان من أعلى الوركين ، وذكر النقبة هنا ، وهو الذى يعرف بالمنقب ، وهو من السرة حيث ينقب البيطار ، والصفاق الخاصرة

وقد قيل جلد البطن كله صفاق ، والذى أراده الخاصرة. وأراد ببعد القامة فى السباق امتداده اذا جرى مع الأرض ، والأطرة هنا طرف الأبهر ، وهى طفطفة غليظة ، والأبهر عرق يستبطن الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل هو الاكحل ، والعسيب عظم الذنب ، والرسغ من الفرس موضع القيد ، والنسا عرق مستبطن الفخذين ، وقصره محمود فى جرى الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشى ، والوظيف لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق ، والصهوة الظهر ، والبلدة ما بين عينيه ، والعكوة مغرز الذنب ، والشوى الاطراف ، والحبال حبلا العاتق والظهر ، والجحفلة من ذوات الحافر هى الشفة من الانسان ، والغرضان من الفرس ما انحدر من قصبة الأنف من جانبيها ، والزور الصدر ، والنسر فى الحافر لحمة يابسة فى أسفله يشبهها الشعراء بالنوى ، والجبة التى فيها الحوشب والحوشب حشو الحافر ، والعجاية عظم فى قوائم الفرس والبعير مركب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرسغ ، والحجاجان العظمان المطيفان بالعين ، والشظا عظم لاحق بالذراع ، والمتنان جانبا الظهر ، وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة

أنجز حر ما وعد

قال الجاحظ قال أبو القاسم بن معن المسعودى لعيسى بن موسى : أيها الامير ما انتفعت بك منذ عرفتك ، ولا الى خير وصلت منك منذ صحبتك ، فقال ولم ؟ ألم أكلم لك أمير المؤمنين فى كذا وكذا ؟ قال بلى ! فهل استنجزت ماوعدت وعاودت ما ابتدأت ، فقال حالت دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة ، قال أيها الامير فما زدتنى على أن نبهت الهم من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، إن الوعد اذا لم يصحبه انجاز يحققه ، كان كلفظ لامعنى له ، وجسم لاروح فيه

وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد فى حاجة لرجل فقال عِدْه قضاءها . قال فقلت أصلحك الله ، وما يدعوك الى العِدة مع وجود القدرة ؟ فقال هذا قول

من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، ان الحاجة اذا لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها ، لم تتجاذب الأنفس سرورها ، إن الوعد تطعُّم والانجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته ، وتمطَّق به ، وتطعّمه ثم طعِمه ، فدع الحاجة تختم بالوعد ، ليكون بها عند المصطنع حسن موقع ، ولطف محل

ووعد المهدى عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى معرضاً بقول مضرّس الاسدى

فلا تيأسَنْ من صالح أن تنالهُ * وان كان قدماً بين أيد تبادرُهُ

فضحك المهدى وقال : ادفعوا الى عبدالله فلانة ، لجارية أخرى ، فقال عبدالله ابن مصعب

أنجز خير الناس قبل وعدِهْ * أراح من مَطْلٍ وطول كدّهْ

فقال ابن دأب ما قلت شيئاً ، هلاّ قلت

حلاوة الفضل بوعدٍ يُنْجزُ * لا خير فى العُرف كنهبٍ يُنهزُ

فقال المهدى

الوعد أحسن ما يكو * نُ اذا تقدَّمه ضمانُ

وقد قال أبو قابوس النصرانى يمدح يحيى بن خالد

رأيت يحيى أتم الله نعمتهُ * عليه يأتى الذى لم يأته أحدُ

ينسى الذى كان من معروفه أبداً * الى الرجال ولا ينسى الذى بَعِدُ

وقال أبو الطيب المتنبى

قومٌ بلوغ الغلام عندَهُمُ * طعن نحور الكماة لا الحلمُ

كأنما يولد الندى معهمْ * لا صِغَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمُ

اذا تولَّوا عداوةً كشفوا * وان تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادُهمُ * أنهمُ أنعموا وما علموا

ودخل أبو علىّ البصير على الفضل بن يحيى فأنشده

وُصِفَ الصدّ لمن أهوى فصدْ * وبدا يمزح بالهجر فجدّ
ماله يعدل عنى وجههُ * وهو لا يعدِلُهُ عندى أحَدْ
لا تريدوا غِرّة الفضل ومنْ * يطلب الغِرّة فى خِيس الاسد (١)
ملكٌ ندفع مانخشى بهِ * وبه نُصلح منا مافسد
ينجز الناس اذا ما وعدوا * واذا ما أنجز الفضل وعد

وقال ابن الرومى فى هذا المعنى

له مواعدُ بالخيرات بادِرَةٌ * لكنها تسبق الميعاد بالصفَدِ (٢)
يعطيك فى اليوم حق اليوم مبتدئاً * ولا يضيِّع بعد اليوم حق غدِ

المعرفة بقدر النعمة

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس من لم يعلم أبواب مدخله فى الكرامة وجهل طريقته التى وقعت به على النعمة ، كان بعرض رجوع الى دار هوان ، وانقلاب بفادح خسران . فقام اليه أبو وائلة السدوسى وهو حاجبه فقال : يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم شيئاً مذكورا ، ثم صرنا كما قال زهير

يد الملك الجليل تناولَتْهُمْ * باحسانٍ فليس لها مُزيلُ
لأن الخير أجمع فى يديهِ * وربى بالجزاء له كفيلُ

فقال سليمان هذه والله المعرفة بقدر النعمة ، والعلم بما يجب للمنعم (وروى) يونس بن المختار فى دار المأمون ومرتبته فى أعلى مراتب بنى العباس قاعدا على الارض ، فقال الحاجب ارتفع يا أبا المعلّى الى مرتبتك ، قال قد رفعنى الله اليها بأمير المؤمنين وليس لى عمل يفى بها ، فلم لا أكرمها عن القعود عنها الى أن يتهيأ لى الشكر عليها ؟ فبلغ الكلام المأمون فقال : هذا والله غاية الشكر ، وبمثله تدر النعم

(١) خيس الأسد : عرينه (٢) الصفد : العطاء

وقال رجل للمعلّى بن أيوب وقد رفعه المعتصم الى مرتبة أهل بيته ، ما يزيدك التقريب الا تباعدا ، فقال ياهذا انى أصون تقريبه اياى بتباعدى منه ، لئلا تفسد حرمتى عنده بقلة الشكر على نعمته (ولما) استعان المنصور بالحارث بن حسان قال له ياحارث انى قد مكنتك من حسن رأيى فيك ، فاحفظه بترك إغفال مايجب عليك ، قال يا أمير المؤمنين من أغفل سبب حلول النعمة ، ولها عن الحال التى أصارته اليها ، استصحب اليأس من نيل مثلها ، وانقطع رجاؤه من الزيادة فيها ، فقال أبو جعفر من كانت عنده هذه المعرفة دامت النعمة له ، وبقى الاحسان اليه (ولما) قال المأمون لعبد الله ابن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرنى الله منذ وليت الخلافة بشىء عظيم موقعه عندى ، بعد جميل عافية الله ، هو أكثر من سروزى بقدومك ، فقال عبد الله ائذن لى يا أمير المؤمنين فى تفريق أموالى من طارف وتالد ، قال ولم ؟ قال شكراً على هذه الكلمة ، والأقصر بى الحياء عن النظر الى أمير المؤمنين ، فقال المأمون لمن حضر من أهل بيته وقواده : ما شئ من الخلافة يفى لعبد الله ببعض شكره . وقال أبو نواس

قد قلت للعباس معتذراً * عن ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعماً * أوهت قُوى شكرى فقد ضعفا
فاليك منى اليوم تَقْدِمةً * تلقاك بالتصريح مكتشفا
لاتسدين الىّ عارفةً * حتى أقوم بشكر ما سلفا

عارضه الناشىء واعترض معناه فقال

إن أنت لم تحدث الىّ يداً * حتى أقوم بشكر ماسلفا
لم أحظ منك بنائلٍ أبداً * ورجعت بالحرمان منصرفا

وقال ابن الرومى

عاقنا أن نعود أنك أوليـ * ـتأموراً يضيق عنها الجزاء
غمرتنا منك الايادى اللواتى * ما لمعشارها لدينا كفاء

قهانا عنك الحياء طويلاً * ثم قد ردَّنا اليك الحياء
ولما حقّ إن قربت التنائى * ولما حق ان برزت الجفاء
غير أنا أنضاء شكر أريحتْ * وقديما أريحت الأنضاء (١)

العجز عن الشكر

(ألفاظ لأهل العصر فى العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر) عندى من بره ماملك الاعتذار بأزمته ، وقبض ألسنة أمراء الكلام وأئمته ، عندى له مبار أعجزنى شكرها ، كما أعوزنى حصرها ، شكره شأو بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلافى التفريط فى حقه بافراطى ، إحسانه يبيد العرب عجما ، والفصحاء بكما ، قد زحمنى من مكارمه ما يحصر عنه المبين ، ويصحبه العى و بِئس القرين . وقال اعرابى

رهنت يدى بالعجز عن شكر برهِ * وما فوق شكرى للشكور مزيدُ
ولو كان شيئا يستطاع استطعتهُ * ولكنّ مالا يُستطاع شديد

وقال يحيى بن أكثم : كنت عند المأمون فأتى برجل تُرعَد فرائصه ، فلما مثل بين يديه قال المأمون: كفرت نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال يا أمير المؤمنين وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك علىّ ، فنظر الىّ المأمون وقال متمثلا

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجدٌ * لرفعة قدر أو علو مكانِ
لما أمر الله العباد بشكرهِ * فقال اشكروالى أيها الثقلانِ

ثم التفت الى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد

ملكت حمدىَ حتى انى رجلٌ * كلى بكل ثناء فيك مشتغلُ
خولت شكرى لما خوّلت من نعمٍ * فحُر شكرى لما خولتنى خول (٢)

وقال أبو الفتح البستى

أمن عجزت عن شكر برك قوتى * وأقوى الورى عن شكر برك عاجزُ

---

(١) الأنضاء : المهازيل (٢) خول: خادم

فان ثنائى واعتقادى وطاقتى * لأفلاك ما أو ليتنيها مراكزُ

وقال أبو القاسم الزعفرانى

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه مافى فؤادى

حكم الله لى عليه فلو أنـ * ـصف قلبى عرفت قدر ودادى

وقال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية يمدح عمر بن العلاء

إنى أمنت من الزمان وريبهِ * لمـا علِقْتُ من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلالهِ * لحذَوْا له حُرَّ الوجوه نعالا

ما كان هذا الجود حتى كنت يا * عمرٌ ولو يوماً تزول لزالا

إن المطايا تشتكيك لأنهـا * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا وردن بنا وردن مُخِفَّةً * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهى قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول . وروى ان عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم فحسده الشعراء ، وقالوا لنـا بباب الأمير أعوام نخدم الآمال ، ما وصلنا الى بعض هذا! فاتصل ذلك به فأمر باحضارهم فقال بلغنى الذى قلتم وان أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشبب فيها فلا يصل الى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ، ورائق طلاوته ، وان أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ثم قال : ان المطايا تشتكيك لأنها وأنشد الأبيات. وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبطئه

أصابت علينا جودك العين يا عُمَرْ * فنحن لها نبغى التمائم والنُّشَرْ (١)

أصابتك عين فى سخائك صُلبةٌ * ويارب عين صلبةٍ تفلق الحجر

سنرقيك بالأشعار حتى تملّها * فان لم تفق منها رقيناك بالسُّور

وقال

يا ابن العلاء ويا ابن القِرْم مرداسِ * إنى مدحتك فى صَحْبى وجُلّاسى

---

(١) النشر : جمع نشرة

أثنى عليك ولى حالٌ تكذّبنى * فيما أقول فأستحيي من الناس
حتى اذا قيل ما أولاك من صَفَدٍ * طأطأت من سوء حالى عندها راسى

فأمر حاجبه أن يدفع اليه المال وقال لا تدخله علىّ فانى أستحيي منه

غرام ابى العتاهية

وذكر بعض الرواة أن المهدى خرج متصيداً فسمع رجلا يتغنى من القصيدة التى مرت منها الابيات فى عمر بن العلاء آنفا

يا من تفرّد بالجمال فما ترى * عينى على أحدٍ سواه جمالا
أكثرت فى قولى عليك من الرُّقَى * وضربت فى شعرى لك الامثالا
فأبيت إلا جفوةً وقطيعةً * وأبيت إلا نخوةً ودلالا
بالله قولى إن سألتك واصدقى * أوجدت قتلى فى الكتاب حلالا
أم لا ففيم جفوتنى وظلمتنى * وجعلتنى للعالمين نكالا
كم لائم لو كنت أسمع قَولَه * قد لامنى ونهى وعدّ وقالا

فقال المهدى علىّ به. فجاءه فقال لمن هذا الشعر؟ قال لاسماعيل بن القاسم أبى العتاهية ، قال لمن يقوله ؟ قال لعتبة جارية المهدى ، قال كذبت لو كانت جاريتى لوهبتها له ، وكانت عتبة لريطة بنت أبى العباس السفاح ، وكان أبو العتاهية قد بلغ من أمرها كل مبلغ ، وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنُّع ، وتخلّق ، ليذكر بذلك

قال يزيد حوراء المغنى كلمنى أبو العتاهية أن أكلم له المهدى فى عتبة فقلت إن الكلام لا يمكننى ، ولكن قل شعراً أغنيه إياه ، فقال

نفسى بشىء من الدنيا معلقةٌ * الله والقائم المهدىّ يكفيها
انى لأيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فعملت فيه لحناً وغنيته المهدى ، فقال لمن هذا ؟ فأخبرته خبر أبى العتاهية فقال ننظر فى أمره ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، فمكث أشهراً ثم أتانى فقال هل حدث خبر ؟ فقلت لا ، فقال غنه بهذا الشعر

ليت شعرى ماعندكم ليت شعرى * انما أخّرَ الجوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أولى بكل جميلٍ * من جواب يُردّ من بعد شهرِ

قال يزيد فغنيت به المهدى فقال علىَّ بعتبة فأحضرت، فقال إن أبا العتاهية كلمنى فيك وعندى لك وله ماتحبان، فقالت له قد علم مولاى أمير المؤمنين ما أوجبه من حق مولاتى، فأريد أن أذكر لها ذلك، قال فافعلى، فأعلمت أبا العتاهية بما جرى ومضت الايام، فسألنى معاودة المهدى، فقلت له قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه، فقال

أشربت قلبى من رجائك ما لَهُ * عَنَقٌ اليك يَخُبُّ بى ورسيمُ (١)
وأملتُ نحو سماء صَوْبك ناظرى * أرعى مخايلَ برقها وأشيمُ (٢)
ولقد تنسَّمت الرياح لحاجتى * واذا لها من راحتيك نسيمُ
ولربما استيأست ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاح كريمُ

فغنيته بالشعر فقال علىَّ بعتبة فأتت، فقال ما صنعت؟ قالت ذكرت ذلك لمولاتى فأبته وكرهته، فليفعل أمير المؤمنين مايريد، فقال ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه، فأعلمت أبا العتاهية بذلك فقال

قطّعت منك حبائل الآمالِ * وأرحت من حل ومن ترحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤك قادنى * وبنات وعدك يعتلجن ببالى
ولئن طمعت لَرُبَّ برقٍ خُلَّبٍ * مالت بذى طمع ولمعة آلِ (٣)

وقد نُقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه والله أعلم بالحق فى ذلك

نفى أبى العتاهية

وضرب المهدى أبا العتاهية مائة سوط لقوله

ألا إن ظبياً للخليفة صادنى * ومالى على ظبى الخليفة من عَدوَى

(١) العنق والرسيم من أنواع السير (٢) أشيم : أنظر (٣) البرق الخلب ما لا مطر فيه، والآل السراب

وقال: أبي يتمرَّس ، ولحرمي يتعرَّض ، وبنسائي يعبث ؟ ونفاه الى الكوفه وفى ضربه يقول أبو دهمان

لو لا الذى أحدث الخليفة للعشا * ق من ضربهم اذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكنى * امرؤ قد ثنانىَ الفَرقُ

وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفى يذكر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله

قل لمن لست أسمّى * بأبى أنت وأمى
بأبى أنت لقد أصبح * ت من أكبر همى
ولقد قلت لأهلى * اذ أذاب الحب لحمى
وأرادوا لى طبيباً * فاكتفوا منى بعلمى
من يكن يجهل ما ألقى * فان الحب سقمى
إن روحى لببغدا * دَوفى الكوفة جسمى

وقوله

أمسى ببغداد ظبىٌ لست أذكرهُ * الا بكيت اذا ما ذكره خطرا
إن المحب اذا شطّت منازلهُ * عن الحبيب بكى أوحنَّ أوذكرا
ياربّ ليل طويل بتُّ أرقبهُ * حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا
ما كنت أحسب إلا مذ عرفتكمُ * أن المضاجع مما ينبت الإبرا
والليل أطول من يوم الحساب على * عين الشجيّ اذا ما نومه نفرا

ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية وتلطف حتى اتصل بالرشيد فى خلافة أبيه المهدى ، وتمكن منه ، وبلغ المهدى خبره فأحضره ، فقال يابائس أنت مستقتل ، وسأله عن حاله فأنشده قصيدته التى يقول فيها

أنت المقابل والمدا * بر فى المناسب والعديد
بين العمومة والخؤ * لة والأبوة والجدود
فاذا انتميت الى أبيـ * ـك فأنت فى المجد المشيد

واذا انتمى خالٌ فما * خال بأكرم من يزيدِ

يريد يزيد بن منصور ، وكانت أم المهدى أم موسى بنت منصور الحميرى وأنشده

علم العالَم أن المنايا * سامعات لك فيمن عصاكا
فاذا وجهتها نحو طاغ * رجعت ترعف منه قناكا
ولو ان الريح بارتك يوماً * فى سماع قصرت عن نداكا

وأنشده

أتته الخلافة منقادةً * اليه تجرّر أذيالها
فلم تك تصلح الاَّ لهُ * ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيرُهُ * لزلزلت الارض زلزالها
ولولم تطعه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال له المهدى ان شئت أدبناك بضرب وجيع ، لا قدامك على ما نهيت عنه ، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا ، وان شئت عفونا عنك فقط . فقال بل يضيف أمير المؤمنين الى كريم عفوه جميل معروفه ، ومكرُمتان أكثر من واحدة ، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته ، وأتم كرمه. فأمر له بثلاثين ألف درهم وعفا عنه — ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف وترك الغزل فأمره الرشيد أن يتغزل فأبى فحبسه فغنى بقوله

خليلىَّ مالى لا تزال مضرتى * تكون على الأقدار حتماً من الحتمِ
كفاك بحق الله ما قد ظلمتنى * فهذا مقام المستجير من الظلم
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتي * ألا مُسعِدٌ حتى أنوح على جسمى

فأمر باحضاره وقال : بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدى عن الغزل فتأبى الا لجاجا ومحكا، واليوم آمرك بالقول فتأبى جرأة على واقداما ، فقال يا أمير المؤمنين ان الحسنات يذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب وجِدة ، وبى

حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بمثلى تصابٍ ، فرده الى حبسه فكتب اليه

أنا اليوم لى والحمد لله أشهرٌ * يروح علىَّ الغم منك ويبكرُ
تذكَّر أمين الله حقى وحرمتى * وما كنت تولينى لعلك تذكر
ليالىَ تُدنى منك بالقرب مجلسى * ووجهك من ماءِ البشاشة يقطرُ
فمن لىَ بالعين التى كنت مرةً * الىَّ بها من سالف الدهر تنظرُ

فبعث اليه: لا بأس عليك، فقال

كأن الخلق ركب فيه روحٌ * له جَسَدٌ وأنت عليه راسُ
أمين الله إن الحبس بأسٌ * وقد وقّعتَ ليس عليك باسُ

فأخرجه ، أخذ البيت الاول من هذين على بن جبلة وزاد فيه فقال لأبى غانم الطوسى

دجلة تسقى وأبو غانمٍ * يطعم من تسقى من الناسِ
والخلق جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الراسِ

أوصاف الرجال

وكان عمر بن العلاء ممدَّحا ، وفيه يقول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العِدى * فنبّه لها عمراً ثم نم
دعانى الى عمر جُودُهُ * وقول العشيرة بحر خِضم
ولولا الذى ذكروا لم أكن * لأمدح ريحانةً قبل شم
فتًى لا يبيت على دِمنةٍ * ولا يشرب الماء الا بدم

أخذ هذا البيت أبو سعيد المخزومى فقال

وما يريدون لولا الجبن من رجل * بالليل مشتمل بالجمر مكتحلِ
لا يشرب الماء الا من قليب دمٍ * ولا يبيت له جار على وجلِ (١)

(١) القليب : البئر

وقال أبو الطيب

تعوَّد أن لا تقضم الحب خيلهُ * إذا الهام لم ترفع جنوب العلائقِ
ولا ترد الغربان الا وماؤهُ * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وقال أبو القاسم بن هانى

من لم ير الميدان لم يَرَ معركاً * أشِباً ويوماً بالأسنة أكهبا (١)
وكتائبا تردى غوار بها العدى * وفوارسا تعدو صوالجها الظّبا
لا يوردون الماء سُنبك سابحٍ * أويكتسى بدم الفوارس طُحلبا (٢)

قال وبلغ عمر بن العلاء ان أبا العتاهية عليه عاتب فى هَنَاة نالها منه فى مجلس وكان كثير الانقطاع اليه فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر فكتب اليه :قد بلغنى الذى كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة منى ، فصرت مترددا من العمى فى يلاميع الشبهة ، ولو كان معك من علمك داع الى لقائى لكشفت لك مورد الأمر ومصدره لترجع الى الصلة ، فتقال أو تأبى الا الصريمة فتصرم وقد قال الاول

ومُستعتب أبدى على الظن عَتبهُ * وأخرج منه المحفظاتِ غليلُ
كشفت له عذرا فأبصر وجههُ * فعاد الى الانصاف وهو ذليلُ

فأجابه أبو العتاهية لم أجز بعتبى الحقيقة الى الشبهة ، ولم أجد سعة مع عظيم قدرتك الى حمل اللائمه ، فقصر بى الخوف من سخطك ، على ترك معاتبتك ، لأن المعاتبة لا تجتنى الا من المساوى ، ولو رغبت عن الصلة الى القطعية لتقاضيتك ذلك عن طول الصحبة وسالف المدّة ، وأنا أقول

رضيت ببعض الذل خوف جميعهِ * وليس لمثلى بالملوك يدانِ
وكنت أمرأ أخشى العقاب واتقى * مغبَّة ماتجنى يدى ولسانى

---

(١) أكهب : مظلم (٢) الطحلب : خضرة تعلو الماء الزمن

فهل من شفيع منك يضمن توبتى * فانى امرؤٌ أو فى بكل ضمانِ

فتراجعا الى أحسن ما كانا عليه ، وإنما ألم أبو العتاهية فى قوله ان المطايا تشتكيك وما يليه بقول أبى الحجناء نُصَيب الأكبر

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهلهُ * ولوسكتوا أثنت عليك الحقائبُ

وقال أبو الطيب فى أبى العشائر الحمدانى

تنشد أثوابنا مدائحهُ * بألسُنٍ مالهن أفواهُ

اذا مررنا على الأصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناهُ

وهذا المعنى من القضية الدالة بذاتها التى ذكرتها عن الجاحظ فى أقسام البيان

شواهد الايمان

وقال بعض الخطباء أشهد أن فى السموات والارض آيات ودلالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية ، ونظير هذا قول أبى العتاهية وروى أنه جلس فى دكان ورّاق وأخذ كتابا فكتب على ظهره

فواعجباً كيف يُعصى المليكُ * أم كيف يجحده الجاحدُ

ولله فى كل تحريكةٍ * وتسكينةٍ فى الورى شاهدُ

وفى كل شئ له آيةٌ * تدل على أنه واحدُ

وانصرف فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال لمن هذا فلوددتها لى بجميع شعرى، فقيل لاسماعيل بن القاسم فوقع تحتها

سبحان من خلق الخلـ * ـق من ضعيف مهينِ

فصاغه من قرارٍ * الى قرار مكينِ

يحول شيئا فشيئا * فى الحجب دون العيون

حتى بدت حركاتٌ * مخلوقة من سكون

وقال الفضل بن عيسى الرقاشى: سل الارض من غرس أشجارك ، وشق

أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حِوارا ، أجابتك اعتبارا ؛ وهذا شبيه بقول عدى بن زيد وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سرحة فقال أتدرى ماتقول هذه السرحة أيها الملك ؟ قال وما تقول ؟ قال تقول

ربَّ ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلالْ

ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذاك الدهر حالاً بعد حال

ويروى عكف الدهر بهم فثووا فتكدَّر حال النعمان وما كان فيه من لذة

دلالة الحال

ألفاظ لأهل العصر فى الشكر بدلالة الحال : لو سكت الشاكر ، لنطقت المآثر ، لو صمت المخاطب ، لأثنت الحقائب ، وأشهد شواهد حاله ، على صدق مقاله ، ان جحدت ما أولانيه ، وكفرت ما أعطانيه ، نطقت آثار أياديه علىَّ ، ولمعت أعلام عوارفه لديَّ (ولأبى الفضل الميكالى من رسالة) ورد فلان فتعاطى من شكره على نعمه التى ألبسه جمالها ، وأسحبه أذيالها ، مالو لم يتحدث به ناشرا ومثنيا ، ومعيدا ومبديا ، لأثنت به حاله ، وشهدت بهرحاله ، حتى لقد امتلأت بذكره المحافل ، وسارت بخبره الركبان والقوافل ، وصارت الألسنة على الشكر والثناء لسانا ، والجماعة على النشر والدعاء أنصاراً وأعوانا ، على انه وان بالغ فى هذا الباب ، وجاوز حدّ الإكثار والاسهاب ، نهايته القصور دون واجبه ، والسقوط عن أدنى درجاته ومراتبه — ومما يقترن لهم بهذا المعنى من ذكر الشكر ، قال أبو الفتح البستى : الحر تحل الشكر ، ان أجناه المرء من خيره شكرا أجناه من بِرّه شهدا (غيره) الشكر ترجمان النية ، ولسان الطويَّة ، وشاهد الاخلاص وعنوان الاختصاص ، الشكر نسيم النعم ، وهو السبب الى الزيادة ، والطريق الى السعادة ، الشكر قيد النعمة ، ومفتاح المزيد وثمن الجنة ، من شكر قليلا ، استحق جزيلا ؛ شكر المولى هو الاولى ، الشكر قيد النعم وشِكالها ، وعِقالها ،

وهو شبيه بالوحش التى لاتقيم مع الايحاش ، ولا تريم مع الاينـاس ، موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ، ان وجده لم يرِم ، وان فقده لم يقم ، الشكر غرس إذا أودِع سمع الكريم أثمر الزيادة ، وحفظ العادة ؛ الشكر تعرض المزيد السائغ ، والنعم السوابغ ، شكر شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه ، أثنى عليه ثناء الروض الممحل ، على الغيث المسبل ، أثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر ، أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد ، شكره شكر الارض للديم ، وزهير لهرِم ، بسط لسان الثناء والدعاء ، وبلغ عنان الشكر عنان السماء ، شكره شكرا ترتاح له المكارم ، وتهتز له المواسم ، لأشكرنه شكراً تشيع أنواعه ، وتنبسط أبواعه ، ويلذ ذكره وسماعه — شكر ملأ القلب واللسان كشكر حسان لآل غسان ، أطال عنان الشكر وفسح مجاله ، ورفع أعمدته ، ومد أروقته ، شكر كأنفاس الاحباب ، أوأنفاس الاسحار ، أوأنفاس الرياض غِب القطار

شعر نصيب

رجع ما انقطع : كان سبب قول نصيب * فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * انه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان بن عبد الملك يافرزدق من أشعر الناس ؟ قال أنا يا أمير المؤمنين ، قال لماذا ؟ قال بقولى

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم * لهاتِرةً من جذبها بالعصائبِ
سروا وسرت نكباء وهى تلفهم * إلى شُعب الاكوار ذات الحقائب
اذا آنسوا ناراً يقولون ليتها * وقد خصِرت أيديهم نار غالبِ

يريد أباه وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع فأعرض عنه سليمان كالمغضب لانه انما أراد أن ينشد مدحاً فيه ففهم نصيب مراده فقال يا أمير المؤمنين قد قلت أبياتاً على هذا الروى ليست بدونها فقال هاتها فأنشأ نصيب يقول

أقول لركبٍ قافلين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قاربُ

فقد أخبرونى عن سليمان انى * لمعروفه من آل ودَّانَ طالبُ
فماجوا فأثنوا بالذى أنت أهلهُ * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ
فقالوا تركناهُ وفى كل ليلةٍ * يُطيف به من طالبى العرف راكب
ولو كان فوق الناس حىٌّ فعالهُ * كفعلك أو للفعل منك يقارب
لقلنا له شِبْهٌ ولكن تعذّرت * سواك عن المستشفعين المطالب
هو البدر والناس الكواكب حولهُ * وهل تشبه البدر المنير الكواكبُ

فقال سليمان أحسنت ، والتفت الى الفرزدق فقال كيف تسمع يا أبا فِراس ؟ قال هو أشعر أهل جِلدته ، قال وأهل جلدتك ، فخرج الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد وهذا باب فى المدح حسن متجاوز مبتدع لم يسبق اليه قول نصيب من أهل ودان (قال اسحاق بن ابراهيم) الموصلى ذكر محمد بن كناسة والزبيدى أن نصيبا من أهل ودّان وكان عبدا لرجل من بنى كنانة هو وأهل بيته، وزعم أبو هفان أنه عبد لعبد العزيز بن مروان وكان نصيب شديد السواد وهو القائل

كسيت ولم أملك سواداً وتحتهُ * قميص من القوهىّ بيض نبائقهْ
فما ضرَّ أثوابى سوادى وانى * لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه

وقال سحيم عبد بنى الحسحاس

أشعار عبد بنى الحسحاس قمن لهُ * عند الفخار مقام الاصل والورِقِ
ان كنت عبداً فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلقِ

وقال أبو الطيب المتنبى لكافور الاخشيدى

انما الجلد ملبس وابيضاض الخلـ ـق خير من ابيضاض القباءِ

وقال نصيب لبعض ملوك بنى أمية ان لى بنات نفضت عليهن من سوادى ، فقال ما أحسن ما تلطفت لهنّ ! وأمر له بصلة . وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التى أولها

لهان علينا أن نقول وتفعلا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

وهى من أحسن شعره ، وقّع له على ظهرها

رأيتك سمح البيع سهلاً وانمـا * يغالى اذا ماضن بالشئ بائعُهْ

فأما اذا هانت بضائع بيعهِ * فيوشك أن تبقى عليه بضائعُهْ

هو الماء ان أجممته طاب وردُهُ * ويفسد منـه أن تباح مشارعُه

فأجابه بقصيدة طويلة واحتج عليـه واعتذر اليه فى مدحه لغيره فقال

فى بعض ذلك

أما القوافى فقد حصّنت غرتها * فمـا يصاب دمٌ منها ولا سلَبُ

منعت إلا من الا كفاء أيّمها * وكان منك عليها العطف والحدَبُ

ولو عضلت عن الا كفاء أيمها * ولم يكن لك فى اظهارها أرَبُ

كانت بنات نصيب حين ضن بها * على الموالى ولم تحفل بها العرب

وقد قيل ان أبا تمام أجابه بقوله

أبا جعفر ان كنت أصبحت شاعراً * أسامح فى بيعى له من أبايعُهْ

فقد كنت قبلى شاعراً تاجراً بهِ * تساهل من عادت عليك منافعه

فصرت وزيراً والوزارة مكرعٌ * يَغَص به بعد اللذاذة كارعهُ

وكم من وزير قد رأينا مُسلّطا * فعاد وقد سُدَّت عليه مطالعه

ولله قوس لاتطيش سهامها * ولله سيف لاتفل مقاطعه

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب وليس مثل أبى جعفر فى جلالة قدره واصطناعه لحبيب يعامل بمثل هذا الجواب ولا ينتهى جهل حبيب أن يقابل مأموله ومن يرتجى جليل الفائدة منه بهذه الابيات ، وقد قيل بل قالها ولم ينشدها أحداً ، وانما ظهرت بعد موته ، وكان ابن الزيات كما قال شاعرا ومدح الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون وأعطاه عشرة آلاف درهم فقال

لم أمتدحك رجاء المـال أطلبهُ * لـكن لتلبسنى التحجيل والغررا
ما كان ذلك إلا أننى رجلٌ * لاأقرب الورد حتى أعرف الصدَرا

قال الصولى وكان السبب الذى أوجد أبا جعفر على أبى تمام حتى قال لقد رأيتك سهل البيع الابيات قول أبى تمام قصيدته المشهورة فى ابن أبى دؤاد التى أولها

سقى عهد الحمى سيل العِهادِ * وروّى حاضراً منه وباد
نزحت به ركىَّ الدمع لما * رأيت الدمع من خير العِتادِ

يقول فيها فى مدحه

هُمُ عظم الاثافى من نزارٍ * وأهل الهُضب منها والنجادِ
معرَّس كل معضلةٍ وخطبٍ * ومنبت كل مكرمة وآدِ
إذا حَدَث القبائل ساجلوهم * فانهمُ بنو المجد التلادِ
يفرّج عنهم الغمرات بيضٌ * جلاد تحت قسطلةِ الجلاد
وحشو حوادث الايام منهم * معاقل مطرد وبنو طراد
لهم جهل السباع إذا المنايا * تمشت فى الوغى وحُلُوم عادِ
لقد أنست سُلوّى كل دهرٍ * محاسن أحمد بن أبى دُؤادِ
متى تحلل به تحلل جنابا * رضيعا للسوَّارى والغوادى
وما اشتبهت سُهَيل المجد الا * هداك لقبلة المعروف هادِ
وماسافرت فى الآفاق إلا * ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

وهذه النكت التى أحقدت أبا جعفر ، وأعتبته على أبى تمام ، وفى هـذه القصيدة يقول معتذراً اليه فى الذى قرب به عنده من هجاء مضر

أتانى عابر الأنباء تسرى * عقاربه بداهية ناَد (١)
ثنا خير كأن القلب منهُ * يُجرّبه على شوك القتادِ

(١) ناَد : شديدة الاذى

بأنى نلت من مضرٍ وخَبَّتْ * اليك شكيتى خَبَبَ الجواد
ومارِبع القطيعة لى بربع * ولانادى الأذى منى بنادِ
وأين يجور عن قصد لسانى * وقلبى رائحٌ برضاك غاد
ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خَدَم الفؤاد
وقِدماً كنت معسول القوافى * وءادوم المعانى بالسَّداد

ابن أبى دؤاد

وكان ابن أبى دؤاد غالياً فى التعصب لإِياد ، والحاقها بنزار ، على مذهب نُساب العدنانيين . قال وكل من بالعراق من إياد دخلوا فى النخع واليهم ينسبون ومن كان بالشام فلم على نسبهم فى نزار ، وابن أبى دؤاد يرمى بالدعوة ، والتكثير من أخباره يخرج الى ما أخافه من تطويل التصرف ، فى مملول التكلف

وكان ابن أبى دؤاد عالما بضروب العلم والأدب ، متصرفاً فى صناعة الجدال ، على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيات بينة ، والنفاسة فى الرياسة بينهما متمكنة ، وقال له بعض الشعراء

أكل أبى دؤاد من أيادِ * فكل أبى ذؤيب من هذيلِ

قال مسلم : ماناه الا وضيع ، ولا فاخر الا سقيط ، ولا تعصب الا دخيل . وقال مدنى لرجل ممن أنت ؟ فقال من قريش والحمد لله ، قال بأبى أنت ، التحميد هاهنا ريبة ! واسم أبى دؤاد دعمى ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة يقال لها بنو زهرة اخوة بنى جدان ، وقد ذكره الطائى فى قوله

والغيث من زهر سحابة رأفةٍ * والركن من شيبان طود حديدِ

ذكر شيبان لأن خالد بن يزيد الشيبانى شفع له عند ابن دؤاد فيما ينساق الحديث اليه من موجدته عليه

قال محمود الوراق: كنت جالسا بطرف الجسر مع أصحاب لى فمر بنا أبو تمام فجلس الينا فقال له رجل منا: يا أبا تمام أىّ رجل أنت لو لم تكن من اليمن ! قال ما أحب أنى بغير الموضع الذى اختاره الله لى ، فمن تحب أن أكون ؟ قال من مضر. قال إنما شرفت مضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك ما قِيسوا بملو كنا وأذوائنا ، وفينا كذا ومنا كذا ، يفخر ، وذكر أشياء عاب بها مضر ، ونمى الخبر الى ابن أبى دؤاد وزِيد فيه ، فقال ما أحب أن يدخل علىّ ، فقال يعتذر اليه بقصيدة أولها

سَعِدتْ غَربة النوى بسعادِ * فى طلوع الإتهام والإنجادِ

يقول فيها

بعد أن أصْلتَ الوشاةُ سيوفاً * قطعت فىَّ وهى غير حِداد
فنفى عنك زخرفَ القول سمعٌ * لم يكن فرضهُ لغير السداد
ضرب الحلم والوقار عليهِ * دون عُور الكلام بالأسدادِ
ملأتك الأحساب أى حياةٍ * وحيا أزمة وحية وادِ
عانق معتق من الرق إلا * من مقاساة مَغْرم أو نجاد
للحمالات والحمائل فيهِ * كلحوب الموارد الأعداد

فما رضى عنه حتى تشفع اليه بخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى فقال فى قصيدة

أسرَى طريداً للحياءِ من التى * زعموا وليس لقوله بطريدِ
كنت الربيع أمامهُ ووراءهُ * قمر القبائل خالد بن يزيدِ
وغداً تَبيّنُ ما براءة ساحتى * لو قد نفضت تهايمى ونجودى
لله درك أىّ باب مُلمةٍ * لم يرم فيه اليك بالإقليد
لما أظلّتنى غمامك أصبحت * تلك الشهود علىّ وهى شهودى
من بعد ماظنوا بأن سيكون لى * يومٌ بزعمهم كيدم عَبيدِ

يريد عبيد بن الابرص الأسدى وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم بؤسه فقتله — وكان ابن أبى دؤاد كريما فصيحا جزلا (قال أبو العيناء) كنا عند بن أبى دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعة من أهل الادب والعلم ، فجاءه رسول ايتاخ فقال ان الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضى السلام ويقول : القاضى يتعنى ويجئ فى الأوقات ، وقد تفاقم الأمر بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن الزيات فصار يضرنا عنده قصد القاضى ، وما أحب أن يتعنى الىّ لهذا السبب ، إذ كنت لا أصل الى مكافأته ، فقال أجيبوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ، ونظر بعضنا الى بعض ، فقال أما عندكم جواب ! قلنا القاضى أعزه الله أعلم بجوابه منا ، فقال للرسول اقرأ عليه السلام ، وقل له ما أتيتك متكثرا بك من قلة ، ولا متعززاً بك من ذلة ، ولا طالبا منك رتبة ، ولا شاكيا اليك كربة ، ولكنك رجل ساعدك زمان ، وحركك سلطان ، ولا علم يؤلف ، ولا أصل يعرف ، فان جئتك فبسلطانك ، وان تركتك فلنفسك ! فعجبنا من جوابه

خالد القسرى

صعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر يوم جمعة فخطب وهو إذ ذاك أمير على مكة فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيراً ، فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان ابليس كان ملكا من الملائكة ، وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفى عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه ، وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غله وخبثه على ما خفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على أيدى أمير المؤمنين فالعنوه لعنة الله ثم نزل

الإفشين التركى

وكان أبو تمام قد مدح الافشين التركى واسمه حيدر بن كاوس وكان من أجل قواد المعتصم وأبلى فى أمر بابك الخرمى بلاء حمده له ، فلما سخط المعتصم عليه لما نسب اليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وانه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضى أحمد بن أبى داؤد عليه أنه على غير الاسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتبائه ، ولنفسه من مدحه واطرائه

ما كان لولا فحش غدرة حيدرٍ * ليكون فى الاسلام عام فِجارِ
هذا الرسول وكان صفوة ربهِ * من خير باد فى الأنام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابةً * وهم أشدّ أذًى من الكفارِ
واختار من سعد لقيس بنى أبى * سرح لعمر الله غير خيارِ
حتى استضاء بشعلة السور التى * رفعت له سترا من الاستارِ

ثم ذكر فى هذه القصيدة ان قتل الافشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال

والهاشمون المستقلة ظُعنهم * عن كر بلاء بأثقل الأوزارِ
فشفاهم المختار منه ولم يكن * فى دينه المختار بالمختار

المنافقون

أما من ذكر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غير ما يسرون ، حتى أطلع الله نبيه عليه السلام على أخبارهم ، ونشر له مطوىّ أسرارهم ، وأما ابن أبى سرح فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن حبيب بن خزيمة ابن نصر بن مالك بن عامر بن لؤى ، أسلم قبل الفتح واستكتبه النبى عليه السلام

فكان يكتب موضع الغفور الرحيم العزيز الحكيم وأشباه ذلك ، فأطلع الله عليه النبي عليه السلام فهرب الى مكة مرتدا ، وأنزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه فهرب من مكة فاستأمن له عثمان رضى الله عنه فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرضاعة، وأسلم فحسن اسلامه ، وولى مصر سنة أربع وعشرين فأقام عليها الى أن حصر عثمان ومات بقيسارية الشام ولم يدخل فى شئ من الفتن الحجازية فى ذلك الوقت ، وأما لمختار الذى ذكره فهو المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن عروة بن عوف بن قسى وهو ثقيف وكانت لأبيه فى الاسلام آثار جميلة ، وأخت المختار صفية بنت أبى عبيد زوج ابن عمر ، والمختار هو كذاب ثقيف الذى جاء فيه الحديث وكان يزعم أنه يوحى اليه فى قتلة الحسين فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله ابن زياد ، وله أسجاع يصنعها ، وألفاظ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى اليه ، وقيل للأحنف بن قيس ان المختار يزعم أنه يوحى اليه !فقال صدق، وتلا :وان الشياطين ليوحى بعضهم الى بعض، وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها

كلمات مختارة

لما هزم أمية ابن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يقولون له فدخل عبد الله ابن الأهتم عليه فقال الحمد لله الذى نظر لنا أيها الأمير عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك ، إلا ان الله علم حاجة أهل الاسلام اليك فأبقاك لهم بخذلان من معك. فصدر الناس عن كلامه (ويتعلق بهذه المقامة فصل فى غرائب التكاتب) كتب حمدون بن نهراق الى عامل عزل عن عمله : بلغنى أعزك الله انصرافك عن عملك ، ورجوعك الى منزلك ، فسررت بذلك ولم استفظعه وأجزع له ، لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ،

أو يضعك عزل عنه ، ووالله لو لم تختر الانصراف ، وترد الاعتزال ، لكان فى لطف تدبيرك ، وثقوب رويتك ، وحسن تأتّيك ، ما تزيل به السبب الداعى الى عزلك ، والباعث على صرفك ، ونحن الى أن نهنيك بهذه الحال أولى بنا من أن نعزيك ، اذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك فى منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها (وكتب ابن مكرم الى نصرانى أسلم) أما بعد فالحمد لله الذى وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وطهر من الارتياب قلبك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيقة ماوهب الله فيك ، حتى كأنك لم تزل بالاسلام موسوماً ، وان كنت على غيره مقيما ، وكنا مؤملين لما صرت اليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى اذا كاد اشفاقنا أن يستعلى رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تزل الانفس تعد منك ، فأسأل الله الذى أضاء لك سبيل رشدك ، أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، ويقيك عذاب النار

غرائب الاذواق

قال بعض الكتاب: من الحق مايستحسن تركه ، ويستهجن عمله ، وقد يقع من ذلك فيما يحله الشرع ، ويكرهه الأدباء ، وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سموّ نفس ، وعلوّ همة ، حتى رأينا من لايحضر تزويج كريمته ويولى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى أن لاينكح مستنكحا ، وزاد به العلو إلى ترك ماذكره أولى ، وكنا عرفنا حال انسان تزوجت أمه فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أوِدَّائه ، وتوارى عن اصفيائه ، حياء من لقائهم ، وكرها لتهنيتهم له أو عزائهم ، واضطرته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكة فى تحامي خطابه فيما اجتنب لأجله خُلانه ، وفارق لسببه اخوانه ، وتخيل ذلك المقصود انه انما لجأ اليه ليسليه ، فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيدا خوف

المفاوضة ، ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة، فكان عنده من لم يخاطبه أحظى ، وفى نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفى نفسه أشف ونقم على ذلك الصديق وعتب ، اذ لكل من الناس إلا من طاب محتده ، وطال سؤدده ، حال من الإلف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل والزهادة تقبح المحاسن ، واعتذر المتكلف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يرده صفيه فانه فعل ما أوجبته الاخوّة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ودبت عقارب الظنون والوشاية ، الى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ، فلما وقع بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بقرع سن الأسف ، على تخيل النهى والوقار من الممقوت ، وظاهر الممقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمه الذى تجشم من كلامه فيه فضلا ، وتكلف من خطابه عليه مامن حسرة خلا ، فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثار ، فان اضطر الى القول فى هذا المعنى أحد بأمر قاهر من السلطان ، أوحوادث الازمان ، أوتطارح الاخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً : أنت بفضل الله عليك ، واحسان تبصيره اياك ، من أهل الدين ، وخلوص اليقين ، فكما لاتتبع الشهوة فى محظور تبيحه ، فكذا لاتتبع الأنفة فى مباح تحظره ، وقد اتصل بنا ما اختاره الله والقضاء لذات الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبك اليها اليك ، مما كرهه إباؤك الدنيوى لك ولها ، ورضيه الحلال الدينى له ولها ، فنحن نعزيك عن فائت محبوبك ، وننهنيك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت . فهذا ونحوه أصوب وأسلم ، ان اضطررت اليه ، وتركه أحسن وأحزم : ان ملكت رأيك فيه ، والتلطف للكتابة عما يستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدّها

جدع الحلال أنف الغيرة

كتب أبو الفضل بن العميد فى بابه: الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة وهدانا لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومتع من عضل الامهات ، كما متع من وأد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية، عن حمية الجاهلية ثم عرض للجزيل من الاجر ، من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوض جزيل الثواب من صبر على نازل بلائه ، وهنالك الله الذى شرح للتقوى صدرك ، ووسع فى البلوى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضى بقضيته ، ووفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى حده ما تجرعته من أنف ، وكظمته من أسف ، معدودا يعظم الله عليه أجرك ، ويجزل به ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك لفعلها ، المنتظر من ارتماضك لدفنها ، وعوضك من أسرَّة فرشها ، أعواد نعشها ؛ وجعل ما ينعم به عليك من بعدها من نعمة ، معرًّى من نقمة ، وما يوليك بعد قبضها من منحة مبرا من محنة

التهانى بالبنات

ألفاظ لاهل العصر فى التهانى بالبنات : هنأ الله سيدى ورد الكريمة عليه ، وثمّر بها أعداد النسل الطيب لديه ، وجعلها مؤذنة باخوة بررة ، يعمرون أندية الفضل ، ويغبرون بقية الدهر ، اتصل بى خبر المولودة كرم الله غرتها وأنبتها نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك بعد اتضاح الخبر ، وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر ، وقد علمت انهن أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهن فى الترتيب ، فقال جل من قائل يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، وما سماه هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى ، أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الابناء ؛ وجالبة الاصهار ؛ وأولاد الاطهار ؛ والمبشرة باخوة يتناسقون ؛ ونجباء يتلاحقون

فلو كان النساء كمثل هذى * لفضلت النساء على الرجالِ
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ * ولا التذكير فخر للهلالِ

والله يعرفك البركة فى مطلعها ، والسعادة فى موقعها ، فادرع اغتباطا ، واستأنف نشاطا ، الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها ، والنار مؤنثة ، والذكور يعبدونها ، والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد حليت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ، وهى قِوام الابدان ، ومِلاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنالك الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاك ما عرف النسل والولد وما بقى العصر والابد ، انه فعال لما يشاء

أوصاف النساء

والتصرف فى النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يمدح به الرجال ذم لهن ، ووصم عليهن ، قال الرومى

ما للحسان مسيئاتٍ بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر تحنانُ
فان يبحن بعهد قلن معذرة * انا نسينا وفى النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انا لم نسم بهِ * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وبأس وأحلام وأذهان
وان منهم وفاء لا نقوم لهُ * وهل يكون مع النقصان رجحان

وقال أبو الطيب المتنبى

بنفسى الخيال الزائرى بعد هجعةٍ * وقولته لى بعدنا الغمض تطعمُ
سلام فلولا البخل والخوف عندهُ * لقلنا أبو حفص علينا المسلمُ

ألا ترى أن الجود ، والوفاء بالعهود ، والشجاعة والفطن ، وما جرى فى هذا

السنن ، من فضائل الرجال ، لو مدح النساء به لكان نقصاً عليهن ، وذمّالهنّ ؟

ولمديح النساء أبواب تفرقت فى الكتاب . أنشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور

أزبيدة ابنة جعفرٍ * طوبى لزائرك المثابِ
تعطين من رجليك ما * تعطى الاكف من الرِّغابِ

فوثب اليه الخدم يضربونه فمنعتهم من ذلك ، وقالت أراد خيراً وأخطأ ، وهو أحب الينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك فظن أنه اذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمّل ، وعرّفوه ما جهل . وقال كثير

ولما قضينا من منًى كل حاجةٍ * ومسَّح بالاركان من هوماسحُ
وشدت على حدب المطايا رحالنا * ولا يعلم الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطىّ الاباطحُ
نقعنا قلوباً بالأحاديث واشتفت * بذاك صدورٌ منضجات قرائح
ولم نخش ريب الدهر فى كل حالةٍ * ولا راعنا منه سنيحٌ وبارحُ

وقال

تفرّق ألاَّف الحجيج على منًى * وشتتهم شحط النوى مشى أربعِ
فريقان منهم سالك بطن نخلةٍ * وآخر منهم جازع ظهر تصرع
فلم أر داراً مثلها دار غبطةٍ * ولهوٍ اذا التفّ الحجيج بمجمع
أقلّ مقيما راضياً بمكانهِ * وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع
فأصبح لاتلقى خباء عهدتهُ * بمضربه أوتادهُ لم تُنزَّع
فشاقوك لما وجهوا كل وجهةٍ * فبانوا وخلوا عن منازل بلقع ،

ودخل كثير على عزة يوماً فقالت ماينبغى أن نأذن لك فى الجلوس ، فقال ولم ذلك ؟ قالت لأنى رأيت الاحوص ألين جانباً عند الغواني منك فى شعره ، وأضرع خدا للنساء ، وانه الذى يقول

يا أيها اللائمى فيها لأصرمها * أكثرت لو كان يغنى عنك إكثار
أكثِرْ فلست مطاعاً اذ وشيت بها * لا القلب سالٍ ولا فى حبها عارُ

ويعجبنى قوله

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ * بأبياتكم مادرت حيث أدورُ
وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يُزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفرٍ * وانى الى معروفها لفقيرُ

ويعجبنى قوله

كم من دنىّ لها قد كنت أتبعهُ * ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
أدعو الى هجرها قلبى فيتبعنى * حتى اذا قلت هذا صادقٌ نزعا
وزادنى رغبة فى الحب أن منعت * أشهى الى المرء من دنياه ما مُنعا

وقوله

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
وما العيش الا ماتلذّ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا
وانى لأهواها وأهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
علاقة حب لجّ فى سنن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجددا

هذان البيتان ألحقهما العتبى وغيره بشعر الأحوص وأنشدها أبو بكر بن دريد لأعرابى، فقال كثير قد والله أجاد، فما استقبحت من قولى؟ قالت قولك

وكنت اذا ماجئت أجلان مجلسى * وأظهرن منى هيبة لا تجهُّما
يحاذرن منى غيرةً قد عرفنها * قديماً فلا يضحكن الا تبسما
تراهن إلا أن يخالسن نظرةً * بمؤْخر عين أو يقلبن معصما
كواظم لا ينطقن إلا محورة * رجيعة قول بعد أن تُتفهما
وكنّ اذا ماقلن شيئا يسرهُ * أسر الرضى فى نفسه وتحرّما

وقولك

وددت وبيت الله انك بكرة * هِجان وانى مصعب ثم نهربُ
كلانا به عُرّ فمن يرنا يقلْ * على حسنها جرباء تعدى وأجربُ
نكون لذى مال كثير مغفلٍ * فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلب
اذا ماوردنا منهلا صاح أهلهُ * علينا فما ننفك نؤذى ونضرب

ويحك لقد أردت بي الشقاء ، أفما وجدت أمنية أو طأ من هذه ؟ فخرج خجلا

غرائب الآمال

وقد تمنى بمثل هذه الأمنية الفرزدق. وأغرب من هذا قول أبى صخر الهذلى

تمنيت من حبى عُلَيّة اننا * على رَمَث فى البحر ليس لنا وفْرُ
على دائم لا يعبر الفلك موجهُ * ومن دوننا الاهوال واللجج الخضرُ
فنقضىَ هم النفس فى غير رقبةٍ * ويغرق من نخشى نميمته البحرُ

وقيل: الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يُبلغك فقد أهلك

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر أفعال الليالى إساءةٌ * وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا

وقال آخر

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والاّ فقد عشنا بها زمناً رغدا
أمانىّ من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمأٍ بردا

وقال آخر

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها * فلا أسأل الدنيا ولا أستزيدها

وقيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال ممازحة المحب ، ومحادثة الصديق ، وأمانىّ تقطع بها أيامك ، وأنشد

عللينى بموعدٍ * وامطلى ماحييت بهْ
ودعينى أفوز منـ * ـك بنجوى تطلّبهْ
فعسى يعثر الزما * ن بحظى فينتبهْ

أخبار كثير عزة

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة الخزاعى ، ويعرف بعزة ، على حِدة خاطره، وجودة شعره ، أحمق الناس — دخل عليه نفر من قريش وهو عليل يهزئون به ، قال بعضهم فقلت له كيف تجدك ؟ قال بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ فقلت نعم سمعتهم يقولون انك الدجال، فقال والله لأن قلت ذلك انى لأجد فى عينى اليمن ضعفا منذ أيام ، وكان رافضيا يدين بالرجعة ، ويقول بامامة محمد ابن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل فى شِعب باليمن فى أربعين من أصحابه ، ولا بدّ من ظهوره وفى ذلك يقول

ألا إن الائمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء
علىٌّ والثلاثة من بنيهِ * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرّ * وسبطٌ غيّبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيّب لايرى عنهم زمانا * برضوى عنده عسلٌ وماء

وكان خلفاء بنى أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه ، دخل يوما على عبد الملك ابن مروان فقال : نشدتك بحق على بن أبى طالب هل رأيت أعشق منك ؟ فقال يا أمير المؤمنين لو سألتنى بحقك لأخبرتك ، نعم بينا أنا أسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبائله فقلت له ما أجلسك ها هنا ؟ قال أهلكنى وأهلى الجوع ، فنصبت حبائلى لأصيب لهم ولنفسى ما يكفينا سحابة يومنا ، قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبنا صيدا ، أتجعل لى منه جزأ ؟ قال نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية ، فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلها وأطلقها فقلت ماحملك على هذا ، قال دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى ، وأنشأ يقول

أيا شِبه ليلى لا تُراعى فانى * لك اليوم من وحشيةٍ لصديقُ

أقول وقد أطلقتها من وَثاقها * لأنت لليلى ما حييتِ طليقُ

وروى الكلبي وابن دأب انه لما حلها قال

اذهبي في كلاءة الرحمنِ * أنت مني في ذمة وأمانِ
لا تخافي بأن تُهاجي بسوءٍ * ما تغنَّى الحمام في الأغصانِ
ترهبيني والجيد منك لليلى * والحشا والبُغام والعينانِ

وقال قيس بن الملوّح

راحوا يصيدون الظباء وانني * لأرى تصيُّدها عليّ حراما
أشبهن منك محاجراً وسوالفاً * فأرى عليَّ لها بذاك ذماما
اعْزِزْ على بأن أروع شبيهها * أو أن يذقن على يديَّ حِماما

ومن جيد شعر كثيّر

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها * كنا ذرةٍ نذراً فأوفت وحلّتِ
فقلت لها ياعزّ كل مصيبةٍ * اذا وطِّنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميعةً * تغمُّ ولا غماء إلاّ تجلّت
أباحت حميً لم يرعه الناس قبلها * وحلّت تِلاعاً لم تكن قبل حُلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً * لدينا ولا مقليّة إن تقلت
ووالله ما قاربت الا تباعدتْ * بهجر ولا استكثرت الا أقلت
وما مرّ من يوم عليّ كيومها * وان عظُمت أيام أخرى وجلّت
فياعجباً للقلب كيف اعترافهُ * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وكان كثير قصيرا دميما ولذلك قال

فان أكُ معروق العظام فانني * اذا ما وزنت القوم بالقوم وازنُ

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته فقال : أنت كثير ؟ فقال نعم ، فاقتحمه وقال : تسمع بالمعيدى لا أن تراه ! فقال يا أمير المؤمنين كل انسان عند محله رحب الفِناء ، شامخ البناء ، عالى السناء ، وأنشد يقول

نرى الرجل النحيف فتزدريهِ * وفى أثوابه أسدٌ هصورُ
ويعجبك الطرير اذا تراهُ * فيخلف ظنك الرجل الطريرُ
يُغاث الطير أطولها رقاباً * ولم تطل البُزاة ولا الصقورُ
خشاش الطير أكثرها فراخاً * وأم الباز مقْلاتٌ نزورُ
ضعاف الاسد أكثرها زئيراً * وأصرمها اللواتى لا تزيرُ
وقد عظم البعير بغير لُب * فلم يستغن بالعِظَم البعيرُ
يُنَوَّخ ثم يُضرب بالهراوَى * فلا عُرفٌ لديه ولا نكيرُ
يقوّده الصبى بكل أرضٍ * ويصرعه على الجنب الصغيرُ
فما عظَم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم حسب وخِيرُ

فقال قاتله الله ! ما أطول لسانه ، وأمد عنانه ، وأوسع جنانه ، انى لا أحسبه كما وصف نفسه ، وأنشد احمد بن عبيد الله لشاعر قديم

وعاذلةٍ هبّت بليلٍ تلومنى * ولم يغتمرنى قبل ذاك عذولُ
تقول اتئد لا يدعك الناس مملقاً * وتزرى بمن يا ابن الكرام تعولُ
فقلت أبت نفسٌ علىّ كريمةٌ * وطارق ليل عند ذاك يقولُ
ألم تعلمى يا عمرك الله أننى * كريمٌ على حينَ الكرام قليلُ
وأنىَ لا أخزى اذا قيل مُملِقٌ * سخىٌّ وأخزى أن يقال بخيلُ
فلاتتبعى النفس الغوية وانظرى * الى عنصر الأحساب كيف يؤل
ولا تذهبنْ عيناك فى كل شرمخٍ * له قصَبٌ جُوف العظام أسيلُ
عسى أن تمنّى عرسه أننى لها * به حين يشتدّ الزمان بديلُ
اذا كنت فى القوم الطوال فطُلتهم * بمعارفة حتى يقال طويلُ

ولا خير فى حسن الجسوم وطولها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقولُ
فكائنْ رأينا من فروعٍ طويلةٍ * تموت اذا لم تُحيهنّ أصولُ
فلاّ يكن جسمى طويلاً فانني * له بالفعال الصالحات وَصـول
ولم أر كالمعروف أمّا مذاقهُ * فحلوٌ وأمّا وجههُ فجميلُ

وقال ابن الرومى

ونصيف من الرجال نحيفٍ * راجح الوزن عند وزن الرجالِ
فى أناس أوتوا حُلوم العصافـ * ـير فلم تغنهم جُسوم البغال

أخذه من قول حسان بن ثابت وقال له بنو الديان الحارثيون قد كنا ونحن نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت

دعوا التجاجؤ وامشوا مشية سجحاً * ان الرجال ذوو قدٍّ وتذكير
لابأس بالقوم من طُولٍ ومن عِظَمٍ * جسم البغال وأحلام العصافير

فتركتنا لانرى أجسامنا شيئاً ، والعرب تمدح الطول ، وتثنى عليـه ، وقال عنترة بن شداد

بطل كأن ثيابه فى سرحةٍ * يحذى نعام السبت ليس بتوأمِ

قوله ليس بتوأم يريد ليس ممن زوحم فى الرحم فضعف ، كما قال الشعبى وقد دخل على عبد الملك بن مروان فجعل ينظر اليه ، وكان الشعبى قد وُلد توأماً مع أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال يا أمير المؤمنين إنى زوحمت فى الرحم ، وقال :

ولما التقى الصفان واختلف القنا * نِهالاً وأسباب المنايا نِهالها
تبيَّن لى أن القماءةَ ذلةٌ * وأن أعزاء الرجال طِوالُها

وقال أبونواس

وكنا اذا ما الخائن الجدّ غرَّهُ * سنى برقِ غادٍ أو ضجيج رعادِ
تردَّى له الفضل بن يحيى بن خالدٍ * بماضى الظُّبَى يزهاه طول نجاد
أمام خميس أرجوانٍ كأنهُ * قميص مَحُوكٌ من قناً وجيادِ

ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبى قوله

وملمومة زَرَدٌ ثوبها * ولـكنه بالقنا مخملُ

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف مابك إلىّ ، ولكنى أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولى فى كنفك ، فضحك وأمر له بمال ، فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكّى كان بالعوّادِ
لوكان تقبل فدية لفديتهُ * بالمصطفى من طارفى وتلادى

قال محمد بن سلام الجمحى قال أبى ذاكرت مروان بن أبى حفصة شعر جرير والفرزدق وكثير فذهب الى تقديم كثير ، وجعل يطريه ويقول : هو أمدحهم للخلفاء ، فقلت أمن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان

ترى ابن أبى العاصى وقد صُفّ دونهُ * ثمانون ألفاً قد توافت كُولها
يقلِب عينىْ حية بمفازةٍ * اذا أمكنته شدة لا يُقيلها

فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً وجعله يقلب عينى حية ، وقوله

وان أمير المؤمنين هو الذى * غزا كامنات الود منى فنالها

زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره ، وقوله لعبد العزيز ابن مروان

وما زالت رُقاكَ تَسُلُ ضغنى * وتخرج من مكامنها ضبابى
ويرقينى لك الحاوون حتى * أجابك حية تحت الحجاب

زعم أن عبد العزيز تزكأه واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ، أكذا تمدح الملوك ؟ فأسكته

كلمات مأثورة

فصول قِصار — من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ — العبد حر اذا قنع ، والحر عبد اذا طمع — الأماني تخدعك ، وعند الحقائق تدعك — اذا كان الطمع هلاكا ، كان اليأس ادراكا — ليس يعد حكيما من لم يكن لنفسه خصيما — تعز عن الشيء اذا منعته ، لقلة مايصحبك اذا منحته — تجرع مضض الصبر ، تطفئ نار الضر — الحكمة حفظ ما كلفت ، وترك ما كفيت — الصبر عن محارم الله ، أيسر من الصبر على عذاب الله

شذور لأهل العصر فى معان شتى — قطعة من كلام الامير قابوس بن وشمكير شمس المعالى فى أثناء رسائله : بزند الشفيع تورى نار النجاح ، ومن كف المفيض ينتظر فوز القِداح ، الوسائل أقدام ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات العفو عن المجرم من موجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم ، وبالقوادم والخوافى قوة النجاح ، وبالأسنة والعوالى عمل الرماح ، الدنيا دار تغرير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، والناس متصرفون بين كل وِرد وصدَر ، وصائرون خبَراً بعد أثر ، غاية كل متحرك إلى سكون ، ونهاية كل متكون أن لا يكون ، وآخر الاحياء فناء ، والجزع على الاموات غناء ، واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على الهالك — حشو الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم ، إذا سمح الدهر بالحباء ، فابشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار ، الدهر طعمان حلو ومر ، والايام ضربان عسر ويسر ، لكل شئ غاية ومنتهى ، وانقطاع وان بلغ المدى ، ترك الجواب داعية الارتياب ، والحاجة الى الاقتضاء ، كسوف فى وجه الرجاء ، هم المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وان كان قصيرا طويل ، النجيب اذا جرى لم يشق غباره ، واذا سرى لم تلحق آثاره ، ومن أين للضباب صوب السحاب

وللغراب هُوِىُّ العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس فى الضياء

شمس المعالى

وقد ترجم عن شمس المعالى أبو منصور الثعالبى فى كتاب ألفه له . قال فى أوله : أما على أثر حمد الله الذى هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكنى دار ثوابه ، والصلاة على خِيرته ، من بريته ، وعلى الصفو من ذريته ، فان خير الكلام ماشغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة إلى نفوذ الحكم . وجعله مميزا على ملوك العصر ، ومدبرى الأرض وولاة الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلها بالعبارات ، ومحاسن الأيام ، تحرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها ألسنة الليالى والأيام ، وهذه صفة تغنى عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه اياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ولعلم سامعها ببديهة السماع انها للأمير شمس المعالى خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الاخيار ، واجماع الاولياء ، واتفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافى الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزَع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ، وملكه أزمّة الأمر ، كما ملكه أعِنّة الفضل ، وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بادامة أيامه التى هى أعياد الدهر ، ومواسم اليُمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده فى الشرف علوًّا ، حتى تكون السعادات وفد بابه ، والبشائر قِرى سمعه ، والمسارّ غذاء نفسه ، ويترامى به الاقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعه أجل

نحافى قوله وهذه صفة تغنى عن الموصوف الى قول أبى الطيب يرثى أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يابنت خير أبٍ * كناية بهما عن أشرف النسبِ
أجل قدرك أن تسمىْ مؤنثةً * ومن دعاك فقد سماك للعرب

وفى شمس المعالى يقول الأمير أبو الفضل الميكالى

لاتعصينْ شمس العلى قابوسا * فمن عصى قابوس لاقى بُوسا

وله يقول بديع الزمان فى قصيدة نظمها فى تضاعيف رسالة موشحة

إنَّ من كنت من مُناه بمرأًى * وتعدّاك سيّئ الاقتراحِ
بين بشرٍ يردُّ غائض جاهى * وقبول يعيد ريش جناحى
وبساط وردت مشرعة الأنس * بهِ وادَّرعت بُرد النجاح
فاقض أوطاراً التقت والمعالى * فى نظام من النهى ونضاح
ملك دونه تقطع أبصا * رالليالى يوماندًى وكفاح
ملك لويشاء مد على النجـ * ـم رواقا وردَّ وفد الرياح
تارة فى خشونة الدهرِ تلقا * هُ وطوراً فى حسن ذات الوِشاح
ملك كلما بدا تقف الافلا * كُ عُجباً به وفرط ارتياح
هكذا هكذا تكون المعالى * طُرُق الجد غير طرق المزاح

وهى طويلة كتبتها على طريق الاختيار

رسائل البديع

رقعة لبديع الزمان الى شمس المعالى وقد ورد حضرته: لم تزل الا مال — أطال الله بقاء الأمير السيد شمس المعالى وأدام سلطانه — تعدنى هذا اليوم ، والأيام تمطلنى بألسنة صروفها ، على اختلاف صنوفها ، بين حلو استرقنى ، ومر استخفنى ، وشر صار إلىّ ، وخيرٍ ما صرت اليه ، وأنا فى خلال هذه الأحوال أذرع الآفاق ،

فأكون طوراً مشرقاً للمشرق ، وطوراً مغرباً للمغرب ، ولا مطمح إلا حضرته الرفيعة ، وسُدته المريعة ، ولا وسيلة الا المنزع الشاسع ، والأمل الواسع ، وقد صرت أطال الله بقاء الأمير بين أنياب النوائب ، ونجشمت هول الموارد ، وركبت أكتاف المكاره ، ورضعت أخلاف العوائق ، ومسحت أطراف المراحل ، حتى حضرت الحضرة البهية ، أوكدت ، وبلغت الأمنية ، أوزدت ، وللأمير السيد فى الاصغاء الى المجد ، والبسط من عنان الفضل ، بتمكين خادمه من المجلس يلقاه بقدمه ، والبساط يلثمه بفمه ، تفضله ، فله الرأى العالى ان شاء الله وله الى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف اليه ما أنشأه فبعث به وكتب اليه .

مرحباً بسلام الشيخ سيدى ومولاى أطال الله بقاه ، ولا كالمرحب بطلعته. وقد وصلت تحيته ، فشكرتها ، وعِدته الجميلة بالحضور غدا ، فانتظرتها . ودعوت الله أن يطوى ساعات النهار ، ويزج الشمس فى المغار ، ويقرب مسافة الفلك الدوّار ، ويرفع البركة من سيره ، ويجهز الحركة إلى دوره ، ويسرنى بوفد الظلام وقد نزل ، ثم لم يلبث الا ريثما رحل ، وقد بعثت بما طلب سمعا لأمره وطاعة ، والنسخة أسقم من أجفان الغضبان ، والشيخ سيدى أدام الله عزه يركض قلمه فى اصلاحها ، وحبذا هو فى غد ، وقد طلع كالصبح اذا سطع ، والبرق اذا لمع

يامرحباً بغد ويا أهلاً بهِ * ان كان إلمام الأحبة فى غدِ

(وله الى أبى الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبى ابراهيم اسماعيل بن احمد) لو كان للكرم عن جناب الشيخ منصرَفٌ لا نصرفت ، أو للأمل منحرَف الى سواه لانحرفت ، أو للنجح باب سواه لو لجت ، أو للفضل خاطب غيره لزوّجت ، ولكن أبى الله أن يعقد الا عليه الخنصر ، أو يتحلى الا بفواضله الدهر ، ولا يزال كذا يتسم المجد بسميته ، ويجذب العلاء بهمته ، ويسعد الدين بنظره ،

والدنيا بجماله ، وغلامه أنالو استعار الدهر لسانا ، واتخذ الريح ترجمانا ، ليشبع انعامه حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة ، فليس الا أن يلبس مكارمه ضافية سابغة ، ويردمشارعه صافية سائغة ، ويحيل الجزاء على يد قُصور ، والشكر على لسان قصير ، ثم ان حاجاتي اذا لم يعر من قلائد المجد نحرها ، ولم يعطل من حلى المجد صدرها كبر مهرها ، وعز كفؤها ، ولم أجد لها الا واحدا أخضر الجلدة فى بيت العرب ، أو ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكَرَب[1] ، وهذه حاجة أنا أزفها الى الشيخ الامام حرس الله مهجته ، وأسوقها منظومة من الصدر الى العجُز ، كما يساق الماء الى الارض الجرُز[2] ، وأنا من مفتتح اليوم الى مختتمه ، ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركى ، والديك الهندى ، فى هذا الأدحى"[3] ، يمر بى أولو الحلى والحلل ، ويجتاز ذو والخيل والخول ، وما أنا والنظر الى مالا يلينى ، والسؤال عما لا يعنينى واليوم لما افتضضنا عُذْرة الصباح ، ملأت جفونى من منظرٍ ماأحوجه إلى عيب يصرف عين كماله ، عن جماله ، فقلت لمن حضر من هذا ؟ فأخذ وايحركون الرؤس استظرافا لحالى ، ويتغامزون تعجبا من سؤالى ، وقالوا هذا الشيخ الفاضل أبو ابراهيم اسماعيل بن أحمد ، فقلت حرس الله مهجته ، وأدام غبطته ، فكيف الوصول الى خدمته ، وأنى مأتى معرفته ، قالوا ان الشيخ الامام أدام الله تأييده يضرب فى مودته بالقدح المعلَّى ، ويأخذ فى معرفته بالحظ الاعلى ، فان رأى الشيخ أطال الله بقاه أن تجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة ، ففعل ، ان شاء الله

جعفر بن يحيى

قال الرشيد ليحيى بن خالد : يا أبت انى أردت أن أجعل الخاتم الذى يد فى الفضل الى جعفر وقد احتشمت منه فا كفنيه ، فكتب اليه يحيى : قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله أمره أن يحول الخاتم من يمينك الى شمالك ، فأجاب الفضل : قد

---

(١) الكرب ، بفتحتين ، الحبل بلى الماء (٢) الجرز ، بضمتين ، الارض لا تنبت شيئا (٣) الأدحى : بيض النعام

سمعت ما قاله أمير المؤمنين فى أخى ، وقد اطلعت على أمره ، وما انقلبت عنى نعمة صارت اليه ، ولاعزبت عنى رتبة طلعت عليه ، فقال جعفر : لله أخى ما أنفس نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منّة العقل فيه ، وأوسع فى البلاغة ذَرعه ، وأرحب بها جنابه ، يوجب على نفسه ما يجب له ، ويحمل بكرمه فوق طاقته . وذكر جعفر بن يحيى فى مجلس ثمامة بن أشرس فقال : ما رأيت أحداً من خلق الله كان أبسط لسانا ، ولا ألحن بحجة ، ولا أقدر على كلام بنظم حسن ، وألفاظ عذبة ، ومنطق فصيح ، من جعفر بن يحيى ، كان لا يتوقف ، ولا يتحبس ولا يصل كلامه بحشو من الكلام ، ولا يعيد لفظا ولا معنى ، ولا يخرج من فن الى غيره حتى يبلغ آخر ما فيه ، وكان لا يرى شيئا الا حكاه ، ولا يحكى شيئا الا كان أكثر منه ، ولا يمرّ بذهنه شئ الا حفظه ، وكان اذا شاء أضحك الثكلى ، وأذهل الزاهد ، وخشّن قلب العابد. قلت فكيف كانت معرفته ؟ قال كان من أعلم الناس بالخبر الباهر ، والشعر النادر ، والمثل السائر ، والفصاحة التامة ، واللسان البسيط

قال سهل بن هارون وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفرا فقال: لو كان الكلام متصوّرا درا ويلقيه المنطق جوهرا ، لكان كلامهما ، والمنتقى من الفاظهما . ولقد غبرت معهما ، وأدركت طبقة المتكلمتن فى أيامهما ، وهم يرون البلاغة لم تستكمل الا فيهما ، ولم تكن مقصورة الا عليهما ، ولا انقادت الا لهما ، وانهما للُباب الكرم ، عِتق منظر ، وجودة مخبر ، وسهولة لفظ ، وجزالة منطق ، ونزاهة نفس ، وكمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما ، والمأثور من خصائصهما جميع أيام من سواهما من لدن آدم الى أن ينفخ فى الصور ، ويبعث أهل القبور ، حاشا أنبياء الله الكرام ، وسلف عباده الصالحين ، لما باهت الا بهما ، ولا عولت فى الفخر الا عليهما ، ولقد كانا مع تهذيب أخلاقهما ، ومعسول مذاقهما ، وسنا اشراقهما ، وكمال خصال الخير فيهما ، فى محاسن المأمون كالنقطة فى البحر ، والخردلة فى القفر

ووقّع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب : قد قدُمت طاعتك ، وظهرت نصيحتك ، ولا تغلب سيئة حسنتين * ووقع وقد قرأ كتابا فاستحسن خطه : الخط خيط الحكمة ، ينظم فيه منثورها ، ويفصّل فيه شذورها — واختصم رجلان بحضرته فقال لأحدهما أنت خلىّ ، وهذا شجىّ ، فكلامك يجرى على برد العافية ، وجوابه يجرى على حر المصيبة — ودخل مروان بن أبى حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده

أبر فما ترجو الجياد لِحاقهُ * أبو الفضل سبّاق الاضاميم جعفرُ
وزيرٌ إذا ناب الخلافة حادثٌ * أشار بما عنه الخلافة تصدرُ

فقال جعفر أنشدنى مرثيتك فى معن بن زائدة فأنشده

أقمنا باليمامة أو نسينا * مقاماً ما نريد به زوالا
وقلنا أين نذهب بعد معنٍ * وقد ذهب النوال فلا نوالا
وكان الناس كلهم لمعنٍ * إلى أن زار حُفرَتَهُ عيالا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يرسل دموعه على خديه ، فقال : هل أثابك على هذه المرثية أحد من أهل بيته وولده ؟ قال لا ، قال فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أربعمائة دينار ، قال فانا كنا نظن انه لا يرضى لك بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ، فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار ، قبل أن تخرج ، فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن

نفحت مكافئاً عن جود معنٍ * لنا فيما نجود به سِجالا
فعجّلت العطية يا ابن يحيى * لنادبهِ ولم ترد المِطالا
فكافأ عن صدى معن جوادٌ * بأجود راحةٍ بذلت نوالا
بنى لك خالدٌ وأبوك يحيى * بناءً فى المكارم لن يُنالا
كأن البرمكىّ لكل مالٍ * تجود به يداه يفيد مالا(١)

(١) يفيد : يستفيد

أخذ هذا من قول زهير

تراه اذا ماجئتهُ متهللاً * كأنك تعطيه الذى أنت سائِلُهْ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها

وذى نعمةٍ تمنّها وشكرتها * وخصم يكاد يغلب الحق باطلُهْ
دفعت بمعروفٍ من الحق صائبٍ * إذا ما أضلّ القائلين معاضله
وذى خَطَلٍ فى القول يحسب أنهُ * مصيب فما يلمِمْ به فهو قائلُهْ
عبأت له حلما وأكرمت غيرهُ * وأعرضت عنهُ وهو بادٍ مقاتلُهْ
وأبيضَ فياضٍ يداه غمامةٌ * على معتفيه ماتغبّ نوافله
غدوت عليه غدوةً فرأيتهُ * قعوداً لديه بالصريم عواذله
يفدّينه طوراً وطوراً يلمنهُ * وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأعرضن عنه عن كريم مدرَّأٍ * جموح عن الأمر الذى هوفاعله
أخى ثقةٍ لايذهب الخير مالهُ * ولكنه قد يذهب المال نائله

شىء من النقد

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر فى معنى أبيات زهير الاولى : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لامن طريق ماهم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ماعليه أهل الالباب من الاتفاق فى ذلك ، انما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئاً . وقد قال زهير :

أخى ثقةٍ لايتلف الخمر مالهُ * ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه بالعفة لقلة امعانه فى اللذات ، وانه لاينفذ فيها ماله، وبالسخاء لاهلاك ماله فى النوال ، وانحرافه إلى غير ذلك من اللذات ، وذلك هو العدل ، ثم قال

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فزاد فى وصف السخاء بأنه يهش ولا يلحقه مضض ولا تكرّه لفعله، ثم قال :

فذلك حصنٌ فى الحروب ومثلهُ * لانكار ضيم أو لأمر يحاوله

فأتى فى هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، ، فاستوفى ضروب المدح الأربعة التى هى فضائل الانسان على الحقيقة ، وزاد الوفاء وان كان داخلا فى الأربعة ، فكثير من الناس لايعلم وجه دخوله فيها حيث قال أخى ثقة فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل فى هذه الفضائل التى قدمناها ، وقد يتفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الاربع وأقسامها ، وكل ذلك داخل فى جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وهو من أقسام العقل ، وكذكرهم القناعة ، وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك أيضاً من أقسام العفة ، وكذكرهم الحماية ، والأخذ بالثار ، والدفاع ، والنكاية ، والمهابة وقتل الأقران ، والسير فى المهامة والقفار ، وما يشاكل ذلك وهو من أقسام الشجاعة ، وكذكرهم السماحة، والتغابن ، والانظلام ، والتبرع بالنائل ، واجابة السائل ، وقرى الأضياف ، وما جانس هذه الاشياء ، وهو من أقسام العدل ، فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالوعود ، وعن تركيب العقل مع السخاء انجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ، وعن تركيب العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك . وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الاخلاف، والاتلاف ،وما أشبه ذلك ، وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ، ومن السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت ، والايثار على النفس ، وما شاكل ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع وسط بين طرفين مذمومين (١)

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر لما حج الرشيد مع البرامكة

---

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالى » لتفهم هذا البحث

أتانا بنو الاملاك من آل برمكٍ * فيا طِيب أخبارٍ ويا حُسن مَنْظَرِ
لهم رِحلة فى كل عام الى العِدى * وأخرى الى البيت العتيق المشهّرِ
فتُظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدجا * بمكة ما حجُّوا ثلاثة أقمر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خُلقت إلا لجودٍ أكفهم * وأقدامهم إلا لأعواد مِنْبَرِ
اذا راض يحيى الأمر ذلت صعابهُ * وحسبك من راع له ومدبّرِ
ترى الناس إجلالاً له وكأنهم * غرانيق ماءٍ تحت باز مصرصر (١)

شعر الميكالى

قطعة من شعر الامير أبى الفضل الميكالى فى طرف آخذ بطرف من التجنيس مستطرف فى ضروب من الغزل. قال

لقد راعنى بدر الدجا بصدودهِ * ووكل أجفانى برعى كواكبهْ
فياجزعى مهلاً عساه يعود لى * ويا كبدى صبراً على ما كواكِ بهْ

وقال مواعيد فى الفضل أحلام نائم * أشبهها بالقفر أو بسرابهِ
فمن لى بوجهٍ لو تحير فى الدجا * أخو سفر فى ليل غيم سرى بهِ

وقال صِلْ محباً أعياه وصف عواذُ * فضناه ينوب عن ترجمانهْ
كلما راقه سواك تصدّتْ * مقلتاهُ بدمعهِ ترجمانه

وقال ياذا الذى أرسل من طرفهِ * علىَّ سيفاً قدّنى لوفرا
شفاء نفسى منك تخميشةٌ * تغرس من خدّك نيلوفرا

وقال يامبتلًى بضناهُ يرجو رحمةً * من مالك يشفيه من أوصابهِ
اصبر على مضض الهوى فلربما * تحلو مرارةُ صبرهِ أو صابه

وقال كتبت إليه أستهدى وصالاً * فعلانى بوعدٍ فى الجواب
ألا ليت الجواب يكون خيراً * فيطفئ ما أحاط من الجوى بى

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائى أسود ، والبازى : الصقر

وقال إن كنت تأنس بالحبيب وقربهِ * فاصبر على حكم الرقيب ودارهِ
إنَّ الرقيب اذا صبرت لحكمهِ * بوّاك فى مثوى الحبيب ودارهِ

وقال

شكوت اليه ما ألاقى فقال لى * رويداً ففى حكم الهوى أنت مؤتلى
فلو كان حقا ما ادَّعيت من الهوى * لقلّ بما تلقى اذاً أن تموت لى

وقال نوى لى بعد اكثار السؤال * حبيبٌ أن يسامح بالنوالِ
فلما رمت انجازاً لوعدى * عليه أبى الوفاءَ بما نوى لى
وكان القرب منه شفاء نفسى * فقد قضت النوائب بالنوى لى

وقال سقياً لدهر مضى والوصل يجمعنا * ونحن نحكى عِناقا شكل تنوينِ
فصرت إذ علقت كفى حبائلكمُ * فسَهْمُ هجرك ترمى ثم تنوينى

وقال صَدَفَ الحبيب بوصلهِ * فجفا رقادى إذ صَدَفْ
ونثرت لؤلؤ أدمعٍ * أضحى لها جفنى صَدَفْ

وقال يا من يقول الشعر غير مهذبٍ * ويَسُومنى التعذيب فى تهذيبهِ
لو أن كل الناس فيك مساعدى * لعجزت عن تهذيب ما تهذى بهِ

وقال أراد أن يخفى هواه وقد * نمّ بما تخفى أساريرُهُ
وكيف يخفى داءَه مُدنفٌ * قد ذاب من فرط الأسى رِيرُهُ(١)

وقال ومهفهف تهفو بلا * ب المرء منه شمائلُ
فالردف دِعص هائلٌ * والقدّ غصنٌ مائلُ
والخدّ نور شقائق * تنشقّ عنه خمائلُ
والعَرف نشر حدائقٍ * تمت بِهنّ شمائلُ
والطرف، سيفٌ ماله * الا العِذار حمائلُ

ولأبى الفتح البستى فى هذا المذهب

إن لى فى الهوى لساناً كتوماً * وجناناً يخفى حريق جَوَاهُ

(١) الرير : الدم، أو ذائب المخ

غير أنى أخاف دمعى عليهِ * ستراه يفشى الذى ستراه

ولأبى الفتح البستى فى مذهب هذا البيت الأخير

ناظراه فيما جنى ناظراهُ * أودعانى أمتْ بما أودعانى

وله خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن فى الكلام لكل الانام * فمستَحسَنٌ من ذوى الجاه لين

وله الى حتفى سعى قدمى * أرى قدمى أراق دمى

فما أنفك من ندمى * وليس بنافعى ندمى

وله إن هز أقلامه يوماً ليعملها * أنساك كل كمىّ هز عاملَهُ

وان أقر على رق أناملهُ * أقر بالرق كتّاب الأنام لهُ

وقال لمن استدعاه الى مودته

فديتك قلَّ الصديق الصدُوق * وقلّ الخليل الحفىّ الوفى

ولى راغب فيك إما وفيت * فهل راغب أنت فى أن تفى

وللأمير أبى الفضل

أهلاً بظبى حواه قصرٌ * كجنة قد حوت نعيما

طرقته لا أهاب سواً * أبا حنى حبُّه الحريما

فجاد من فيه لى براحٍ * تنفى حريقاً به قديماً

أفدى حريقاً أباح ريقاً * لا بَلْ حريماً أباح ريما

وله

من لى بشمل المنى والأنس أجمعهُ * بشادن حلَّ فيه الحسن أجمعهُ

ما زال يعرض عن وصلى وأخدعهُ * فالآن قد لان بعد الصد أخدعهُ (١)

وقال

بأبى غزالٌ نام عن وصبى بهِ * ومراق دمعى للنوى وصبيبهِ

ياليته يرثى على ولهى بهِ * لغرام قلبى فى الهوى ولهيبهِ

(١) الاخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

وله فى هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخمورا خمش وجهه

هبه تغيَّر حائلا عن عهدهِ * ورمى فؤادى بالصدود فأزعجا
ما بال نَرْجسهِ تحوَّل وردةً * والورد فى خديه عاد بنفسجا

وله فى هذا المعنى

وريم على السكر خَمّشتهُ * بقرصٍ بعارضه أثّرا
فأصبح نرجسه وردةً * ووردة خديه نيلوفرا

وقال فى وصف العِذار

ظبى كسارأس الشباب بعارضٍ * نمَّ العِذارُ بحافتيه فلاحا
فكأنما أهدى لعارض خدِّهِ * شعرى ظلاماً واستعاض صباحا

وقال فى غلام افتصد

ومُهَفْهَفٍ غرس الجما لُ بخده روضا مريعا
فصد الطبيب ذراعهُ * فجرى له دمعى ذريعا
وأمسّنى وقع الحديـ * ـدِ بعرقهِ ألماً وجيعاً
فأريته من عَبرتى * ما سال من دمهِ نجيعا

أوصاف العلماء

فِقَر فى ذكر العلم والعلماء — العلماء ورثة الانبياء ، العلماء أعلام الاسلام ، العلماء فى الأرض كالنجوم فى السماء (ابن المعتز) العلماء غرباء ، لكثرة الجهال — وله : العلم جمال لايخفى ، ونسب لايخفى — وله: زلة العالم كانكسار سفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير — غيره اذا زل العالم زل بزلته عالَم — غيره : الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك — من لم يحتمل ذل التعلم ساعة ، بقى فى ذل الجهل أبداً — ماصِين العلم بمثل بذله لأهله — من كتم علما فكأنه جاهله — العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله — أبو الفتح كشاجم

لاتمنع العلم امرأً والعلم يمنع جانبَه
أما الغبي فليس يف هم لطفهُ وغرائبه
وتكون حاضرة الفوا ئد عنده كالغائبه
وأخو الحصافة مس تحق أن ينال مطالبه
فبحقه أعطيتهُ * من فضل علمك واجبه

ومن رق وجهـه عند السؤال ، رق علمه عند الرجال — علم بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر — كما لاينبت المطر الكثير الصخر ، كذلك لاينفع البليد كثرة التعلم — من ترفَّع بعلمه ، وضعه الله بعمله — الجاهل صغير وان كان كبيراً ، والعالم كبير وان كان صغيرا — من أكثر مذاكرة العلماء ، لم ينس علما ، واستفاد مالم يعلم (ابن المعتز) المتواضع فى طلاب العلم أكثرهم علما ، كما ان المكان المنخفض أكثر البقاع ماء — اذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال ، واذكر من فوقك من العلماء — النار لاينقصها ما أخذ منها ، ولكن ينقصها ألاَّ تجد حطبا ، كذلك العلم لايفنيه الاقتباس منه ، وفقد الحاملين له سبب عدمه — مات خزنة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات مثل علم لاينفع ككنز لاينفق منه — أزهد الناس فى عالم جيرانه

وقيل للصلت بن عطاء وكان مقدماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم من هو آدب منك؟ قال ليس للقرباء ، ظرافة الغرباء ، وكنت امرءًا بعيد الدار ، نائى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛ فرغبهم فىَّ رغبتى عنهم ، وزهدنى فيهم رغبتهم فىَّ — علم لايعبر معك الوادى ، لايعمر بك النادى — لوسكت من لايعلم لسقط الاختلاف * اذا ازدحم الجواب خفى الصواب — الغلط تحت اللغط — خرق الاجماع خُرق — المحجوج بكل شىء ينطق

استعارات فقهية

(استعارات فقهية تليق بهذا المكان) دخل أبو تمام الطائى على أحمد بن أبى دوّاد فى مجلس حكمه وأنشده أبياتا يستمطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال سيأتيك ثوابها ياأبا تمام ، ثم اشتغل بتوقيعات فى يده ، فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال: احضر أيدك الله فانك غائب ، واجتمع فانك مفترق ، ثم أنشده

ان حراماً قبول مدحتنا * وترك مانرتجى من الصفَدِ
كالدنانير والدراهم فى الصر * ف حرامٌ الا يداً بيدِ

فأمر بتوفير حبائه ، وتعجيل عطائه — ولما ولى طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهنونه ، وفيهم تمام بن أبى تمام فأنشده

هناك رب الناس هنّا كا * مامن جزيل الملك أعطا كا
قرّت بما أعطِيت يذا الحجى * والبأس والانعام عينا كا
أشرقت الارض بما نِلتَهُ * وأورق العود بجدوا كا

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا: يابعد مابينه وبين أبيه ! فقال طاهر لبعض الشعراء أجبه فقال

حيّاك رب الناس حيا كا * ان الذى أملت أخطا كا
فقلت قولا فيه مازانهُ * ولو رأى مدحا لواسا كا
فهاك ان شئت بها مدحةً * مثل الذى أعطيت أعطا كا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، انّ الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما صنجا من الدراهم ، حتى يحل لى ولك! فضحك وقال : إلا يكن معه شعر أبيه ، ، فمعه ظرف أبيه ، أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن اسحاق لولم يعط الاالقول أبيه فى الامير أبى العباس رحمه الله يريد عبدالله بن طاهر

يقول فى قومَسٍ صحبى وقد أخذَتْ * منّا السُّرى وخُطا المَهْرّية القُودِ

أمطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا * فقلت كلا ولـكن مطلع الجودِ

فقال ويعطى بهذا ثلاثة آلاف — وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ماحدث به أبو العيناء قال: كنا عند احمد بن أبى دؤاد فجاء الخبر أن الكتب وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يعزى عنه ، وانه قد ولى مكانه خراسان اسحاق بن ابراهيم ، وكان عدوّا له لانحراطه فى سلك ابن الزيات ، فلبس ثيابه ومضى ، وقال لاتبرحوا حتى أعود اليكم ، فلبث قليلا ثم عاد الينا فحدثنا انه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس ، قال فقال لى الواثق قد ولينا اسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت وفق الله أمير المؤمنين ولا ندمه ، قال قل ماعندك فى هذا ، قلت أمر قد أمضِى فما عسيت أن أقول فيه قال لتفعلن ، فقلت ياأمير المؤمنين خراسان منذ ثلاثين سنة فى يد طاهر وابنه ، وكل من بها صنائعهم ، وقد خلف عبد الله عشر بنين أكثرهم رجال ، وجميع جيش خراسان لهم عبيد أو موالى أو صنائع ، وسيقولون أما كان فينا مصطَنع ، وكان يجب أن يجربنا أمير المؤمنين ، فان وفينا بما كان يفى به أبونا وجدنا والا استبدل منا بعد عذر فينا ، ويقدم خراسان اسحاق وهو رجل غريب فينا فسه هؤلاء ، ويتعصب أهلها لهم ، فينتقض ما أبرم ، ويفسد ماأصلح ، قال صدقت ياأبا عبد الله والرأى ماقلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله على خراسان ، فكتبت كتب طاهر ، وحرقت كتب اسحاق ، فخرجت الزنج تطير بها ثم لقينى اسحاق داخلا فقلت ياأبا الحسن لاعدمت عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان بكلمة — ومدح ابن الرومى أبا العباس بن ثوابة ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة يمدح أخاه بها فقال ابن الرومى

أليس القوافى بنات القنى * اذا صورة الحق لم تمسَخِ
فلا تقبلنَّ أماديحَهُ * حرامٌ نكاح بنات الأخِ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته فى المعتصم : السيف أصدق انباء من الكتب

قال له لقد جلوت عروسك يأبا تمام فأحسنت جلاءها . قال ياأمير المؤمنين والله لوكانت من الحور العِين لكان حسن اصغائك اليهامن أو فى مهورها .

وقال الاميرأبو الفضل الميكالى

أقول لشادنٍ فى الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمىّ
ملكت الحسن أجمع فى قوام * فأدّ زكاة منظرك البهىّ
وذلك أن تجود لمستهام * بريقٍ من مقبّلك الشهى
فقال أبو حنيفة لى امامٌ * فعندى لازكاة على الصبىّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال

أقول لشادنٍ فى الحسن فردٍ * يصيد بلحظهِ قلب الجليدِ
ملكت الحسن أجمعَ فى قوام * فلا تمنع وجوباً عن وُجودِ
وذلك أن تجود لمستهامٍ * برشف رضابك العذب البَرودِ
فقال أبو حنيفة لى إمامٌ * فعندى لا زكاة على الوليد

وقال

بنفسى غزالٌ صار للحسن قبلةً * يُحج من البيت العتيق ويُقصَدُ
دعانى الهوى فيه فلبيت طائعا * وأحرمت بالاخلاص والسعى يشهد
فطرفىَ بالتسهيد والدمع قارنٌ * وقلبى عليهِ بالصبابة مفردُ

وقال أبو الفتح كشاجم

فديت زائرة فى العيد واصلةً * والهجر فى غفلة من ذلك الخبرِ
فلم يزل خدّها ركناً أطوف بهِ * والخال فى خدّها يغنى عن الحجرِ

رسالة لبديع الزمان

وينضاف الى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان الى أبى نصر بن المرزبان : كتابى أطال الله بقاء الشيخ وأنا متألم ، والحمد لله رب العالمين

كيف تقلّب الشيخ فى دِرع العافية ، وأحواله بتلك الناحية ، فانى ببعده مُنغّص شرعة العيش ، مقصوص أجنحة الأنس ، ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته ، على ما رغبت الى الله فى إدامته ، وسكنت اليه بعد انزعاجى لتأخره ، وقد كان رسم أن أعرّفه سبب خروجى من جرجان ، ووقوعى بخُراسان . وسبب غضب السلطان ، وقد كانت القصة أنى لما وردت من ذلك السلطان حضرته التى هى كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومستقرّ الكرم ، لا مَشْعَر الحرم ، وقبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة ، ومُنى الضّيف ، لا مِنى الخيف ، وجدت بها ندماء من نبات العام [1] ، اجتمعوا قِيضة كلب [2] على تلفيق خَطْب ، أزعجنى عن ذلك الفِناء ، وأشرف بى على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ، ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الذى قالوا ، وبالجملة غيروا رأى السلطان ، فأشار علىّ إخوانى ، بمفارقة مكانى ، وبقيت لا أعلم أيَمنةً أضرب أم شآمة ، ونجدا أقصد أم تهامة

ولو كنت فى سلمىٰ أجاو شِعابها * لكان لحجاجٍ علىّ دليلُ

وقد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماءٌ اذا تغيم لم يُرج صحوه ، وماءٌ اذا تغيّر لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضاه والسخط عُرجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فُرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حِجاز ، فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ، ولا يرضيه العذر الجلى ، وتكفيه الجناية وهى إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهى إجحاف ، حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح ، وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ، وذو يدين يبسط أحداهما الى السفك ، والسفح ،

---

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد (٢) قيضة كلب : القيضة بالكسر هى العظم ، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلاب

ويقبض الاخرى عن العفو والصفح ، وذو عينين يفتح أحدهما الى الجُرم ، ويغمض الاخرى عن الحِلْم ، فمزجه بين القدّ والقطع ، وجدّه بين السيف والنطع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون . ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب الا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرّة ، ودِقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ، ثم ان النعم بين لفظه وقلمه ، والارض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولىّ الا بغمة ، ولا العدوّ الا بذمّة ، والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما ان الأجسام بين حله ووثاقه ، فنظرت فاذا أنا بين جودين: إما أن أجود بباسى ، وإمّا أن أجود براسى وركو بين : إمّا المفازة ، وإمّا الجنازة ، وبين طريقين: إمّا الغُربة ، وإمّا التربة ، وبين فراقين: إمّا أن أفارق أرضى ، أو أفارق عرضى ، وبين راحلتين: إمّا ظهور الجمال ، وإمّا أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت

اذا لم يكن الا المنية مركبٌ * فلا رأى للمحمول الا ركوبُها

ولّد ما ذكر من كعبة الحجاج ، من قول أبى تمام

بيتان حجهما الانام فهذهِ * حج الغنىّ وتلكمُ للمعدمِ

أبو على بن جعفر البصير

وشتم بعض الطالبيين أبا على الفضل بن جعفر البصير فقال أبو على: والله ما نعيا عن جوابك ، ولا نعجز عن مسابّك ، ولكنا نكون خيراً لنسبك منك ونحفظ منه ما أضعت ، فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك — وسأل أبو على البصير بعض الرؤساء حاجة ولقيه فاعتذر اليه من تأخرها فقال أبو على : فى شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استبطاء ما تأخر منه

وأبو على أحد من جمع له حظ البلاغة فى الموزون والمنثور ، وهو القائل

ألَمّت بنا يوم الرحيل اختلاسةً * فأضرم نيرانَ الهوى النظرُ الخلْسُ
تأبَّت قليلا وهى تُرعَدُ خيفةً * كما تتأبَّى حين تعتدل الشمسُ
فخاطبها صمتى بما أنا مضمرٌ * وأنبست حتى ليس يُسمع لى حِسُّ
وولّت كما ولى الشباب لِطيةٍ * طوت دونها كشحاً على يأسها النفسُ

وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره

سمعنا بأشعار الملوك فكلها * اذا عضّ متنيه الثقاف تأوّدوا
سوى مارأينا لامرئ القيس اننا * نراه متى لم يشعر الفتح أوحدا
أقام زماناً يسمع القول صامتاً * ونحسبه إن رام أكْدَى وأصلدا

والفتح بن خاقان يقول

وانى وإياها لكالخمر والفتى * متى يستطع منها الزيادة يزددِ
اذا ازدت منها زاد وجدى بقربها * فكيف احتراسى من هوًى متجدّدِ

كتابه الى عبيد الله بن يحيى

وكتب الى أبى الحسن عبيد الله بن يحيى : وان أمير المؤمنين لما استخلصك لنفسه ، وائتمنك على رعيته ، فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه اليك بعد امتحانه إياك ، وتسليطه الحق على الهوى فيك ، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا لمرتبتك ، وجروا الى غايتك ، فأسقطهم مضاؤك ، وخفوا فى ميزانك ، ولم يزدك اكرمك الله رفعة وتشريفا ، الا ازددت له هيبة وتعظيما ، ولا تسليطا وتمكينا ، الا زدت نفسك عن الدنيا عزوفاً وتنزيها ، ولا تقريبا واختصاصا ، الا ازددت بالعامة رأفة وعليها حدبا ، لا يخرجك فرط النصح ، عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه عن الأخذ بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمين ماهو عليه ، ولا تشغلك معاناة كبار الأمور عن تفقُّد صغارها ، ولا الجدّ فى صلاح ما يصلح منها عن النظر فى عواقبها ، تمضى

ما كان الرشد فى إمضائه . وترجئ ما كان الحزم فى ارجائه ، وتبذل ما كان الفضل فى بذله ، وتمنع ما كانت المصلحة فى منعه . وتلين فى غير تكبر ، وتخص فى غير ميل ، وتعم فى غير تصنع . لا يشقى بك المحق وان كان عدوا ، ولا يسعد بك المبطل وان كان وليا ، فالسلطان يعتدّ لك من الغَناء والكفاية ، والذب والحياطة . والنصح والأمانة ، والعفة والنزاهة . والنصَب فيما أدى الى الراحة ، بما يراك معه حيث انتهى احسانه اليك مستوجبا للزيادة ، وكافة الرعية الا من غمط منهم النعمة مثنون عليك بحسن السيرة . ويمن النقيبة ، ويعدون من مآثرك انك لم تدحض لأحد حجة . ولم تدفع حقا لشبهة . وهذا يسير من كثير لو قصدنا لتفصيله ، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

(وله الى عبيد الله بن يحيى) يقطعنى عن الأخذ بحظى من لقائك ، وتعريفك ما أنا عليه من شكر انعامك ، وافرادى إياك بالتأميل دون غيرك ، تخلّفى عن منزلة الخاصة ، ورغبتى عن الحلول محل العامة ، وانى لست معتاداً للخدمة ولا الملازمة ولا قويا على المغاداة والمراوحة ، فلا يمنعك ارتفاع قدرك ، وعلو أمرك ، وما تعانيه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطول بتجديد ذكرى ، والاصغاء الى من يحضك على وصلى وبرى ، ويرغبك فى إسداء حسن الصنيعة عندى

(وله اليه آخر فصل من كتاب) وأنا أسأل الله الذى رحم العباد بك ، على حين افتقار منهم اليك ، أن يعيذهم من فقدك ، ولا يعيدهم الى المكاره التى استنقذهم منها بيدك

نفثة مصدور

ولقى رجل رجلا خارجا من مصر يريد المغرب ، فقال : يا أخى ! أتتّبع القطر ، وتدع مجرى السيول ؟ فقال : أخرجنى من مصر حق مضاع ، وشح مطاع ، وإقتار الكريم ، وحركة اللئيم ، وتغيّر الصديق ، بين السعة والضيق ، والهرب الى النزر بالعز ، خير من طلب الوفر بذل العجز

آداب المسافر

وأوصى بعض الحكماء صديقا له وقد أراد سفرا فقال : إنك تدخل بلداً لا تعرفه ولا يعرفك أهله ، فتمسّك بوصيتى تنفق بها فيه ، عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ، ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ، ونظافة البزة ، فانها تنبئ عن النشء فى النعمة ، وطيب الرائحة ، فانها تظهر المروءة ، والأدب الجميل ، فانه يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم الحياء والأنفة ، فانك ان استحييت من الغضاضة ، اجتنبت الخساسة ، وان أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير فى مرتبة (قال الأصمعى) سمعت أعرابيا يوصى آخر أراد سفرا فقال : آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك قيادك ، وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ، ويجنبك من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه فى المكارم ، فانك تبرّ بذلك سلفك ، وتشيد به شرفك

وأوصت أعرابية ابنها فى سفر فقالت : يابنى انك تجاور الغرباء ، وترحل عن الاصدقاء ، ولعلك لا تلقى غير الاعداء ، فخالط الناس بجميل البشر ، واتق الله فى العلانية والسرّ

وقال بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفراً : قِفنى على أشياء من حكمتك أعمل بها فى سفرى ، فقال : اجعل تأنّيك أمام عجلتك ، وحلمك رسول شدتك ، وعفوك مالك قدرتك ، وأنا ضامن لك قلوب رعيتك ، مالم تحرجهم بالشدة عليهم ، أو تبطرهم بالاحسان اليهم * وقال أبان بن تغلب شهدت اعرابية توصى ولدا لها أراد سفرا وهى تقول : أى بنى ! اجلس أمنحك وصيتى ، وبالله توفيقك ، قال أبان فوقفت مستمعا لكلامها ، مستحسنا لوصيتها ، فاذا هى تقول : أى بنى ! إياك والنميمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب

فتتخذ غرضا ، وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلّما اعتورت السهام غرضا الا كلمته ، حتى يهى ما اشتد من قوّته ، وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، واذا هززت فاهزز كريما ، يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثّل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشره ، وخالف منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها. ثم أمسكت فدنوت منها فقلت لها بالله ياعرابية ، الاّ مازدته فى الوصية ، قالت : أو قد أعجبك كلام العرب ياحضرى ؟ قلت نعم! قالت : العذر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلّة رَيْطها وسِرْبالها

مدح السفر

(فقر مدح السفر) أبو القاسم بن عباد الصاحب : فى الخبر المنقول أن المقبوض غريبا شهيد . وفى الحديث سافروا تغنموا — السفر أحد أسباب العيش التى بها قِوامه ، وعليها نظامه ، إن الله لم يجمع منافع الدنيا فى الارض ، بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض — المسافر يسمع العجائب ، ويكسب التجارب ، ويجلب المكاسب — الأسفار مما تزيدك علما بقدرة الله وحكمته ، وتدعوك الى شكر نعمته — ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك — السفر يسفر عن أخلاق الرجال — أوحش أهلك ، إذا كان فى إيحاشهم أنسك ، واهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك — ربما أسفر السفر ، عن الظفر ، وتعذر فى الوطن قضاء الوطر وأنشد

ليس ارتحالك تَرْتاد الغنى سفراً * بل المُقام على خَسْفٍ هو السفرُ

وهذا كقول الطائى

وما القفر بالبيد الفضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى القفرُ

أخذه المتنبى فقال

اذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

ذم السفر والغربة

(نقيض ذلك فى ذم السفر والغربة) فى الحديث : إن المسافر وماله لعلى ، قلت إلا ما وقى الله ، أى على هلاك * شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفر الشاسع ، والبناء الواسع — السفر والسقم والقتال : ثلاث متقاربة ، فالسفر سفينة الأذى ، والسقم حريق الجسد ، والقتال منبت المنايا — اذا كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل — الغربة كربة — النقلة مثلة — الغريب كالغرس الذى زايل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاوٍ لا يثمر ، وذابل لا ينضر — الغريب كالوحش النائى عن وطنه ، فهو لكل سبع فريسة ، ولكل رام رمية ، وأنشد

لَقربُ الدار فى الإقتار خيرٌ * من العيش الموسّع فى اغترابِ

وقال أبو الفتح البستى

لا يعدَم المرء شيئاً يستعين بهِ * ومُتعة بين أهليه وأصحابهْ

ومن نأى عنهمُ قلت مهابتهُ * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

ابو عبيد الله

كتب أبو عبيد الله الى المهدى بعد عزله إياه عن الدواوين : لم ينكر أمير المؤمنين حالى فى قرب المؤانسة وخصوص الخلطة من حالى عنده قبل ذلك فى قيامى بواجب خدمته ، التى أدنتنى من نعمته ، فلا أبدل أعز الله أمير المؤمنين حال التبعيد ، وأقرب فى محل الإقصاء ، وما يعلم الله منى فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين ، فان رأى أكرمه الله أن يعارض قولى بعلمه بدءاً وعاقبةً فعل ان شاء الله. فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه فقال: ظلمنا أبا عبيدالله فليرد الى حاله ويعلم ما تجدد له من حسن رأيى فيه

الفضل بن الربيع

ولما أمر المأمون أن يحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألَّم قلبه منه كتب اليه:
يا أمير المؤمنين! لم ينسنى التقريب ، حالى أيام التبعيد ، ولا أغفلتنى المؤانسة عن شكر الابتداء ، فعلى أى الحالين أبعد من أمير المؤمنين ، ويلحقنى ذم التقصير فى واجب خدمته ؟ وامير المؤمنين أعدل شهودى على الصدق فيما وصفت ، فان رأى أمير المؤمنين أن لا يكتم شهادتى فعل إن شاء الله

أبو مسلم

وقال أبو جعفر المنصور لأبى مسلم حين أزمع قتله هل كنت قبل قيامك بدولتنا جائز الامر على عبدين ؟ قال لا يا أمير المؤمنين ، قال فلم لم تعرض حالَىْ عُسرتك ومهانتك على أيامنا ، وتعرف لنا ما يعرف غيرك من اجلالنا وإعظامنا حتى لا ينازعك الحين عنان الطمأنينة ؟ قال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، ولكن الزمان وإساءته قلبا ما كان من حسن صنيعى ، قال: فلا مرغوب فيك ، ولا مأسوف عليك ، وفى الله خلفٌ منك ! وأمر بقتله (١)

(١) انظر واجبات الملوك فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى »

شعر كشاجم

١

أجزاء القرآن

جملة من شعر أبى الفتح كشاجم فى الأوصاف: قال يصف أجزاء من القرآن

من يتبْ خشيةَ العقاب فأنى * تُبْتُ أنْساً بهذه الأجزاءِ
بعشتى على القراءة والنسـ * ـكِ وما خِلتنى من القرّاءِ
حين جاءت تروقنى باعتدالٍ * من قدود وصيغةٍ واستواءِ
سبعة أشبهت لىَ السبعة الأنجـ * ـمِ ذات الانوار والاضواءِ
كُسيَتْ من أديمها الحالك اللو * ـن غشاءً أحببْ به من غِشاءِ
مشبهات صبغ الشباب ولمّا * تالعَذارى ولبسة الخطباءِ
ورأت أنها تحسن بالضد * فتاهت بحليةٍ بيضاءِ
فهى مسودّةُ الظهور وفيها * نورُ حق يجلو دجى الظلماءِ
مطبقات على صحائف كالريـ * ـط تخيرن من مُسُوك الظباءِ
وكأن الخطوط فيها رياضٌ * شاكراتٌ صنيعة الأنواءِ
وكأن البياض والنقط السوُّ * دعبيرٌ رششته فى مُلاءِ
وكأن العشور والذهب السا * طع فيها كواكبٌ فى سماءِ
وهى مشكولةٌ بعدّة أشكا * لٍ ومقروءةٌ على أنحاءِ
فاذا شئت كان حمزة فيها * واذا شئت كان فيها الكسائى
خضرةٌ فى خلال حمرة وصفرٌ * بين تلك الاضعاف والأثناءِ
مثل ماأثر الدبيب من الذر * على جلد بَضّةٍ عَذْراءِ
ضُمِّنت محكم الكتاب كتاب الله ذى المكرُمات والآلاءِ
فحقيق علىَّ أن أتلو القرآ * نفيهن مُصْبحى ومسائى

٢

وصف تخت

وقال يصف التخت الذى يضرب عليه حساب الهند

وقلمٍ مِدادُهُ ترابُ * فى صُحُفٍ سطورُها حسابُ
يكثر فيها المحو والاضرابُ * من غير أن يسوّد الكتابُ
حتى يبينَ الحق والصواب * وليس إعجامٌ ولا إعرابُ
فيه ولا شكٌ ولا ارتيابُ

٣

وصف بركار

وقال يصف بركارا استهداه

جدلى ببركارك الذى صنعت * فيه يداقينهِ الأعاجيبا
ملتئم الشُعبتين معتدلٌ * ماشين من جانبٍ ولاعيبا
شخصان فى شكل واحد قدِرا * وركبا بالعقول تركيبا
أشبه شيئين فى اشتكالهما * بصاحب لايزال مصحوبا
أوثقَ مسماره وغُيّب عن * نواظر الناقدين تغييبا
فعين من يجتليه يحسبهُ * فى قالب الإعتدال مصبوبا
قد ضم قُطرَيْهِ محكِما لهما * ضم محبٍ اليه محبوبا
يزداد حرصا عليه مُبصِرُه * مازاده بالبنان تقليبا
ذو مقلة بصرته منسية * لم تألهُ رقةً وتهذيبا

ينظر فيها الى الصواب فما * بها يزال الصواب مطلوبا
لولاه ماصحّ خط دائرةٍ * ولا وجدنا الحساب تقريبا
لوعين إقليدسٍ به بَصُرتْ * خرَّ له بالسجود مكبوبا
فابعثه واجنبه لى بمسطرةٍ * تلف الهوى بالثناء مجنوبا

٤

وصف بيكات

وقال يصف بيكاتا

روح من الماء فى جسم من الصفرِ * مولّد بلطيف الحسن والنظرِ
مستعبرٌ لم يغب عن طرفه سكنٌ * ولم يبت من ذوى ضغن على حذرِ
له على الظهر أجفان محجرةٌ * ومقلة دمعها جارٍ على قدرِ
ينشى له حركات من أسافلهِ * كأنها حركات الماء فى الشجر
وفى أعاليه حسبانٌ يفصلهُ * للناظرين بلاذهن ولا فِكرِ
اذا بكى دارَ فى أحشائه فلكٌ * جافى المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا * بها فيوجَدُ فيها صادقَ الخبر
تقضى به الخمس فى وقت الوجوب وإن * غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأوقات تؤرقنى * عرفت مقدار ما ألقى من السّهر
مجدّد كل ميقات تخيّرهُ * ذوو التخيُّر للأسفار والحضرِ
ومخرج لك بالأجزاء ألطفها * من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والتفكير صورتهُ * ياحبذا أبدع الافكار فى الصورِ

٥

وصف اسطرلاب

وقال يصف اسطرلابا

ومستديرٍ كجرم البدر مسطوحِ * عن كل رافعة الأشكال مصفوحِ
صُلْب يدار على قطب يثبتُه * تمثال طرف بشكر الحذق مكبوحِ
ملء البنان وقد أوفت صفائحهُ * على الاقاليم من أقطارها الفِيح (١)
تلفى به السبعة الافلاك محدِقة * بالماء والنار والارضين والريحِ
تنبيك عن طائح الابراج هيئتهُ * بالشمس طوراً وطوراً بالمصابيح
وان مضت ساعة أو بعض ثانيةٍ * عرفت ذاك بعلم فيه مشروحِ
وان تعرّض فى وقتٍ يقدّرهُ * لك التشكّك جلاّهُ بتصحيحِ
مميز فى قياسات الضلوع بهِ * بين المشائم منها والمناجيحِ
له على الظهر عينا حكمة بهما * يحوى الضيا وتجنّيه من اللوح
وفى الدواوين من أشكاله حِكمٌ * تنقّح العقل فيها أىّ تنقيح
لا يستقل لما فيه بمعرفةٍ * الا الحصيف اللطيف الحِس والروح
حتى ترى الغيب فيه وهو منغلق الا * بواب عن من سواه جدّ مفتوح
نتيجة الذهن والتفكير صوّرَهُ * ذوو العقول الصحيحات المراجيح

أبو اسحاق الصابى

وكان أبو شجاع فنا خسرو عضد الدولة قد نكب أبا اسحاق الصابى ، على تقدمه فى الكتابة ، ومكانه فى البلاغة ، واستصفى أمواله من غير ايقاع به فى نفسه ، فأهدى اليه فى يوم مهرجان اسطرلابا فى دور الدرهم وكتب اليه

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء

أهدى اليك بنو الحاجات واحتشدوا * فى مهرجانٍ عظيم أنت تُعليهِ
لـكنّ عبـدك ابراهَـيم حين رأى * سموّ قدرك عن شئ يساميهِ
لم يرض بالأرض يهديها اليك فقد * أهدى لك الفلك الأعلى بما فيهِ

وصف الهن

وقول أبى الفتح ملء البنان البيت، نظير قول على بن العباس الرومى يصف هَن امرأة (١)

يسع السبعة الأقاليم طراً * وهو فى أصبعين من إقليمِ
كضمير الفؤاد يلتهم الدن * يا وتحويه دفّتا حيزُومِ

وإنما أخذه ابن الرومى من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً

فى كفه أخرسُ ذومنطقٍ * بقافهِ واللام والميمِ
شبر اذا قيس ولـكنهُ * فى فعله مثل الأقاليمِ
محذّف الرأس ومسودُّهُ * كابرة الرّوْقِ من الريمِ (٢)

وهذا البيت الاخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملى وقد وصف قرن ريم وشبهه بقلم عليه مداد وذكر ظبية

تزجى أغنّ كأن إبرة رَوقهِ * قلم أصاب من الدواة مدادها

وقلب المعنى اذا تمكن الشاعر من اخفائه لا يجرى مجرى السرقة

اوراك العذارى

وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والـكثبان، قال الشاعر

وبِيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزّرن دون الأُزْرِ رملات عالجِ

(١) الهن . الفرج (٢) روق الريم . قرن الظبى

خِدال الشَّوى لا تحتشى غير خَلقها * اذا الرُّسْحُ لم يصبرن دون المنافجِ (١)
يدرن مُروط الخزّ ملأى كأنها * قصارٌ وإن طالت بأيدي النواسجِ

وهذا المعنى متداوَل متناقَل فى الجاهلية والاسلام ، فأغرب ذو الرمة فى قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا

ورمل كأوراك العذارى قطعتُهُ * وقد جللته المظلمات الحنادس

وكذلك مدحهم ضمور الكشح ، وجولان الوشح ، وصموت القُلب والخلخال وامتناع الخدام من المجال ، قال خالد بن يزيد بن معاوية وذكر رملة بنت الزبير ابن العوام

تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملةَ خلخالاً يجول ولا قُلبا (٢)
أحبُّ بنى العوام طراً لحبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وقال النابغة

على أن حجليها وإن قلت أوسعا * صموتان من ملءٍ وقلة منطقِ

وقال الطائى

مهى الوحش إلا أن هانا أوانسٌ * قنا الخط إلا أن تلك ذوابلُ
من الهيف لو أن الخلا خيل صُيّرتْ * لها وشُحاً جالت عليها الخلاخلُ (٣)

وقال ابن أبى زرعة الدمشقى

استكتمت خلخالها ومشت * تحت الظلام به فما نطقا
حتى اذا ريح الصبا نسمتْ * ملأ العبير بسيرها الطرقا

---

(١) خدال الشوى : ممتلئة الاطراف ، والرسح جمع رسحاء وهى قليلة لحم العجز والفخذين ، والمنافج حشايا توضع فوق الارداف (٢) القلب بالضم السوار
(٣) الوشح بضمتين جمع وشاح

قلب المعانى

وقال المتنبى

وخصرٍ تثبت الأبصار فيهِ * كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا

قلب هذا كله أبوعثمان الناجم فقال يهجو قينة

مسلولة الكل غير بطنٍ * مثقّلٍ فهى عنكبوتُ

حُجولها الدهر فى اصطخابٍ * ووُشحها كُظّمٌ صُمُوتُ

وقال أبو عثمان يمدح قينة

محسنة فى كل ألحانها * لا كالتى تحسن فى النُّدره

ثم قلبه فى هجاء فقال

عجبت منها ويحها كيف لا * تخطئ بالاحسان فى النُّدرة

وهذا مأخوذ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد قضاء البصرة

ياعجبا من خالدٍ كيف لا * يخطئ فينا مرةً بالصوابْ

كان قضاة الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب

وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحا ، والمديح هجاء ، كما قال مسلم بن الوليد يهجو قوما

قبُحت مناظرهم فحين خبرتُهمْ * حُسنت مناظرهم بقبح المخبَرِ

قلبه أبو الطيب المتنبى فقال

وأستكبر الاخبار قبل لقائهِ * فلما التقينا صغّر الخبرَ الخبُرُ

وقال أبو تمام

عبأ الكمين له فضلّ لحينهِ * وكمينه المخفى عليه كمينُ

قلبه البحترى فقال

لا ييأس المرء أن ينجيه * مايحسب الناس انه عطبه

وقال أبو تمام

وحشيّة ترمى القلوب اذا غدت * وسْنَى فاتصطاد غير الصيدِ

قلبه البحترى فقال

على أننى أخشى على دار أمنها * فوارس يصطاد الفوارس صيدُها

وقال أبو تمام

يشنأ الغيث وهو جِدٌ حبيبٍ * رب حزم فى بغضة الموموقِ

قلبه البحترى فقال

يسرنى الشىء قد يسوءكمُ * نوّه يوماً بخاملٍ لَقَبُه

قال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر: المعنى فى المصراع الاول أبين منه فى الثانى ، ألا ترى أنه لو قال: انه ليسوءك الشىء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته ، قال ابن الرومى يهجو مغنية

قينة ملعونةٌ من أجلها * رفض اللهو معاً من رفضَه

فاذا غنّت ترى فى حلقها * كل عرق مثل بيت الأَرَضَه

فقلبها ابن المعتز فقال يصف أرضة أكلت له كتابا

تثنى أنابيب لها فيها سبَل * مثل العروق لا ترى فيها خلَل

وهذا كثير يكتفى منه باليسير

ومن المعانى مالا ينقلب: ألا ترى أنك تقول نام القوم حتى كأنهم موتى ، ولا يحسن أن تقول ماتوا حتى كأنهم نيام ، وقد أخذ على أبى نواس قوله يصف داراً وقف بها

كأنها إذ خرِستْ جارمٌ * بين يدىْ تفنيدهِ مُطرِق .

قالوا انما يجب أن يشبه الجارم اذا عذلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار الخالية التى لا تجيب . وأخذوا عليه قوله

كأن نيرانا فى جنب حصنهمُ * معصفراتٌ على أرسان قصّارِ

وقد تبعه أبو تمام الطائى فقال فى الافشين لما أحرق

مازال سرّ الكفر بين ضلوعهِ * حتى اصطلى سر الزناد الوارى

نارٌ يساور جسمه من حرها * لهبٌ كما عصفرتَ شقِ إزار
طارت له شُعَلٌ يهدّم نفحها * أركانَهُ هدما بغير غبارِ
فصّلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرةً بكل فقارِ
صلّى لها حيًّا وكان وقُودَها * ميتاً ويدخلها مع الكفارِ
وكذاك أهل النار فى الدنيا هُمُ * يوم القيامة جُلُّ أهل النارِ

أردت البيت الثانى ، قالوا وانما تشبه الثياب المعصفرة بالنار ، فهذا وما أشبهه لا يتوازن انعكاسه ، وتتضاد قضاياه ، وانما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب

ذكر النجوم

قطعة من شعر أهل العصر فى ذكر النجوم قال أبو الفتح البستى

قد غضّ من أملى أنى أرى عملى * أقوى من المشترى فى أوّل الحملِ
وأننى راحلٌ عما أحاولهُ * كأننى أستدرُّ الحظ من زُحل

وقال: اذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً * فاحكم على ملكه بالويل والحربِ
ألم تر الشمس فى الميزان هابطةً * لما غدا برجَ نجم اللهو والطربِ

وقال: وقد تدنى الملوك لدى رضاها * وتبعد حين تحتقد احتقادا
كما المرّيخ فى التثليث يعطى * وفى التربيع يسلب ما أفادا

وقال: ألا فثقوا بى فانى كما * تمدّحت فليمتحن من يُحبْ
فما كوكبى راجعاً فى الوفاء * ولا بَرْحُ قلبىَ بالمنقلبْ

وقال: لئن كسفونا بلا علةٍ * وفازت قِداحُهُمُ بالظفَرْ
فقد يكسف المرءَ من دونه * كما يكسف الشمسَ جِرم القمَرْ

وقال: شرف الوغد بوغد مثلهِ * مثل ما فيه بزيغ وخلل
ودليل الصدق فيما قلتهُ * شرف المريخ فى بيت زُحل

وقال: قل للذى غرته عزّة ملكهِ * حتى أخل بطاعة النصحاءِ
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم * وكذاك أوْج الشمس فى الجوزاءِ

وقال: وقد يفسد المرء بعد الصلاحْ * فسادَ الأماكن والشرُّ يعدى
كما السعد يَقبل طبع النحوس * إذا كان فى موضع غير سعد

وقال: ما أنْسُ ظمآنٍ بماء باردِ * من بعد طول العهد بالواردِ
إلا كأنسى بكتابٍ واردِ * من سيدٍ محض النِّجار ماجدِ
كأنما استملاه من عُطاردِ

وقال: يامعشر الكتاب لا تتعرّضوا * لرياسةٍ وتصاغروا وتخادموا
إن الكواكب كُنَّ فى أشرافها * إلا عطارد حين صُوِّر آدمُ

وقال: دعانى الى بيته سيدٌ * له الخلق الاشرفُ الأظرفُ
فلا زمت بيتى ولا طفتهُ * بعذر هو الأظرف الأطرفُ
عطارد نجمى ولا شك أنّ * عطارد فى بيته أشرفُ

وقال: لئن تنقَّلتُ من دارٍ الى دارِ * وصرت بعد ثواء رهنَ أسفارِ
فالحرُّ عزيز النفس حيث ثوى * والشمس فى كل برج ذات أنوارِ

وقال: لئن صدّع الدهر المشتت شملنا * وللدهر حكمٌ للجميع صدُوعُ
فللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوعُ

وقال لمحبوس

حبست ومن بعد الكسوف تبلّجٌ * تضىء به الآفاق للبدر والشمسِ
فلا تعتقد للحبس غماً ووحشةً * فأول كون المرء فى أضيق الحبس

وقال أيضاً

يامن تولى المشترِى تدبيرهُ * حاشاك أن تنقاد للمرّيخِ

وقال: لا تفزعنْ من كل شىء مفزعٍ * ما كل تدبير البروج بضائرِ

وقال يرثى أبا القاسم الصاحب

فقدناهُ لما تم واغتمّ بالعلى * كذاك كسوف البدر عند تمامهِ

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبى الفضل الميكالى

اذاما غاب وجه البدر عنا * فوجهك عندنا البدر المقيمُ

فان رجعتْ نجوم السعد يوماً * فوجهك نجم سعدٍ مستقيمُ

وقال مسكويه الخالدى

لا يعجبنّك حسن القصر تنزلهُ * فضيلة الشمس ليست فى منازلها

لوزيدت الشمس فى أبراجها مائةً * ما زاد ذلك شيئاً فى فضائلها

وقال أبو بكر الخوارزمى

رأيتك إن أيسرتَ خيّمت عندنا * لزاماً وإن أعسرت زرت لماما

فما أنت الا البدر إن قل ضوءهُ * أغبّ وان زاد الضياء أقاما

وهذا كقول ابراهيم بن العباس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات

أسدٌ ضارٍ اذا مانعتَهُ * وأبٌ برٌّ اذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا * يعرف الأدنى اذاما افتقرا

وقال ابن المعتز

اذاما أراد الحاسدون انهدامهُ * بناه إلهٌ غالبُ العز قاهرُهْ

وماذا يريد الحاسدون من امرئٍ * تزينهُمُ أخلاقُهُ وماثرُه

اذاماهو استغنى اهتدى لافتقارهمْ * ولا تهتدى يوماً اليهم مفاقِرُه

وكانوا كرامٍ كوكبا ببصاقِهِ * فردُ عليهم وبله ومواطِرُه

وهذا البيت كما قال بعض العرب فى احدى الروايات

رمانى بأمرٍ كنت منه ووالدى * بريئاً ومن جالِ الطوىّ رمانى

الجول والجال الناحية ، والطوى : البئر ، يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية المشهورة ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز

الاصمعى و بعض الاعراب

قال بعض الرواة كنا مع أبى نصر راوية الأصمعى فى رياض من المذاكرة نجتنى ثمارها ، ونجتلى أنوارها ، الى أن أفضنا فى ذكر أبى سعيد عبد الملك ابن قريب الأصمعى فقال : رحم الله الأصمعى انه لمعدن حكم ، وبحر علم ، غير أنه لم نرقط مثل اعرابى وقف بنا فسلم فقال أيكم الأصمعى ؟ فقال أنا ذاك . فقال أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنّا له ، وعجبنا من حسن أدبه ، مع جفاء أدب الاعراب . قال يا أصمعى أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبهم معرفة بالشعر والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن هو دونى . قال أفلا تنشدونى من بعض شعر أهل الحضر ، حتى أقيسهُ على شعر أصحابنا فأنشده شعرا لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك

أمسلمَ أنت البحرُ إن جاء واردٌ * وليثٌ اذا ما الحرب طار عقابها
وأنت كسيف الهندوانىّ ان غدت * حوادث من حرب يعبّ عُبابها
وما خُلقت اكرومة فى امرئٍ لهُ * ولا غاية الا اليك مآبها
كأنك ديّانٌ عليها موكلٌ * بها وعلى كفّيك يجرى حسابها
اليك رحلنا العيس إذ لم نجد لها * أخا ثقة يرجى لديه ثوابها

قال فتبسم الاعرابى ، وهزّ رأسه ، فظننا ان ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال يا أصمعى هذا شعر مهلهل خلق النسج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يغطى عيوبه حسن الروىّ ، ورواية المنشد ، يشبهون الملك اذا امتدح بالأسد ، والأسد أبخر شتيم المنظر (١) وربما طرده شرذمة من إمائنا ، وتلاعب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صعب على من ركبه ، مرٌّ على من شربه ، وبالسيف وربما خان فى الحقيقة ، ونبا عند الضريبة ، ألا أنشدتنى كما قال صبى من حينا ! قال الأصمعى وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده

---

(١) شتيم المنظر : كريهه

اذا سألت الورى عن كل مكرمةٍ * لم يُعزَ إكرامها الا الى الهوْلِ
فتًى جوادٌ أذاب المال نائلهُ * فالنيل يشكر منه كثرة النيْلِ
الموت يكره أن يلقى منيتهُ * فى كرّدِ عند لفّ الخيل بالخيلِ
لو زاحم الشمس أبقى الشمس كاسفةً * أو زاحم الضّم ألجاها الى الميْلِ
أمضى من النجم ان نابته نائبةٌ * وعند أعدائه أجرى من السّيْلِ
لا يستريح الى الدنيا وزينتها * ولا تراه اليها ساحبَ الذيل
يقصّر المجد عنه فى مكارمهِ * كما يقصّر عن أفعاله قولى

قال أبو نصر فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال فتأنى الاعرابي ثم قال للأصمعى : ألا تنشدنى شعرا ترتاح اليه النفس ويسكن اليه القلب ؟ فأنشده لابن الرقاع العاملى

وناعمةٍ تجلو بعود أراكةٍ * مؤشّرة يسبى المعانق طيبها
كأن بها خمراً بماء غمامةٍ * اذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك الى نجد تحنّ وانما * مُنى كلّ نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الاعرابى وقال : يا أصمعى ماهذا بدون الأول ، ولا فوقه ، ألا أنشدتنى كما قلت ؟ قال الأصمعى وما قلت جُعلت فداك ، فأنشده

تعلقتها بكراً وعُلّقت حبها * فقلبىَ عن كل الورى فارغٌ بكْرُ
اذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها * وتكفيك ضوء البدر ان حجب البدر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولو أن جلد الذّر لامس جلدها * لكان لمس الذّر فى جلدها أثْرُ
ولو لم يكن للبدر ضداً جمالها * وتفضلهُ فى حسنها لصفا البدر

قال أبو نصر قال لنا الأصمعى اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المُدى فى رِقاق الاكباد ! قال وأقام عندنا شهرا فجمع له الأصمعى خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا فى الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعى وتفرّق أصحابنا

كلام الاعراب

(فِقَر من كلام الاعراب فى ضروب مختلفة) قال الجاحظ : ليس فى الارض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آنق ، ولا ألذ فى الاسماع ، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الاعراب العقلاء الفصحاء

قال ابن المقفع وقد جرى ذكر الشعر وفضيلته : أى حكمة تكون أبلغ ، أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوى لم ير ريفا ، ولم يشبع من طعام ، يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوى الى القفر ، واليرابيع ، والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ، فاذا قال الشعر وصف مالم يره ، ولم يغذّ به ، ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الاخلاق ومساويها ، ويمدح ، ويهجو ، ويذم ، ويعاتب ، ويشبب ، ويقول ما يكتب عنه ، ويروى له ، ويبقى عليه

وقال بعض الاعراب

وانى لأهدَى بلا وانس كالدُّمى * وانى بأطراف القنا للعُوبُ
وانى على ما كان من عُنْجُهِيّتى * ولُوثة أعرابيتى لأديب (١)

كأن الأدب غريب من الاعراب ، فافتخر بما عنده منه . وقال الطائى فى فطنتهم يستعطف مالك بن طوق على قومه بنى تغلب

لا رقة الحضر اللطيف غذتْهمُ * وتباعدُوا عن فطنة الاعرابِ
فاذا كشفتهمُ وجدت لديهمُ * كرم النفوس وقلة الآداب

ووصف اعرابى رجلا فقال : هو أطهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ، وأمضى من السيل ، وأهدى من النجم . ووصف اعرابى رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يُستمرأ ظلمه . وقال اعرابى: جلست الى قوم

(١) العنجهية واللوثة : الكبر والحمق

من أهل بغداد فما رأيت أرجح من أحلامهم ، ولا أطيش من أفلامهم . وذكر اعرابى من بنى كلاب رجلا فقال: كان والله الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ولم أر أحدا أرتق لخلل رأى ، ولا أبعد مسافة روية ، ومَراد طرف منه ، انما كان يرمى بهمته حيث أشار اليه الكرم ، وما زال يتحسّى مرارة أخلاق الاخوان ، ويسقيهم عذوبة أخلاقه * وذكر اعرابى رجلا فقال : والله لكأن القلوب ، والألسن ، رِيضت له ، فما تُعقد الا على وده ، ولا تنطق الا بحمده . وقال اعرابى : أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر . قال الأصمعى : وخطبنا اعرابى بالبادية فقال : أيها الناس ان الدنيا دار مفر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم . قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد ابن طوق العنبرى على مجلس لبنى العنبرى وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا فبدؤنى فسلموا علىّ ، ثم انكفؤا على معبد فقبض يده عنهم ، وقال : لا ولا كرامة! بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولى قبل العربى ، وبالمفْحَم قبل الشاعر . فأسكت القوم فانبرى اليه غلام فقال : بدأنا بالكاتب ، قبل الأمى ، وبالمهاجر قبل الاعرابى وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار ! ووصف اعرابى قومه فقال : ليوث حرب وغيوث جدب ، إن قاتلوا أبلوا ، وان بذلوا أغنوا : ووصف اعرابى قوما فقال : اذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ، واذا تصافحوا بالسيوف فغر فمه الحمام * وسئل اعرابى عن صديق له فقال : صفرت عياب الود بينى وبينه بعد امتلائها (١) واكفهرّت وجوه كانت بمائها . وقال الأصمعى وسمعت اعرابيا يقول : ان الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاه ، ومن كان الليل والنهار مطيته ، أسرعا السير والبلوغ به

والمرء يفرح بالايام يقطعها * وكل يوم مضى يدنى من الاجلِ

---

(١) صفرت : خلت

وذكر اعرابى مصيبة نالته فقال : انها والله مصيبة جعلت سود الرءوس بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب .

وهذا كقول عبد الله بن الزبير الاسدى

رمى الحدثانِ نسوة آل حربٍ * بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا (١)
فردّ شعورهن السُّود بيضاً * وردّ وجوههنّ البيض سُودا
وإنك لو رأيت بكاء هندٍ * ورملة اذ تصكّان الخدودا
بكيت بكاء مُعْوِلةٍ حزين * أصاب الدهر واحدها الفقيدا

ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض وان لم يكن من هذا المعنى قول ابن الرومى

يابياض المشيب سوّدت وجهى * عند بيضِ الوجوه سود القرونِ
فلعمرى لأخفينّك جهدى * عن عِيانى وعن عِيان العيونِ
ولعمرى لأمنعنك أن تضـ * ـحك فى رأس آسف محزونِ
بسوادٍ فيه ابيضاضٌ لوجهى * وسوادٍ لوجهك الملعون

سأل اعرابيان رجلا فحرمهما فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله بواد غير ممطور ، واتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت فارتحل بندم ، أو أقم على عدم . قال الاصمعى وسمعت اعرابيا يقول : غفلنا ولم يغفل الدهر عنا ، فلم نتعظ بغيرنا ، حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد ادركت السعادة من تنبه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً — وقال اعرابى لرجل : اشكر للمنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته . ومدح اعرابى رجلا فقال : ذلك والله فسيح الادب ، مستحكم السبب ، من أى أقطاره أتيته ، تثنى عليه بكرم فعال ، وحسن مقال * وذم اعرابى رجلا فقال : أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح غير راجع اليه ، وقدم

---

(١) سمدن له : تلوت له رءوسهن .

على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه ما كذبته ، ولو ألقى زمامه أوطأه راحلته . وقال اعرابى : خرجت حين انحدرت أيدى النجوم ، وشالت أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر . وقال اعرابى

وقد تعاللت ذميل العنسِ * بالسوط فى ديمومة كالترسِ

اذ عرج الليل بروج الشمسِ

ومن مليح الاستعارة فى نحو هذا قول الحسن بن وهب: شربت البارحة على وجه الجوزاء ، فلما انتبه الفجر نمت ، فما عقلت حتى لحفنى قميص الشمس * وقال اعرابى لصاحبه فى شىء ذكره : قل ان شاء الله ، فانها ترضى الرب ، وتسخط الشيطان ، وتذهب الحنث ، وتقضى الحاجة . وروى العتبى عن أبيه قال سمعت اعرابياً يقول لأخيه فى معاتبة جرت بينهما : أما والله لرب يوم كتنّور الطاهى ، رقّاص بالحمامة ، قد رميت نفسى فى أجيج سَمومه ، أحتمل منه ما أكره لما أحب — قال أبو العباس محمد بن يزيد وأحسب العتبى صنع هذا الكلام وأخذه من قول بشار

ويوم كتنوّر الاماء سجرنَهُ * وأوقدن فيه الجزل حتى تضرَّما

رميت بنفسى فى أجيج سَمومهِ * وبالعِيس حتى بضَّ منخرها دما

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبى العباس ثعلب فقال يهجو المبرد

ويوم كتنور الطهاة سجرنهُ * على انه منه أحرُّ وأوقدُ

ظللت به عند المبرد جالساً * فما زلت فى ألفاظه أتبرَّدُ

أحزان الثواكل

قال الاصمعى حجت أعرابية ومعها ابن لها فأصيبت به فلما دفن قامت على قبره وهى موجعة فقالت : والله يا بنىّ لقد غذوتك رضيعاً ، وفقدتك سريعاً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها ، فاصبحت بعد النضارة والغضارة ،

ورونق الحيـاة والتنسّم فى طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى جسـداً هامداً ، ورفاتا سحيقا ، وصعيدا جُرُزا ، أى بنى ! لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفنا ، وأسكنتك دار البلى ، ورمتنى بعدك نكبة الردى ، أى بنى ! لقد أسفر لى وجه الدنيا عن صباح داج ظلامه . ثم قالت : أى رب ومنك العدل ، ومن خلقك الجور . وهبته لى قرة عين ، فلم تمتعنى به كثيراً ، بل سلبتنيه وشيكا ، ثم أمرتنى بالصبر ، ووعدتنى عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحّم على من استودعته الردم ، ووسدته الثرى ، اللهم ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تكشف الهنات والسوآت . فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت : أى بنى ! انى قد تزودت لسفرى ، فليت شعرى مازادك لبعد طريقك ، ويوم معادك ، اللهم انى أسألك له الرضى برضائى عنه . ثم قالت : استودعتك من استودعنيك فى أحشائى جنيناً ، وآثكل الوالدات ! ما أمضّ حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان ! فلم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت

وأنشد المفضل الضبى لامرأة من العرب ترثى ابنا لها

يا عمرُو مالى عنك من صبرِ * يا عمرو يا أسفى على عمرِو
لله يا عمرٌو وأىُّ فتى * كفنت يوم وضعت فى القبر
أحثو التراب على مفارقهِ * وعلى غضارة وجهه النضر (١)
حين استوى وعلا الشباب بهِ * وبدا منير الوجه كالبدر
ورجا أقاربه منافعهُ * ورأوا شمائل سيد غَمْرِ (٢)
وأهمه همى فساورهُ * وغدا مع الغادين فى السفر

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس (٢) غمر : جزيل العطاء

تعدو به شقراء سامية * مرطى الجراء شديدة الأسر (١)
ثبت الجنان به ويقدمها * فلج يقلب مقلتى صقر (٢)
ربيته دهراً أفتقه * فى اليسر أغدو وفى العسر
حتى اذا التأميل أمكننى * فيه قبيل تلاحق الثغر
وجعلت من شغفى أنقله * فى الارض بين تنائف غبر (٣)
أدع المزارع والحصون به * وأحله فى المهمه القفر
ما زلت أصعده وأحدره * من قتر موماة الى قتر (٤)
هرباً به والموت يطلبه * حيث انتويت به ولا أدرى (٥)
حتى دفعت به لمصرعه * سوق المعيز تساق للعتر (٦)
ما كان إلا أن هجعت له * ورمى فأغفى مطلع الفجر
ورمى الكرى رأسى ومال به * رمس يساور منه كالسكر
اذ راعنى صوت هبيت به * وذعرت منه أيما ذعر
واذا منيته تساوره * قد كدحت فى الوجه والنحر
واذا له علق وحشرجة * مما يجيش به من الصدر
والموت يقبضه ويبسطه * كالثوب عند الطى والنشر
فدعا لأنصره وكنت له * من قبل ذلك حاضر النصر
فعجزت عنه وهى زاهقة * بين الوريد ومدفع السحر
فمضى وأى فتى فجعت به * جلت مصيبته عن القدر
لو قيل تفديه بذلت له * مالى وما جمعت من وفر
أو كنت مقتدراً على عمرى * آثرته بالشطر من عمرى

---

(١) مرطى : سريعة . والأسر القوة (٢) فلج : حليف النصر (٣) التنائف جمع تنوفة وهى الصحراء (٤) القتر بالضم الجانب (٥) انتويت : قصدت
(٦) العتر : اسم نبات أو شجر صغير

قد كنت ذا فقرٍ له فعدا * ورمى علىَّ وقد رأى فقرى
لو شاء ربى كان متّعنى * بابنى وشدّ بأزره أزْرى
بُنيت عليك بنىَّ أحوج ما * كنا اليك صفائحُ الصخر
لا يبعدنك الله يا عَمرى * إما مضيت فنحن بالأثر
هذى سبيل الناس كلهم * لابدّ سالكها على سَفر
أوَلا تراهم فى ديارهمُ * يتوقّعون وهم على ذُعْر
والموت يوردهم مواردهم * قَسْراً فقد ذلّوا على القَسْرِ

وصف رجل

وقال اعرابي يمدح رجلا

يمدّ نِجاد السّيف حتى كأنهُ * بأعلى سِتاهَىْ دالج يتطوّحُ
ويُدلجُ فى حاجاتِ من هو نائمٌ * ويورى كريمات النوى حين يقدحُ
اذا اعتمّ بالبُرد اليمانى حسبتهُ * هلالاً بدا فى جانب الأفق يلمحُ
يزيد على فضل الرجال فضيلةً * ويقصر عنه مدح من يتمدّح

بكاء الحمائم *

وأنشد ابن أبى طاهر لأعرابى

وقبلىَ أبكى كل من كان ذاهوًى * هتوف البوا كى والديار البلاقعُ
وهنّ على الاطلال من كل جانبٍ * نوائحُ ما تخضلُّ منها المدامع
مُزبرجةُ الأعناق نُمْرٌ ظهورها * مخطّمة بالدُّر خضْرٌ روائع
ترى طرزا بين الخوافى كأنها * حواشىّ برد زينتها الوشائعُ
ومن قِطَعِ الياقوت صِيغَتْ عُيونها * خواضب بالحناء منها الأصابعُ

* انظر نوح الحمام فى كتاب (مدامع العشاق)

ومن جيد ما قيل فى الحمام قول ابن الرومى

وقفت بمطراب العشيات والضُّحى * فَظَلْتُ أسحُّ الدمع منى وأسجم
حليفة شجوٍ هاج مابى وما بها * تباريح شوق يشتكيها المتيم
فباح به فوها وأخفته عينها * وباحت به عينى وكتْمهُ الفم

اسماعيل بن صبيح

ودخل أعرابى على الرشيد فأنشده أرجوزة مدحه بها واسماعيل بن صبيح يكتب كتابا بين يديه ، وكان من أحسن الناس خطا ، وأسرعهم يدا ، فقال الرشيد للاعرابى صف الكاتب فقال

رقيقُ حواشى العلم حين تبورُ * يريك الهُوَيْنا والأمور تَطِيرُ
له قَلَما بؤسٍ ونعمى كلاهما * سحابته فى الحالتين دَرُورُ
بناجيك عما فى ضميرك خطهُ * ويفتح باب النُّجح وهو عسيرُ

فقال الرشيد : قد وجب لك يا اعرابى عليه حق ، كما وجب لك علينا. ياغلام ادفع له دية الحر ، فقال اسماعيل وعلى عبدك دية العبد

رقة الحنين

قال أعرابى من بنى عقيل

أحنُّ الى أرض الحجاز وحاجتى * خيامٌ بنجد دونها الطرف يقصُرُ
وما نظرى نحو الحجاز بنافعى * فتيلاً ولكنى على ذاك أنظرُ
أفى كل يوم نظرةٌ ثم عبرةٌ * لعينيك يجرى ماؤها يتحدَّرُ
متى يستريح القلب إما مجاورٌ * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكر

دعوة الله

وقال اعرابى

وانى لأغضى مقلتىَّ على القذى * وألبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وانى لأدعو الله والامر ضيقٌ * علىَّ فما ينفك أن يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليه وجوهُهُ * أصاب لها فى دعوة الله مخرجا

ذكرى الحبيب

وقال آخر

ذكرتك ذكرى هائم بك تنتهى * اليك أمانيه وان لم يكن وصلُ
وليست بذكرى ساعةٍ بعد ساعةٍ * ولكنها موصولةٌ مالها فَصْلُ

وقال آخر

أريتُكِ ان شطت بك العام نيّةٌ * وغالك مصطاف الحمى ومرابعُهْ
أترعين ما استودعت أم أنت كالذى * اذا ما نأى هانت عليك ودائعهْ
ألا إن حَسْيًا دونه قُلّة الحمى * منى النفس لو كانت تنال شرائعه (١)

بر المرء بقومه

أخذتْ أزدُ العتيك شاعرا من قيس بن ثعلبة اسمه المعدل فى دم فأتاه البهيس ابن ربيعة فحمله ، وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له المعدل أخيّرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ، فاختار مدح قومه فقال

جزى الله فتيان العتيك وان نأت * بىَ الدار عنهم خير ما كان جازيا
هم خلطونى بالنفوس وأحسنوا الصـ * ـحابة لما حُمَّ ما كان آتيا
متاعهمُ فوضى قضاً فى رحالهم * ولا يحسنون الشرَّ الا تباديا
كأن دنانيراً على قسماتهمْ * اذا الموت فى الابطال كان تحاميا

(١) الحسى : سهل فيه ماء ، ويجمع على أحساء ، والشرائع الموارد

وذكرت الرواة ان المهلب بن أبى صفرة عرض جنده بخراسان فعرض جيش بكر ابن وائل فمرَّ به المعدل فقال : هذا المعدل القيسى الذى يقول : وأنشد الابيات ، فقالوا أيها الأمير: احسبه علينا ، فانطلق مائة منهم ، فجؤا بمائة وصيف ووصيفة ، فقالوا أعطه هذا وليعذرنا * قوله كأن دنانيرا على قسماتهم نظير قول أبى العباس الاعمى

ليت شعرى من أين رائحة المسـ ـك وما إن اخال بالخيف إنسى
حين غابت بنو أمية عنـهُ * والبها الليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا نٌ عليها وقالة غير خُرْس
فى حلوم اذا الحلوم استفزَّت * ووجوه مثل الدنانير مُلس

مآثم أبى نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربته ، كان يعمل كتبا بعيوب أخيه تقرأ على المنابر بخراسان ، فكان مما عابه به أن قال : انه استخلص رجلا شاعرا ماجنا كافرا يقال له الحسن بن هانئ واستخلصه ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذى يقول

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمرُ * ولا تسقنى سراً اذا أمكن الجهرُ
وبُحْ باسم من تهوى ودعنى من الكُنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق ، وخمور ، وما خور ، وفجور ، ويقوم رجل بين يديه فينشد أشعار أبى نواس فى المجون ، فاتصل ذلك بابن زبيدة فنهى الحسن عن الخمر ، وحبسه ابن أبى الفضل بن الربيع ، ثم كلمه فيه الفضل فأخرجه ، بعد أن أخذ عليه أن لا يشرب خمرا ، ولا يقول فيها شعرا ، فقال

مامن يدٍ فى الناس واحدةٍ * كيدٍ أبو العباس مولاها
قام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأحياها
قد كنت خفتك ثم آمننى * من أن أخافك خوفك الله

فعفوت عنى عفو مقتدرٍ * وجبت لهُ نقمٌ فألغاها

ومن قوله فى ترك الشراب

أيها الرائحان باللوم لُوما * لا أذوق المدام الا سَئِيما
نالنى بالملام فيها إمامٌ * لا أرى لى خلافَهُ مستقيما
فاصرفاها الى سواىَ فانى * لست الاّ على الحديث نديما
جلّ حظى منها اذا هى دارتْ * أن أراها وأن أشمّ النسيما
فكأنى وما أزيّن منها * قَعَدِىٌّ يزيّن التحكيما

القعدية : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولايخرجون ، وزعم المبرد انه لم يُسبق الى هذا المعنى ، وقال

عين الخليفة بى موكّلةٌ * عقد الحِذار بطرفها طرفى
صحّت علانيتى له وأرى * دين الضمير له على حرف
ولئن وعدتك تركها عِدَةً * انى عليك لخائفٌ خُلفى
سلبوا قناع الدّن عن رَمَقٍ * حتى الحياة مشارف الحتفِ
فتنفّست فى البيت إذ مُزجَت * كتنفس الريحان فى الأنف

أخذ قوله (ولئن وعدتك تركها عدة) الحسن بن على بن وكيع فقال

متى وعدتك فى ترك الصّبا عِدةً * فاشهد على عدتى بالزور والكذب
أما ترى الليل قد ولت عساكرهُ * وأقبل الصبح فى جيش له لجِبِ
وجدّ فى أثر الجوزاء يطلبها * فى الجوّ ركضاً هلالٌ دائم الطلب
كصولجانِ لُجَينٍ فى يدَىْ ملكٍ * أدناه من كُرَةٍ صيغَتْ من الذهب
فقم بنا نصطبح صفراء صافيةً * كالنار لكنها نارٌ بلا لهب
عروس كَرْم أنت تختال فى حللٍ * صفْرٍ على رأسها تاجٌ من الحَبَبِ

وقال أبو الفضل الميكالى فى اقتران الهلال بالزهرة

أما ترى الزُّهرة قد لاحت لنا * تحت هلال لونه يحكى اللهب

ككُرَةٍ من فضةٍ مجلوّةٍ * وافى عليها صولجانٌ من ذهبْ

وعلى قول أبى نواس

صحت علانيتى له وأرى * دين الضمير له على حرفِ

كتب أبو العباس بن المعتز الى أبى الطيب القاسم بن محمد النميرى

يا أيها الجافى ويستجفى * ليس تجنّيك من الظَّرفِ

إنك فى الشوق الينا كمن * يؤمن بالله على حرف

محوت آثارك من ودنا * غير أساطيرك فى الصُّحُف

فان تحاملت لنا زورةً * يوماً تحاملت على ضَعْف

ثوب الرياء

وحدث أبو عمر الزاهد قال: دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها كأثر السجود فانحرفت العصابة الى صدغه فأخذ الأثر هناك، فقال له ابنه ما هذا يا أبت ؟ فقال أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف !

عود الى أبى نواس

وقال أبو نواس فى الباب الأول

غنّينا بالطلول كيف بلينا * واسقنا نعطك الثناء الثمينا

من سُلاف كأنها كل شئ * يتمنى مخيَّر أن يكونا

أكل الدهر ما تجسّم منها * وتبقّى لبابها المكنونا

فاذا ما اجتليتها فهباءٌ * يمنع الكفَّ مايبيحُ العيونا

ثم شُجّت فاستضحكت عن لآلٍ * لو تجمّعن فى يدٍ لاقتنينا

فى كؤس كأنهن نجومٌ * دائراتٌ بُرُوجها أيدينا

طالعات مع السقاة علينا * فاذا ما غَرَبْنَ يغربْن فينا

لو ترى الشَّرب حولها من بعيد * قلت قوما من قُرّة يصطلونا

وغزال يديرها ببنان * ناعمات يزيدها الغَمْزُ لينا
كلما شئتُ علّنى برُضابٍ * يترك القلب للسرور قرينا
ذاك عيش لو دام لى غير أنى * عفته مكْرَهاً وخفت الأمينا

وقال

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا * وأعربت عما فى الضمير وأعربا
وقلت لساقيها أجزها فلم أكن * ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
فجوّزها عنى سلافاً ترى لها * لدى الشرف الاعلى شعاعا مطنّبا
إذا عبَّ فيها شارب القوم خلتهُ * يقبل فى داجٍ من الليل كوكبا
ترى حيث ما كانت من البيت مَشرقاً * ومالم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها رطب البنان ترى لهُ * على مستدار الخد صدغا معقربا
سقاهم ومنّانى بعينيه منيةً * فكانت الى قلبى ألذ وأطيبا

اغتصابه لمعانى الشعراء

قال الحسن بن الضحاك الخليع أنشدت أبا نواس قولى

وشاطرىٍّ اللسان مختلق التكـ * ـريه شاب المجون بالنسكِ

فلما بلغت فيه

كأنما نُصْب كأسه قمرٌ * يكْرَعُ فى بعض أنجم الفَلَكِ

نعر نعرة منكرة ، فقلت مالك، فقد رعتنى ؟ قال هذا المعنى أنا أحق به منك ، ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام

اذا عب فيها شارب القوم خلتهُ * يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقلت هذه مطالبة ياأباعلى ، فقال أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا فى الحياة ؟ ! وقال ابن الرومى فكان أحسن منهما

ومهفهف كملتْ محاسنهُ * حتى تجاوز مُنْيَةَ النفسِ

تصبو الكؤس الى مراشفهِ * وتضجُّ فى يده من الحبسِ
أبصرته والكأس بين فمٍ * منه وبين أنامل خمس
فكأنّها وكأنّ شاربها * قمرٌ يقبل عارض الشمس

وقال أبو الفتح كشاجم

وسحاب يجر فى الارض ذَيْلَهْ * مطْرَف زرَّهُ على الارض زرّا
برقه لمحةٌ ولكن له رع * دٌ بطىءٌ يكسو المسامع وقْرا
كخلىٍّ منافق للذى يهوا * هُ يبكى جهراً ويضحك سرا
قد سقتنى المدام فيها فتاةٌ * سحرتنى وليس تحسن سحرا
فاذا ما رأيتها تشرب الرا * ح أرتنى شمساً تقبل بدرا

صبوة بشار

وانما احتذى أبو نواس فى هذه الأشعار التى وصف فيها ترك الشراب وطاعته لأمر الأمين مثال بشار بن برد ، وصب على قالبه ، وذاك أن بشاراً لما قال

لا يؤيسنَّك من مخبأةٍ * قول تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرةٍ * والصعب يمكن بعد ما جمحا

بلغ ذلك المهدى فغاظه ، وقال : يحرض النساء على الفجور ، ويسهل السبيل إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميرى يا أمير المؤمنين ، قد فتن النساء بشعره وأى امرأة لا تصبو إلى مثل قوله :

عجبت فطمةُ من نعتى لها * هل يجيد النعتَ مكفوفُ النظرْ
بنت عشرٍ وثلاثٍ قسِّمت * بين غصن وكثيبٍ وقمر
درةٌ بحريةٌ مكنونةٌ * مازها التاجر من بين الدرَرْ
أذرت الدمع وقالت ويلتى * من ولوع الكف ركّاب الخطر
أمتى بدَّدَ هذا لُعَبى * ووشاحى حله حتى انتثر

فدعينى معـه يا أمتى * علّنا فى خلوة نقضى الوطر
أقبلت فى خلوة تضربها * واعتراها كجنون مستعر
بأبى والله ما أحسنهُ * دمع عين غسل الكحل قطِر
أيها النوّام هبوا ويحكم * وسلونى اليوم ماطعم السهر

فأمره المهدى أن لا يتغزل ، فقال أشعاراً فى ذلك ، منها

يامنظراً حسناً رأيتهْ * من وجه جاريةٍ فديتهْ
لمعتْ إلىّ تسومنى * ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمـدٍ * ما ان غدرتُ ولا نويتهُ
أمسكت عنك وربما * عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبى * واذا أبى شيئاً أبيته
ويشوقنى بيت الحبيـ * ـب اذا غدوت وأين بيتهُ
قام الخليفة دونهُ * فصبرت عنـه وما قليته
ونهانىَ الملك الهما * م عن النساء فما عصيته
بل قد وفيت ولم أضع * عهـداً ولا رأياً رأيته

وقال أيضاً

والله لولا الخليفة ما * أعطيت ضيما علىّ فى شجنِ
قد عشت بين الندمان والرا * ح والمزهر فى ظل مجلس حسن
ثم نهانى المهدىُّ فانصرفت * نفسىَ صُنع الموفق اللقِن

وقال أفنيت عمرى وتقضى الشبابْ * بين الحميّا والجوارى العِذابْ
فالآن شفّعت إمام الهدى * وربما طبت لحبٍّ وطاب
لموت حتى راعنى داعياً * صوت أمير المؤمنين المجاب
لبيك لبيك هجرت الصبا * ونام عذّالى ومات العِتاب
أبصرت رشدى وتركت المنى * وربما ذلت لهن الرقاب

فى كلمة طويلة يقول فيها

يا حامد القول ولم يَبـلُهُ * سبقْت بالسيل مِساك السحاب
الفعـل أولى بثناء الفتى * ما جاءه من خطأ أو صواب
دع قول واءٍ وانتظر فعلهُ * يثنى على اللِّقحة ما فى الحِلاب(١)
اذا غدى المهدىُّ فى جندهِ * وراح فى آل الرسول الغِضاب
بدا لك المعروف فى وجههِ * كالظّلم يجرى فى الثنايا العِذاب

غزل بشار

ومن شعر بشار فى الغزل

أيهـا الساقيان صُبا شرابى * واسقيانى من ريق بيضاءَ رودِ
ان دائى الصدى وان شفائى * شربة من رضاب ثغر بَرودِ
عندها الصبر عن لقائى وعندى * زفرات يأكلن قلب الجليد
ولهـا مبسم كغُرِّ الاقاحى * وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبـة القلـ * ـب ونالت زيادة المسـتزيد
ثم قالت نلقاك بعـد ليـالٍ * والليـالى يبلين كل جـديد
لا أبالى من ضن عنى بوصل * إن قضى الله منك لى يوم جود

وقال

تُلقىَ بتسبيحة من حسن ما خُلِقت * وتسـتفزّ حشـا الرائى بارعادِ
كأنمـا صوِّرت من ماء لؤلؤة * فـكل جارحة وجهٌ بمرصادِ

وقال وهبت له على المسواك ريقاً * فطاب له بطيب ثنيَّتيكِ
أقبله على الذكرى كأنى * أقبـل فيـه فاك ومقلتيكِ

وقال لا أستطيع الهوى وهجرتها * قلبى ضعيف وقلبها حجرُ
كأن وجدى بها وقد حجبت * فى الرأس والعين والحشا سُكُرُ

---

(١) واء : واعد من الوأى وهى الوعد

وأنشد لهأبو تمام ، وكان يقول ما رأيت شعراً أغزل منه

زوّدينا ياعبد قبل الفراقِ * بتلاق وكيف لى بالتلاقِ
أنا والله أشتهى سحر عينيـ * ـك وأخشى مصارع العشاق
أمَتى من بنى عقيل بن كعب * موضع السلك فى طَلا الاعناق

وقال

لقدعشقت أذنى كلاماً سمعتهُ * رخيما وقلبى المليحة أعشقُ
ولوعاينوها لم يلوموا على البكا * كريماً سقاه الخمر بدرٌ محلّق
وكيف تناسى من كأن حديثهُ * باذنى وان غُنيت قرط معلّق

وقال

وقد كنت فى ذاك الشباب الذى مضى * أزارُ ويدعونى الهوى فأزور
فان فاتنى إلف ظللت كأنما * يدير حياتى فى يديه مديرُ
ومرتجة الأرداف مهضومة الحشا * تمور بسحرٍ عينها وتدور
اذا نظرت صبّت عليك صبابةً * وكادت قلوب العالمين تطير
خلوت بها لايخلص الماء بيننا * الى الصبح دونى حاجب وستور

ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله

صلينى وحبل الوصل لم يتشعّب * ولا تهجرى أفديك بالأم والأبِ
رعى الله دهراً ضمنا بعد فرقةٍ * وأدنى فؤداً من فؤاد معذب
عناقا وضمّا والتزاماً كأنما * يرى جسدانا جسم روح مركب
فبتنا وإنا لو تراق زجاجةٌ * من الخمر فيما بيننا لم تسرّب

شعره فى هذا المعنى كثير

رأيه فى شعره

وروى انه قال: أنا أشعر الناس ، لأن لى اثنى عشر ألف قصيدة ، فلو اختير من كل قصيدة بيت لاستندر ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعر الناس ، وقد نثرت نظمه فى أضعاف الكتاب استدعاء لنشاط القارىء وكراهة

فى املاله — وكان بشار أرق المحدَثين ديباجة كلام ، وسمى أبا المحدثين لانه فتق لهم أكمام المعانى ، ونهج لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ، وكان ابن الرومى يقدمه ويزعم انه أشعر من تقدم وتأخر ، وهو يتعلق فى شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، ويفتخر بالمضرية ، قال له المهدى فيمن تعتزى ؟ قال : أما اللسان فعربى ، وأما الاصل فكما قلت فى شعرى ، قال وما قلت ؟ فأنشده

ونبئت قوما لهم إحنةٌ * يقولون من ذا وكنت العلَمْ
ألا أيها السائلى جاهلاً * ليعرفنى أنا إلف الكرم
نمَت فى المكارم بى عامرٌ * فروعى وأصلى قريش العجم
وانى لأغنى مقام الفتى * وأصبى الفتاة فلا تعتصم

البيت الاول من هذه الابيات ينظر الى قول جميل

اذا ما رأونى طالعاً من ثنيةٍ * يقولون من هذا وقد عرفونى

وفى هذه القصيدة يقول بشار

وبيضاء يضحك ماء الشبا * ب فى وجهها لك إذ تبتسمْ
رِواء العذارى اذا زرنها * أطفن بحوراء مثل الصنم
يرحن فيمسحن أركانها * كما يمسح الحجرَ المستلم
أصفراء ليس الفتى صخرةً * ولكنه نُصب هم وغم
صببتِ هواك على قلبهِ * فضاق وأعلن ما قد كتم

ويقال انه مولى لام الظباء السدوسية ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزَّال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الاعمى الملحد المشنّف المكتنى بأبى معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الغِيلة من سجايا الغالية ، لبعثت اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله ، ولا يكون الا سدوسيا ، أو عُقيليا

واصل بن عطاء

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا: لانه كان ألثغ فى الراء ، فأسقطها من جميع كلامه وخطبه ، إذ كان امام مذهب ، وداعى نِحلة ، وكان محتاجا الى جودة البيان ، وفصاحة اللسان ، قال الجاحظ : فانظر كثرة ترداد الراء فى هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال الاعمى ولم يقل الضرير ، قال الملحدولم يقل الكافر ، وقال المشنف ولم يقل المرَعَّث . وقال المكتنى بأبى معاذ ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ، وقال الغالية ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين أراد ، وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت ، وقال يبعج ولم يقل يبقر ، وقال فى جوف منزله ولم يقل فى داره ، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه اليهم

دين بشار

وزعم الجاحظ أن بشارا كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، وأنشد له أشعاراً صوّب بها رأى ابليس فى تقديم النار على الطين ، منها قوله

الارض مظلمة والنار مشرقةٌ * والنار معبودة مذ كانت النارُ

وقال داود بن رزين أتينا بشارا فاذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا الى الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فبال بحضرتنا فقلنا له أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ، قال ما هى ؟ قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال انما أذنت لتأكلوا ، ولولم نرد ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال أنا مكفوف وأنتم مأمورون بغض الابصار دونى ، قلنا وحضرت الصلاة فلم تصل ، قال الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل

كيف يبكى لمحبس فى طلولِ * من سيُفضى لحبس يوم طويلِ

إن فى البعث والحساب لشغلاً * عن وقوف برسم دار محيلِ

وقال

ذكرت بها عيشاً فقلت لصاحبى * كأنْ لم يكن ما كان حين يزولُ

وما حاجتى لو ساعد الدهر بالمنى * كعاب عليها لؤلؤ وشكول

بدا لىَ أن الدهر يقدح فى الصفا * وأن بقائى إن حييت قليل

فعش خائفاً الموت أو غير خائف * على كل نفس للحمام دليل

خليلك ما قدمت من عمل التقى * وليس لأيام المنون خليل

سجعه ورجزه

وكان بشار حاضر الجواب ، سجّاعا خطيبا ، صاحب منثور ومزدوج ، ورجز ، ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة فانشده مديحا وعنده عقبة بن رؤبة فانشده أرجوزة ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال والله لأ نا أرجز منك ، ومن أبيك ، ثم غدا على عقبة من الغد فانشده أرجوزته

ياطلل الحى بذات الصَّمْدِ * بالله خبِّر كيف كنت بعدى

يقول فيها

صدّت بخد وجلَت عن خدِّ * ثم انثنت كالنفَس المرتدِّ

وصاحب كالدُّمّل الممَدِّ * حملته فى رقعة من جلدى

حتى اغتدى غير فقيد الفقدِ * وما درى ما رغبتى من زهدى

وهذا كقول الآخر

يودّون لو خاطوا عليك جلودهم * ولا يدفع الموت النفوس الشحائحُ

وفيها يقول

الحر يلحى والعصى للعبدِ * وليس للملحف مثل الردِّ

اسلم وحُييت أبا المَلَدّ * مفتاح باب الحدث المنسدّ
والبس طرازى غير مستردّ * لله أيامك فى مَعَدّ

وهى طويلة ، فأجزل صلته ، فلما سمع ابن رؤبة ما فيهـا من الغريب قال : أنا وأبى وجدى فتحنا الغريب للناس ، وانى لخليق أن أسده عليهم ، فقال بشار ارحمهم رحمك الله ! قال تستخف بى ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ قال اذاً أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !فضحك كل من حضر

طرفه ونوادره

ودخل على المهدى وعنده خاله يزيد بن منصور الحميرى فأنشده قصيدة فلما أتمها قال له يزيد ما صناعتك ياشـيخ ؟ قال أثقب اللؤلؤ فقال له المهدى : أتهزأ بخالى ؟ فقال يا أمير المؤمنين فما يكون جوابى لمن يرى شيخاً أعمى ينشد شـعراً فيسأله عن صناعته ؟ وقال جوارى المهدى المهدى : لو أذنت لبشار يدخل الينا يؤانسنا وينشدنا فهو محجوب البصر ، لاغيرة عليك منه ، وأمره فدخل اليهن واستظرفنه ، وقلن له : وددنا والله ياأبامعاذ انك أبونا حتى لانفارقك ، قال ونحن على دين كسرى ! فأمر المهدى أن لايدخل عليهن. وكأن المتنبى نظر الى هذا فقال

يا أخت معتنق الفوارس فى الوغى * لأخوك ثَم أرق منك وأرحمُ
يرنو اليك مع العفاف وعندهُ * أن المجوس تصيب فيما تحكم

كلمات مأثورة

قال على بن عبيدة الريحانى : المودة تعاطف القلوب ، وائتلاف الأرواح ، وحنين النفوس الى مثابة السرائر ، والاسترواح بالمستكنات فى الغرائز ، ووحشة الاشخاص عند تباين اللقاء وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة

الجواهر يكون اتفاق الخصال . وقال: العتاب حدائق المتحابين، وثمار الأودّاء ودليل الظن ، وحركات الشوق ، وراحة الواجد ، ولسان المشفق (قال بعض الكتاب) العتاب علامة الوفاء ، وخاصة الجفاء ، وسلاح الاكفاء (وقال على ابن عبيدة) التجنى رسول القطيعة ، وداعى القلى ، وسبب السلوّ ، وأول التجافى ومنزل التهاجر. وقال: الصدق ربيع القلب ، وزكاة الخلق ، وثمرة المروءة ، وشعاع الضمير ، وعن جلالة القدر عبارته ، وإلى اعتدال وزن العقل ينسب صاحبه ، وشهادته قاطعة فى الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات ، وقال: الكذب شعار الخيانة ، وتحريف العلم ، وخواطر الزور ، وتسويل أضغاث النفس ، واعوجاج التركيب ، واختلاف البنية ، وعن خمول الذكر ما يكون صاحبه — وعلى بن عبيدة كثير الاغارة ،على ما كان غيره قد استثاره

ذم الكذب

فقر فى الكذب لغير واحد— بعض الفلاسفة : الكذاب والميت سواء ، لان فضيلة الحى النطق ، فاذا لم يوثق بكلامه ، فقد بطلت حياته. الحسن بن سهل: الكذاب لص ، لان اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك ، ولا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك . قال ابراهيم بن العباس فى هذا النحو

إنى متى أحقد بحقـ ـدك لا أضرُّ به سواكا
ومتى أطعتك فى أخـ * ـيك أطعت فيك غداً أخاكا
حتى أرى متقسما * يومى لذا وغدا لذاكا

حسب الكاذب بعقله سقما و بقلبه خصما— ابن المعتز: علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال

وفى اليمين على ما أنت فاعلهُ * مادل انك فى الميعاد متهمُ

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب ، فان اضطررت اليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه نك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — يعترى حديث الكذاب من الاختلاف ، مالا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب — لا تصح للكذاب رؤيا لانه يخبر عن نفسه فى اليقظة بما لم ير ، فتريه فى النوم مالا يكون. وأنشد

لا يكذب المرء إلا من مهانتهِ * أوعادة السوء أو من قلة الادبِ

(ولأهل العصر) فلان منغمس فى عيبه ، يكذب لذيله على جيبه ، يقول بهتاً وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه رينا ، وقوله مَيْنا ، يدين بالكذب مذهبا ، ويستثير الزور مركباً ، أقاويل يتمشى الزور فى منا كبها ، ويبرز البهتان فى مذاهبها

وقال اعرابى لابنه وسمعه يكذب : يابنى عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وانما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدَّق ، وان أراد خيراً لم يوفَّق ، فهو الجانى على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر

حَسْبُ الكذوب من المها نة بعض ما يحكى عليهِ
ما إن سمعت بكذبةٍ * من غيره نسبت اليهِ

حزم الحسن بن سهل

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون بعد أن زفت اليه بوران وتوهم القواد أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده فى قبول أمته ، شيئاً لا يتسع له الشكر عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين أدام الله عزه فى اخراج توقيعه بتزيين حالى فى العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً ان شاء الله. فخرج التوقيع: الحسن بن سهل زمام على ماجمع أمور الخاصة ، وكنف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاة ، واليه الخراج والبريد واختيار القضاة، جزاءً بمعرفته بالحال التى قربته منا ، واثابة لشكرِ ايانا على ماأولينا

خطب النكاح

قال يحيى بن أكثم أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضى فقال يايحيى تكلم فأجللته أن أقول أنكحت، فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الاكبر ، والامام الاعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال: الحمد لله الذى تصاغرت الامور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد فان الله قد جعل النكاح دينا، ورضيه حكما، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى مادرج اليه السلف ، والحمد لله رب العالمين . قال الاصمعى: كانوا يستحبون من الخاطب الى الرجل حُرمته الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب اليه الايجاز ، ليدل على الاجابة — وخطب رجل من بنى أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء .

أما بعد فان الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك على كتاب الله: إمساك بمعروف ، أو تسريح باحسان — وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن يخطب له فاستفتح بحمد الله وأطال وصلى على النبى عليه السلام وأطال ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتص ذكر القرون حتى ضجر من حضر ، والتفت الى الخاطب فقال: ما اسمك أعزك الله ؟ فقال والله قد أنسيت اسمى من طول خطبتك ، وهى طالق ان تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر

الكتاب والقلم

وقال ابن المعتز : الكتاب والج الابواب ، جرىء على الحجّاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نُوَّار بستان . وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله قال الصولى لما عُرض القاسم بن عبيد الله ليخلف أباه قال ابن المعتز

قلمٌ ما أراد أم فلك يجرى * بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
خاشعٌ فى يديه يلثم قرطا * ساً كما قبَّل البساطَ شكورُ
ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الافعال وهو صغيرُ
كم منايا وكم عطايا وكم حتفٍ * وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدُّجا نهارا فما أد * رى أخطٌّ فيهنَّ أم تصوير
هكذا من أبوه مثل عبيد * الله ينمى الى العلى ويصير
عظمت منة الاله عليهِ * فهناك الوزير وهو الوزير

وقال بعض البلغاء : صورة الخط فى الأبصار سواد ، وفى البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبى

دعانى اليك العلم والحلم والحجى * وهذا الكلام النظم والنائل النثرُ
وما قلت من شعر تكاد بيوتهُ * اذا كتبت ببيضٍ من نورها الحِبْرُ

وقال ابن المعتز فى عبيد الله بن سليمان بن وهب

عليمٌ بأعقاب الأمور كأنهُ * بمختلسات الظن يسمع أو يرى
اذا أخذ القرطاس خلت يمينهُ * يُفتِّح نَوْرًا أو ينظِّم جوهرا

فاخر صاحب سيفٍ صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غَرَر ، وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده ، وإلا إلى السيف معاده ، أما سمعت قول أبى تمام

السيف أصدق أنباء من الكُتُبِ * فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والرِّيَبِ

وقال أبو الطيب

مازالت أضحك إبلى كلما نظرتْ * الى من اختضبت أخفافها بدمِ
اسيرها بين أصنام أشاهدها * ولا أشاهد فيها عفّة الصنم
حتى رجعتُ وأقلامى قوائلُ لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به * فانما نحن للأسياف كالخدم

هذا مقلوب من قول على بن العباس النوبختى وقد رواه أبو القاسم الزجاجى لابن الرومى ، وانما وهم لاتفاق الاسمين

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقابُ ودانت خوفَه الامم
فالموت والموت لاشىءٌ يغالبهُ * مازال يتْبع ما يجرى به القلمُ
بذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِيت * إن السيوف لها مذ أرهِفت خدم

وقال ابن الرومى

لعمرك ما السيف سيف الكمىّ * بأخوفَ من قلم الكاتبِ
له شاهدٌ ان تأملتهُ * ظهَرتَ على سرّه الغائب
أداة المنية فى جانبيه * فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية فى جانبٍ * وحدّ المنية فى جانبِ
ألم تر فى صدره كالسنان * وفى الردف كالمرهف القاضب

وقال أبو الفتح البستى

اذا أقسم الابطال يوماً بسيفهم * وعدود مما يكسب المجد والكرمْ

كفى قلم الكتّاب مجداً ورفعةً * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقد قيل : صرير الأقلام ، أشد من صليل الحسام . قال الصولى أنشدنى طلحة بن عبيد الله

واذا أمرّ على المهارق كفهُ * بأنامل يحملن شَخْتا مرهفا
متقاصراً متطاولا ومفصلا * وموصلا ومشتتاً ومؤلفا
ترك العُداة واجفاً أحشاؤها * وقلاعها قِلعاً هنالك رَجَّفا
كالحية الرقشاء الا انهُ * يستنزل الأروَى اليه تلطفا
يرمى به قلماً يمجّ لعابهُ * فيعود سيفا صارما ومثقفا

وقال محمود بن احمد الاصبهاني

أخرسُ ينبيك بإطراقهِ * عن كل ماشئت من الأمرِ
يذرى على قرطاسه دمعةً * يبدى بها السر وما يدرى
كعاشق أخفى هواه وقد * نمّت عليه عبرةٌ تجرى
تبصره فى كل أحوالهِ * عريان يكسو الناس أو يعرى
يُرى أسيراً فى دواة وقد * أطلق أقواماً من الأسر
أخرق لولم تبره لم يكن * يَرْشق أقواماً وما يبرى
كالبحر إذ يجرى وكالليل اذ * يغشى وكالصارم إذ يفرى

وقال احمد بن جرار

أهيفُ ممشوقٌ بتحريكهِ * يحل عقد السر اعلانُ
له لسانٌ مرهفٌ حدهُ * من ربقة الكرسف ريان
ترى بسيط الفكر فى نظمهِ * شخصاً له حد وجثمانُ
كأنما يسحب فى إثرهِ * ذيلا من الحكمة سحبانُ
لولاه مانار منار الهدى * ولا سما للملك ديوان

ومن أجود ماقيل فى صفة القلم قول أبى تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بشباتهِ * تُصاب من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
له رِيقةٌ طَلَّ ولكنّ وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابلُ
تُعابُ الأفاعى القاتلات لعابهُ * وأزْىُ الجنى اشتارته أيدٍ عواسل
له الخلوات اللائى لولا نجيُّها * لما اختلفت المُلك تلك المحافل

وقال الأمير تميم بن المعز

وذى عجب من طول صبرى على الذى * ألاقى من الأرزاء وهو جليلُ
يقولون ما تشكو ؟ فقلت متى شكا * شبا السيف عضب الشفرتين صقيلُ
وان امرأً يشكو الى غير نافع * ويسخو بما فى نفسهِ لجهولُ
عذابىَ أن أشكو الى الناس إننى * عليلٌ ومن أشكو اليه عليلُ
ويمنعنى الشكوى الى الله علمُهُ * بجملة ما ألقاه قبلَ أقول
سأسكت صبراً واحتساباً فاننى * أرى الصبر سيفاً ليس فيه فُلول

وقال

يادهر ما أقساك من متلوّنٍ * فى حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنِّكس الجهول ممهّدا * وعلى اللبيب الحر سيفاً مرهفا
واذا صفوت كدَرت شيمةَ باخلٍ * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لأننى * أدرى بأنك لاتدوم على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردّ عطاءهُ * واذا استقام بدا له فتحرفا
ماقام خيرك يازمان بشرهِ * أولى بنا ماقل منك وما كفى

أحمد بن يوسف

وكان أحمد بن يوسف منصرِفاً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هنات بحضرة المأمون ، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه : أخبرونى عن غسان بن عباد فانى أريده لأمر جسيم ، وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود ، فتكلم كل فريق بما عنده فى مدحه ، فقال أحمد بن يوسف:هو يا أمير المؤمنين رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه ، لايتطرف به أمر الا تقدم فيه ، ومهما نخوّف عليه فانه لن يأتى أمراً يعتذر منه ، لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل : فجعل لكل خلق نَوبة ، اذا نظرت فى أمره لم تدر أى حالاته أعجب ، أمَا هداه اليه عقله أمْ ما اكتسبه بأدبه ، فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه ، قال لأنى فى أمير المؤمنين كما قال الشاعر

كفى ثمنا لما أسديتَ أنى * نصحتك فى الصديق وفى عِدائى
وانى حين تندبنى لأمرٍ * يكون هواك أغلب من هوائى

قال الصولى وقد رُوى هذا لغير أحمد ولعل أحمد استعاره،فأعجب المأمون ذلك منه وشكره غسان بن عباد له، وتأكدت الحال بينهما

وكان احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالى الطبقة فى البلاغة،ولم يكن فى زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار الكتاب. ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبى خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن المخلوع محمد بن الرشيد لما قُتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا الى المأمون فأطالوا ، فقال طاهر أريد أخصر من هذا، فوصف له احمد بن يوسف وموضعه من البلاغة، فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فان كان المخلوع قسيم أمير المؤمنين فى النسب واللُّحمة ، فقد فرق بينهما حكم الكتاب فى الولاية والخدمة ، بمفارقته

عصمة الدين، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ، لقول الله عز وجل فيما اقتص من نبأ نوح وابنه (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) ولا طاعة لأحد فى معصية الله ، ولا قطيعةَ ما كانت القطيعة فى ذات الله، وكتابى إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن خَتَرَ عهده ، ونقض عقده ، حتى ردَّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الامة بعد شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دروسها ، وقد بعثت اليك بالدنيا وهى رأس المخلوع ، وبالآخرة وهى البردة والقضيب ، والحمد لله الآخذ لأمير المؤمنين حقه ، الراجع اليه تراث آبائه الراشدين

وكان أحمد ابن أبى خالد كثيراً مايصف أحمد للمأمون ويحثه عليه فأمره المأمون باحضاره، فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى استخصك فيما استحفظك من دينه ، وقلدك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل قِسَمِه ، وعرّفك من تيسير كل عسير حاوَلك عليه متمرّد ، حتى ذلل لك ، ماجعله تكملة لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حداً نامياً زائداً لاينقطع أولاه ، ولا ينقضى أخراه ، وأنا اسأل الله يا أمير المؤمنين من اتمام بلائه لديك ، ومننه عليك ، وكفايته ما ولاّك واسترعاك ، وتحصين ماحاز لك ، والتمكين من بلاد عدوك ، مايمنع به بيضة الاسلام ، ويعزّ بك أهله ، ويبيح بك حمى الشرك ، ويجمع لك متباين الألفة ، وينجز بك فى أهل العناد والضلالة وعده ، انه سميع الدعاء ، فعّال لما يشاء . فقال المأمون أحسنت، بورك عليك ناطقا وساكتا ، ثم قال بعد أن بلاه واختبره: ياعجباً لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتم نفسه!

وكتب الى المأمون يستجدى لزوّار على بابه : ان داعى ندالك ، ومنادى جدواك ، جمعا ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيد ، فمنهم من يمت بخرمة ، ومنهم من يدلى بسالف خدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبه ، ويحقق ظنهم بطوله، فعل ، فوقّع المأمون فى عرض كتابه:

الخير متبع وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات ، فاكتب أسماءهم وبيّن مرتبة كل واحد منهم ليصير اليه على قدر استحقاقه، ولا تكدرن معروفنا بالمطل والحجاب، فقد قال الشاعر

فانك لن ترى طرداً لحرٍّ * كالصاق به طرف الهوانِ
ولم تجلب مودة ذى وفاءٍ * بمثل الود أو بذل اللسان

قال أحمد بن يوسف أمرنى المأمون أن أكتب فى زيادة قناديل شهر رمضان فأعيا علىّ ولم أجد مثالا أحتذى عليه ، فبت مغموماً فأتانى آت فى النوم فقال أكتب : فان فيها اضاءة المتهجدين ، ونفيا لمكان الريب ، وأنسا للسابلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلَم ، فأخبرت بذلك المأمون فاستظرفه ، وأمر أن تمضى الكتب عليه

وأهدى إلى المأمون فى يوم نوروز طبق جزع عليه مِيل من ذهب فيه اسمه منقوش ، وكتب اليه: هذا يوم جرت فيه العادة ، بإلطاف العبيد السادة ، وقد بعثت الى أمير المؤمنين طبق جزع فيه ميل . فلما قرأ المأمون الرقعة قال أجاءت هدية أحمد ابن يوسف ؟ قالوا نعم . قال هى فى دارى أم دارى فيها ، فلما رفع المنديل استظرف الهدية واسترجح مهديها . وأهدى الى ابراهيم بن المهدى هدية وكتب اليه: الثقة بك قد سهّلت السبيل اليك ، فأهديت هدية من لا يحتشم ، الى من لا يغتنم. وكتب الى بنى سعيد بن سلم: لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتبه بالقرآن، لنزل فيكم نبى نقمة ، وأنزل فيكم قرآن غدر ، وما عَسيت أن أقول فى قوم محاسنهم مساوى السفل ، ومساويهم فضائح الأمم ، وألسنتهم معقولة بالعىّ ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم كما قال الشاعر

لايكبرون وان طالت حياتهُمُ * ولاتبيد مخازيهم وإن بادوا

ذم المغنين

وغنّى مغن بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن محسنا فلم ينصتوا له ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب المغنى، فقال احمد بن يوسف: أنت عافاك الله تحمّل الاسماع ثقلا، والقلوب مللا ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة، ثم تقول اسمعوا منى ، وانصتوا إلىّ! هذا اذا كانت أفهامنا مقفلة، وآذاننا صدئة ، فإما رضيت بالعفو منا ، والا قمت مذموماً عنا (١)

ألفاظ لأهل العصر فى ذم المغنين — يترنم فيتعب ولا يطرب ، اذا غنّى غنّى واذا أدى آذى ، يميت الطرب ، ويحيي الكرب ، ضربه يوجب ضربه ، من عجائب غنائه انه يورد الشتاء فى الصيف ، مارؤى قط فى دار مرتين . وحضر جحظة مجلسا فيه على بن بسام فتفرق القوم المخادّ، فقال جحظة فمالى لم تعطونى مخدّة؟ فقال على بن بسام غنّ فالمخاد كلها اليك تصير ! وفيه يقول ابن بسام

يامن هجوناه فغنانا * أنت وبيت الله أهجانا
سيّان ان غنى لنا جحظة * أو مر مجنون فغنانا

وكان خالد يُستَبرد، فبعث بعض الظرفاء غلاما، يشترى له خمسة أرطال بلحاً فأتاه بخالد وقال : يامولاى طلبت خمسة أرطال ، وهذا حِمل ! وتغنى بحضرة محموم فقال : ويحك دعنا نعرق ! وقال بعض المحدثين فى قُرَيس المغنى

ألا فاسقنى قدحاً وافراً * يعين على البلغم الهائجِ
أكلنا قُرَيسا وغنى قريس * فنحن على شرف الفالجِ

ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى فى يوم ثلج بالجسر ، فقال أنت المبرّد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعبر بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا . وقال ابن عباد الصاحب فى مغن يعرف بابن عذاب

أقول قولا بلا احتشام * يعقله كل من يعيهِ
ابن عذاب اذا تغنى * فانى منه فى أبيهِ

---

(١) العفو : القليل

شعر أحمد بن يوسف

ومن شعر أحمد بن يوسف

ضمير وجد بقلب صبّ * ترجم دمعى به فشاعا
فصار دمعى لسان وجدى * ضيّع سرى به فذاعا
لولا دموعى وفرط حبى * ما كان سرى كذا مضاعا

وقال

وعامل بالفجور يأمر بالبر * كهاد يخوض فى الظلَمِ
أو كطبيب قد شفه سقمٌ * وهو يداوى من ذلك السقَمِ
ياواعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر أوْلا فلا تلم

وقال

اذا ماالتقيناوالعيون نواظرٌ * فألسنتا حرب وأبصارنا سِلْمُ

وقال فى الحزن

كثير هموم القلب حتى كأنما * عليه سرور العالمين حرامُ
اذا قيل ما أضناك أسبل دمعهُ * فأخبر ما يلقى وليس كلامُ

وقال

كريمٌ له نفس يلين بلينها * ليردع عن سلطانه سنن الكِبْرِ
اذا ذكّرته نفسه عظم قدرها * دعاه الى تسكينها عظم القدرِ

ووقع فى كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده: مستتم الصنيعة من عدّل زيفها، وأقام أودها، صيانةً لمعروفه، ونصرة لرأيه، فان أول المعروف مستخف وآخره مستثقل، يكاد أول الصنيعة يكون للهوى، وآخرها للرأى، ولذلك قيل: رَبُّ الصنيعة أشد من ابتدائها (١)

---

(١) الرب : التعهد بالاصلاح

أصدقاء أبي العتاهية

وكان أبو العتاهية له صديق قبل ارتفاع حاله فأحس منه فى حين وزارته تغيرا فكتب اليه

أمنت إذ استغنيت من سَوْرة الفقر * فصرت ترى الاخوان بالنظر الشَّزْرِ
أبا جعفر إن الشريف يهينهُ * تنابهه دون الاخلاء بالوفر
فان تهت يوما بالذى نلت من غنى * فان غنائى بالتجمل والصبر
ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى * وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال :حجب أحمد بن يوسف أبا العتاهية ثم عاد فقيل هو نائم فكتب اليه

لئن عدت بعد اليوم انى لظالمٌ * سأصرف وجهى حيث تُبغى المكارمُ
متى يظفر الغادى اليك بحاجةٍ * ونصفك محجوب ونصفك نائمُ

وقال فى عداد الموتى وفى ساكنى الدنـ * يا أبو جعفر أخى وخليلى
ميت مات وهو فى ورق العيـ * ش مقيما فى ظل عيش ظليل
لم يمت ميتة الوفاة ولكن * مات عن كل صالح وجميلِ

احمد بن يوسف والمأمون

وخاصم أحمد بن يوسف رجلا بين يدى المأمون وكان صغا المأمون اليه على أحمد ففطن لذلك فقال : يا أمير المؤمنين انه يستملى من عينيك ما يلقانى به ، ويستبين بحركته ما تجنه له ، وبلوغ ارادتك أحب الىّ من بلوغ أملى ، ولذة اجابتك أمتع عندى من لذة ظفرى ، وقد تركت له ما نازعنى فيه ، وسلمت له ما طالبنى به ، فاستحسن ذلك المأمون. ومن كلام احمد بن يوسف (مجالسة البغضاء تثير الهموم ، وتجلب الغموم ، وتؤلم القلب ، وتقدح فى النشاط ، وتطوى الانبساط)

صفات الثقلاء

(ألفاظ لأهل العصر فى صفات الثقلاء) فلان ثقيل الطلعة ، بغيض التفصيل والجملة ، بارد السكون والحركة ، قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين الى ذات الشمال ، يحكى ثقل الحديث المعاد ، ويمشى فى القلوب والاكباد ، ولا أدرى كيف لم تحمل الامانة أرض حملته ، وكيف احتاجت الى الجبال بعد ما أقلّته ، كأن وجهه أيام المصائب ، وليالى النوائب ، وكأنما قربه فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجره قوة المنّة ، وريح الجنة ، يا عجبى من جسم كالخيال ، وروح كالجبال ، كأنه ثقل الدَّين ، على وجع العين ، هو ثقيل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة ، هو بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخمص والنعل حصاة ، ما هو الا غداة الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب ، ما هو إلا أربعاء لا تدور فى صَفَر ، والكابوس فى وقت السحر ، وأثقل من خراج بلا غلّة ، ودواء بلا علة ، وأبغض من مثل غير سائر ، وأجمع للعيوب من بغلة أبى دلامة ، وحمار طيار ، وطيلسان ابن حرب ، وأير أبى حكيمة ، وأنشد

مشى فدعا من ثقله الحوت ربهُ * وقال الهى زيدت الارض ثانية

وأنشد: تحمل منه الارض اضعاف ما * يحمله الحوت من الارضِ (١)

وأنشد: مشتمل بالبغض لا ينثنى * اليه لحظا مقلة الرامقِ

يظل فى مجلسنا قاعداً * أثقل من واش على عاشقِ

وقال الحمدونى

سألتك بالله الاّ صدقْت * وعلمى بأنك لا تصدقُ

أتبغض نفسك من ثقلها * والا فأنت اذاً أحمق

---

(١) اشارة الى الخرافة التى تزعم ان الارض يحملها حوت !

وكتب أبو عبد الرحمن المطوى الى بعض اخوانه

اذا أنت لم ترسل وجئت فلم أصل * ملأت بعذر منك سمع لبيبِ
أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجباً * ولا صاحباً إلا بوجهِ قطوب
كأنى غريمٌ مقتض أو كأننى * طلوع رقيب أو نهوض حبيبِ

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يستثقل جليسا اسمه زنباع ، فقال له رجل يوما: ما الزنبعة فى كلام العرب ؟ قال التثاقل ، ولذلك سمى جليسنا زنباعا

جحظة البرمكى

وقدأ كثر الناس فى الثقلاء وأنا أستحسن قول جحظة ، وان كان غيره قد تقدمه فى مثله

يالفظة النعى بموت الخليلْ * ياوقفة التوديع بين الحمولْ
ياشربة اليارج يا أجرة المنز * ل ياوجه العذول الثقيلْ
ياطلعة النعش ويامنزلاً * أقفر من بعد الأنيس الحلولْ
يانهضة المحبوب عن غضبةٍ * يانعمةً قد آذنت بالرحيل
ويا كتاباً جاء من مخلفٍ * للوعد مملوءا بعذر طويل
يابُكرة الثكلى الى حفرةٍ * مستودَع فيها عزيز الثكول
ياوثبة الحافظ مستعجلا * بصرفه القينات عند الاصيل
وياطبيباً قد أتى باكراً * على أخي سقم بماء البقول
ياشوكة فى قدم رَخصةٍ * ليس الى اخراجها من سبيل
ياعِشرة المجذوم فى رحلهِ * وياصعود السمر عند المُعِيل
يارَدة الحاجب عن قسوةٍ * ونكسةً من بعد برء العليل

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، وقال أبو الحسن على بن محمد بن مقلة الوزير سألت جحظة من لقّبه بهذا

اللقب ؟ فقال ابن المعتز لقيني يوما فقال لى : ما حيوان إن نكسوه أتانا آلة للمراكب البحرية ، فقلت عَلَق اذا نكس صار قلعا ، قال أحسنت ياجحظة ، فلزمنى هـذا اللقب — وكان ناتىء العينين جداً ، قبيح الوجه ، ولذلك قال ابن الرومى

نُبئت جحظة يستعير جحوظهُ * من فيل شطرنج ومن سرطانِ
يارحمتى لمنادميـه تحمّـلوا * ألم العيون للذة الآذانِ

وكان طيب الغناء ، ممتد النفَس ، حسن المسموع ، الا انه كان ثقيل اليد فى الضرب ، وكان حلو النادرة ، كثير الحكاية ، صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الابيات الجيدة ، وهو القائل

جانبت أطيب لذتى وشرابى * وهجرت بعدك عامداً أصحابى
فاذا كتبت لكى أنزّه ناظرى * فى حسن لفظك لم تجد بجواب
إن كنت تنكر ذلّتي وتذللى * ونحول جسمى وامتداد عذابى
فانظر الى بدنى الذى موّهتهُ * للناظرين بكثرة الاثواب

وقال واذا جفانى صاحبٌ * لم أستجز ماعشت قطعَهْ
وتركته مثـــل القبو * رأزورها فى كل جمعه

وقال

ضاقت علىَّ وجوه الرأى فى نفر * يلقون بالجحد والـكفران إحسانى
أقلِّب الطرف تصعيداً ومنحدراً * فما أقابل إنسانا بانسـاني

وقال لقد مات اخوانىَ الصالحون * فمالى صديق ومالى عمادْ
اذا أقبل الصبح ولّى السرور * وان أقبل الليل ولى الرقاد

وقال يهجو رجلا

لاتعذلونى إن هجرت طعامهُ * خوفا على نفسى من المأكولِ
فمتى أكلت قتلتـه من بخـلهِ * ومتى قتلت قُتِلت بالمقتولِ

جحظة و خالد الكاتب

ومن حكاياته ما حدثنى خالد الكاتب قال : جاءنى يوما رسول ابراهيم بن المهدى فصرت اليه ، فرأيت رجلا أسود على فُرُش قد غاص فيها ، فاستجلسنى وقال أنشدنى من شعرك ، فانشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارضِ
عشيّة حيانى بورد كأنهُ * خدود أضيفت بعضهن الى بعضِ
ونازعنى كأسا كأن حَبابها * دموعىَ لما صَد عن مقلتى غُمضى
وراح وفعل الراح فى حركاتهِ * كفعل نسيم الريح بالغُصُن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش ، وقال : يافتى شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ، زدنى فانشدته

عاتبت نفسى فى هوا * ك فلم أجدها تقبلُ
وأطعت داعيَها اليـ * ـك فلم أطع من يعذلُ
لا والذى جعل الوجـ * ـه ولحسن وجهك تمثُل
لا قلت ان الصبر عنـ * ـك من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لى زدنى فأنشدته

عش فحبّيك سريعاً قاتلى * والضنى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الحب بقلب دنفٍ * فيك والسقم بجسم ناحلِ
فهما بين اكتئاب وضنًى * تركانى كالقضيب الذابل
وبكى العاذل لى من رحمةٍ * فبكائى لبكاء العاذل

فنعر طرباً وقال يا بليق كم معك لنفقتنا ، قال ثمانمائة وخمسون دينارا ، قال اقسمها بينى وبين خالد فدفع إلىّ نصفها . وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله

لا يبعد الله اخوانا لنا سلفوا * أفناهمُ حدثان الدهر والابدُ
نمدهم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب الينا منهمُ أحدُ

لطف الجواب

وكان احمد بن يوسف جالسا بين يدى المأمون فسأل المأمون عن السكّين فناوله أحمد السكين ، وقد أمسك بنصابها ، وأشار اليه بالحد ، فنظر اليه المأمون نظر منكر ، فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر علىّ أخذى النصاب ، واشارتى اليه بالحد ، وانما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على اعدائه ، فعجب المأمون من سرعة فطنته ، ولطيف جوابه . وقال بعض الكتاب : السكين مسّ الأقلام يشحذها اذا كلّت ، ويصقلها اذا نبت ، ويطلقها اذا وقفت ، ويلمها إذا شعثت ، وأحسنها ماعرض صدره ، وأرهف حده ، ولم يفضل على القبضة نصابه

سكين كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى سكيناً سرقت له

ياقاتل الله كتاب الدواوين * ما يستحلّون من أخذ السكاكين
لقد دهانى لطيفٌ منهم خَتِلٌ * فى ذات حد كحد السيف مسنونِ
فأقفرت بعد عمران بوقعها * منها دواة قىً بالكتب مفتون
تبكى على مُدية أودى الزمان بها * كانت على جائر الأقلام تُعدينى
كانت تقوّم أقلامى وتنحتها * نحتاً وتسخطها بريا فترضينى
وأضحك الطرس والقرطاس عن حُللٍ * ينوب للعين من نَوْر البساتين
فان قَشَرت بها سوداء من صحفى * عادت كبعض خدود الخرّد العِين
جزعُ النصاب لطيفات شعائرها * محسّنات بأصناف التحاسين
هيفاء مرهفة بيضاء مذهبةٌ * قال الاله لها سبحانه كونى
لكن مِقَطّ أمسى شامتاً جذلا * وكان فى ذلة منها وفى هُون
فصِين حتى يضاهى فى صيانته * جاهى لصونيه عمن لايدانينى
ولست عنها بسالٍ ماجييت ولا * بواجد عوضاً منها يسلّينى
ولو يَردُّ فداء ما فجعت بهِ * منها فديناه بالدنيا وبالدين

صفات السكاكين

ألفاظ لأهل العصر فى صفات السكاكين — سكّين كأن القدَر سائقُها ، أو الأجل سابقها ، مُرهفة الصدر ، مخطفة الخصر ، يجول عليها فِرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تُبرق من حدها ، والأجل يلمع من متنها ، ركّبت فى نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت عليه صبغها ، وحب القلوب كسته لباسها ، أخذلها حديدها الناصع بحظ من الروم ، وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكأنها ليلٌ من تحت نهار ، أو مجمر أبدى سنا نار ، ذات غِرار ماض ، وذباب قاض ، سكين ذات منسر بازى ، وجوهر هوائى ، ونصاب زنجى ، ان أرضيت أولت متنا كالدهان ، وان اسخطت اتّقت بناب الافعوان ، سِكّين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الاعداء ، وتنفع نفع الاصدقاء ، هى أمضى من القضاء ، وأنفذ من القدر المتاح ، وأقطع من ظُبَة السيف الحسام وألمع من البرق فى الغمام ، جمعت حسن المنظر ، وكرم المخبر ، وتملكت عنان القلب والبصر ، ولم يحوجها عتق الجوهر إلى إمهاء الحجر

الاسترواح بذكر الصديق

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مازلنا فى سمَر نصل فصوله بتشوقك ، فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر . فقال القاسم : مثلك ذكر صديقه فأطراه ، واعتذر اليه فأرضاه ، ولو كنتم آذنتمونى كنت كأحدكم مسروراً بما به سررتم ، مفيضاً فيما فيه أفضتم

شروط المنادمة

قال بعض الظرفاء: شرط المنادمة قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف ، والمسامحة في الشراب ، والتغافل عن رد الجواب ، وإدمان الرضى ، واطّراح مامضى ، وإسقاط التحيات ، واجتناب اقتراح الأصوات ، وأكل ماحضر ، واحضار ماتيسّر ، وستر العيب ، وحفظ الغيب . وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوى في قوله

حقوق الكاس والندمان خمسٌ * فاولها التزيُّن بالوقارِ
وثانيها مسامحة الندامى * فكم حمت السماحة من ذِمار
وثالثها وان كنت ابن خير البرية محتداً ترك الفخارِ
ورابعها وللندمان حقٌ * سوى حق القرابة والجوار
اذا حدثته فاكس الحديث الذى حدثته ثوب اختصار
فما حُث النبيذ بمثل حسن الأغانى والأحاديث القِصار
وخامسة يدل بها أخوها * على كرم الطبيعة والنِّجار
حديث الأمس نَنساه جميعاً * فان الذنب فيه للعثار
ومن حكّمت كأسك فيه فاحكم * له بإقالة عند العِثار

وقال حسان بن ثابت

نوَلّيها الملامة إن ألمنا * اذا ما كان مقت أو لِحاء

بساط السلاف

وشرب اليزيدى عند المأمون فلما أخذت منه الكاس أقبل يعتز عليه بتعليمه اياه ، وأساء مخاطبته ، فلما أفاق من سكره عرف ماجرى ، فلبس أكفانه ووقف بين يدى المأمون فأنشده

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسعٌ * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفوُ
ثملت فأبدت منيَ الكاسُ بعض ما * كرهت وما إن يستوى السكر والصحوُ
ولا سيما ان كنت عند خليفةٍ * وفى مجلس ما ان يجوز به اللغو
فان تعف عنى أِلف خطوى واسعاً * والا يكن عفو فقد قصر الخطو

فقال المأمون: لاتثريب عليك ، فالنبيذ بساط يطوى بما عليه . وشرب كوران المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه وزعم أنه سرق. فقال له الشريف : ويحك من تتهم ؟ أما علمت أن النبيذ بساط يطوى بما عليه ؟ قال انشروا هذا البساط حتى آخذ ردائى واطووه الى يوم القيامة ! وكان أبو جعفر احمد بن جدار كاتب العباس ابن احمد بن طولون ينقل أخبار أبى حفص عمر بن أيوب كاتب احمد بن طولون على الشراب الى العباس ، فصار اليه أبو حفص فقال يا أبا جعفر انما مجلس المدام مجلس حُرمة ، وداعية أنس ، ومسرح لُبانة ، ومذادُ هَمّ ، ومرتع لهو ، ومعهد سرور ، وانما توسطته عند من لا يُتهم غيبه ، ولا يُخشى عتبه ، وقد اتصل بى ما تنهيه الى أميرنا أبى الفضل أعز الله أمره ، من أخبار مجالسى ، فلا تفعل ، وأنشده

ولقد قلت للأخلاّءِ يوماً * قول ساع بالنصح لو سمعوهُ
إنما مجلس المدام بساطٌ * للمودّات بينهم وضعوهُ
فاذا ما انتهوا الى ما أرادوا * من نعيم ولذةٍ رفعوهُ
وهُمُ أحرياءٌ ان كان منهم * حافظ ما أتوه أن يمنعوهُ

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه . وأنشد أبو حفص

كم من أخ أوجست منه سجيةً * فأنست بعد وداده بفراقهِ
لم احمد الأيام منه خليقةً * فتركته مستمتعا بخَلاقهِ

عول أبو حفص فى أكثر كلامه على نقل كلام أبى العباس الناشئ فى الشراب ، والابيات التى أنشد أولاله — أبو القاسم الصاحب : قدماً حُمِلت أوزار السكر ، على

ظهور الخمر ، وطوى بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ أو صواب ، متابعة العُثّار ، تعذر فى خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار — متابعة الارطال ، تبطل سورة الابطال ، وتدع الشيوخ كالاطفال

أيام الشراب

كتب اسحاق بن ابراهيم الموصلى الى بعض الجِلّة يستدعيه : يومنا يوم ليّن الحواشى ، وطىء النواحى ، وسماؤنا قد أقبلت ، ورعدت بالخير وبرقت ، وأنت قطب السرور ، ونظام الأمور ، فلا تفردنا فنقلّ ، ولا تنفرد عنا فنذلّ

وكتب بعض أهل العصر وهو السرى الموصلى الى أخ له يستدعيه الى مؤانسته

خِلالُك ما اختلّ الصديق سحائبُ * وبشرك ماهبت رياحٌ مواهبُ
وأنت شقيق الروح تؤثر وصلها * اذا راعها بالهجر خلٌّ وصاحب
ونحن خلالَ القصف والعزف نجتنى * ثمار ملاهٍ كلهن أطايب
وعندى لك الريحان زِين بساطهُ * بزهر كما زانت سماءً كواكب
وجيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلقت فيه الشمائل وانثنت * مفندة عن جانبيها الجنائب
وحافظة ماءَ الحياة لفتيةٍ * حياتهمُ أن تُستلذ المشارب
نُسَرْبلها أخفى اللباس وانما * يلف بها أفوافه والسبائب
على جسد مثل الزبرجد لم تزل * تشاكلهُ فى لونه وتناسب
اذا استُودعت حُرَّ اللجين سبائكا * تصوّب فى احشائها وهو ذائب
وفوق رءوس القوم غيم معلقٌ * من النَّد لا يجرى ولا هو ذاهب
بوارقهُ خمر الكؤس ورعدهُ * أنامل بيضٌ للطبول تلاعب
ولا عائق يثنى عنانك عن هوًى * رغى جانبٌ منه وأومض جانب
فبادر فان اليوم صاف من القذى * ويارب يوم بادرته النوائب

وقال ابن المعتز

لاشئ يُسْلِى همى سوى قدح * تدمى عليه أوداج ابريقِ
فى غيم يومٍ يزجى سحائبهُ * برق ابتسامٍ ورعد تصفيقِ

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طبلا

ياحبذا يومنا نلهو بملهيةٍ * تلهى بشئ له رأمسان فى جسدِ
قد شُدَّ هذا الى هذا كأنهما * من شدة الشد مقرونان فى صَفَدِ
نظل نلطم خديه اذا ضربت * بكل طاقتها لطما بلا حرَدِ
فتسمع الصوت منه حين تضربهُ * كأنه خارج من ماضِغَىْ أسدِ

الدعوة الى الراح

ومن ألفاظهم فى الاستدعاء : نحن فى مجلس قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لاطاب أو تعيه أذناك ، فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلا لابطائك ، وعيون نرجسه قد حدقت تأميلا للقائك ، فبحياتى عليك الا تعجّلت ، وما تمهلت — نحن بغيبتك كعقد قد تغيبت واسطته ، وشباب قد أخلقت جِدَّته ، واذا غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا. أنت من ينظم به شمل الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب ، طِر إلينا طيران السهم واطلع علينا طلوع النجم ، ثِب الينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، فى غرة شوال — كن الينا أسرع من السهم الى ممره ، والماء الى مقره — جشِّم الينا قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وان رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد ونحصل بقربك فى جنة الخلد ، وتسهم لنا فى قربك الذى هو قوت النفس ، ومادة الأنس

ولهم فى استدعاء الشراب : قد تألف لى شمل اخوان كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتمدنا فضلك المعهود ، ووردنا بحرك المورود ، وأنا ومن سامحنى

الدهر بزيارته من اخواني وأوليـائك ، وقوف بحيث يقف بنا اختيارك ، من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا ايثارك ، من الهم والسرور ، والامر فى ذلك اليك ، والاعتماد فى جمع شمل المسرة عليك ، فان رأيت أن تكلنى الى أَوْلى الظنّيْن بك فعلت — ألطف المنن موقعا ، وأجلها فى النفوس موضعا ، ما عمّر أوطان المسرة ، وطرد عوارض الهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة * قد انتظمت فى رفقة لى فى سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام * فرأيك فى ارواء غلتنا بما ينقعها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها

الكناية عن الشراب

ولهم فى الكناية عن الشراب :قد نشط لتناول مايستمد البشر ، ويشرح الصدر — قد استمطر سحابة الانس ، واستدر حلوبة السرور ، وقدح زند اللهو ، فهو يَمرى دماء العناقيد ، ويفصد عروق الدنان ، وينظم عقد الندمان

كتب الحسن بن سـهل الى الحسن بن وهب وقد اصطبح فى يوم دجن لم يمطر : أما ترى تكافؤ هـذا الطمع واليأس فى يومنا هذا بقرب المطر وبعده ، كأنه قول كثير

وانى وتهيامى بعزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلَّت

لـكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وما أصبحت أمنيتى إلا فى لقائك ،فليت حجاب النأى هتك بينى وبينك! رقعتى هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلى ولم تتخيفه ، وبعثت نشاطا حركنى للـكتاب ، فرأيك فى امطارى سروراً بسار خـبرك ، إذ حرمت السرور بمطر هذا اليوم ، موفقا ان شاء الله * وكتب الحسن بن وهب : وصل كتاب الامير أيده الله وفمى طاعم ، ويدى عاملة ، ولذلك تأخر الجواب قليـلا ، وقد رأيت تكافؤ احسان هذا اليوم واساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به ذما ، لانه اذا

أشمس حكى حسنك وضياءك ، وان أمطر حكى جودك وسخاءك ، وان غام أشبه ظلك وفِناءك ، وسؤال الأمير عنى نعمة من نعم الله عز وجل أعفّى بها آثار الزمان السيء عندى ، وأنا كما يحب الامير صرف الله الحوادث عنه ، وعن حظى منه

غرائب الاخلاق

وذم رجل رجلا فقال : دعواته ولائم ، وأقداحه محاجم ، وكؤسه محابر ، ونوادره بوادر . وقال أبو الفتح كشاجم: كان عندى بعض المجان من النبيذيين فسمعنى وأنا أحمد الله جل ذكره فى وسط الطعام لشيء خطر ببالى من نعم الله التى لاتحصى ، فنهض وقال : أعطى الله عهداً ان عاودت ، وما معنى التحميد هنا ، كأنك تعلمنا انا قد شبعنا. ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقتٍ * ولكن ليس فى أولى الطعامِ
لانك تحشم الاضياف فيهِ * وتأمرهم باسراع القيامِ
وتؤذنهم وما شبعوا بشبعٍ * وذلك ليس من خلق الكرامِ

بعد المتاب

وكتب المريمى الى بعض اخوانه وقد ترك النبيذ

إن كنت تبت عن الصهباء تشربها * نسكا فما تبت عن برٍّ واحسان
تب راشداً واسقنا منها وان عذلوا * فيما فعلت فقل ما تاب اخوانى

وقال بعض النبيذيين وقد ترك الشرب

تحامونى لتركى شرب راحٍ * أقمت مكانها الماءَ القَراحا
وما انفردوا بها دونى لفضل * اذا ما كنت أكثرهم مزاحا
وأرفعهم على وتر وصنجٍ * وأطرفهم وأظرفهم مزاحا
اذا شقوا الجيوب شققت جيبى * وان صاحوا علوتهم صياحا

فضل الصهباء

فِقر للنبيذيين — ما جشمت الدنيا بأظرف من النبيذ — ما للعقار والوقار — إنما العيش مع الطيش — الراح ترياق سم الهم — النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه. اشرب النبيذ ما استبشعته ، فاذا استطبته فدعه — لولا ان الخمور يعلم قصته لقدم وصيته — الصاحى بين السكارى كالحى بين الموتى ، يضحك من عقلهم ، ويأكل من نقلهم — أحمق ما يكون السكر اذا تعاقل — التبذل على النبيذ ظرف ، والوقار عليه سخف — حد السكر أن أن تغرب الهموم ، ويظهر السر المكتوم * وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما انصفتها ، تضحك فى وجهك ، وتعبس فى وجهها ! وقال الطائى

اذا ذاقها وهى الحياة رأيتهُ * يعبِّس تعبيس المقدَّم للقتلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال

وأن أقطب وجهى حين تبسم لى * فعند بسط الموالى يحفظ الأدبُ

وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته ، وهو رسول السرور الى القلب ؟ قال ولكنه رسول بأس يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس * وقيل لبعضهم ما أصباك بالخمر؟ فقال انها تسرج فى يدى بنورها ، وفى قلبى بسرورها . كأن الناشئ نظر الى هذا الكلام فقال

راح اذا علت الا كف كؤسها * فكأنها من دونها فى الراحِ
وكأنما الكاسات مما حولها * من نورها يسبحن فى ضحضاحِ
لو بث فى غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بغرة الاصباح
نفضت على الاجسام ناصع لونها * وسرت بلذَّتها الى الأرواحِ

البيت الاول كقول البحترى

يخفى الزجاجة ضوؤها فكأنها * فى الكف قائمةٌ بغير إناءِ

وللناشئ فى هذا المعنى

ومُدامةٍ يخفى النهارُ لنورها * وتذل أكناف الدجا لضيائها
صُبَّت فاحدق نورها بزجاجها * فكأنها جعلت اناءَ إنائها
وترى اذا صبَّت بدت فى كأسها * متقاصر الأرجاء عن أرجائها
وتكاد إن مزجت لرقة لونها * تمتاز عنه مزاجها من مائها
صفراء تُضحى الشمس إن قيست بها * فى ضوئها كالليل فى أضوائها
واذا تصفحت الهواء رأيتهُ * كدر الأديمة عند حسن صفائها
تزداد من كرم الطباع بقدر ما * تودى به الأيام من أجزائها
لا شئ أعجب من تولّد برئها * من سقمها ودوائها من دائها

وقال

ان رمت وصف الراح فأت بما * فيها من الأوصاف من قُرْبِ
هى ماء ياقوت وان مزجتْ * فى كأسها بالبارد العذبِ
فكأنها وحَبابها ذهبٌ * كلّلْتَه باللؤلؤ الرطب

ولأهل العصر : الدنيا معشوقة ريقها الراح . أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومى فى صاعد بن مخلد

قىً هاجر الدنيا وحرّم ريقها * وهل ريقها الا الرحيق المورَّدُ
ولو طمِعَتْ فى عطفه ووصالهِ * أباحته منها مرشفاً لا يصرَّدُ

الخمر أشبه شئ بالدنيا لاجتماع اللذات والمرارة فيها . الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور — لكل شئ سر ، وسر الراح السرور — لا يطيب المدام الصافى ، الا مع النديم المصافى

مجالس الانس وآلات اللهو

ومن ألفاظهم فى صفات مجالس الانس وآلات اللهو وذكر الخمر — مجلس راحه ياقوت ، ونوره ورد ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زبرجد . عندنا أترجّ كأنه من خلقك خُلق ، ومن شمائلك سُرق ، ونارنج ككرات من سَفِن ذُهِّبت ، أو ثدى أبكار خلّقت[1] — مجلس أخذت فيه الأوتار تتجاوب ، والاقداح تتناوب — أعلام الانس خافقة ، وألسن الملاهى ناطقة — نحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح — قد نشأت غمامة النّد ، على بساط الورد — مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وفاحت مجامير الاترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسن العيدان ، وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الاقداح ، وطلعت كواكب الندمان ، وامتدت سماء الند * مجلس من رآه حسب الجنان قد اصطفت عيونها ، فجعلت فى قدر من الارض ، وتخيرت فصوصها ، فنقلت الى مجلس الانس واللهو — قد فض اللهو ختامه ، ونشر الانس أعلامه — قد هبت للانس ريح برقها الراح ، وسحابها الاقداح ، ورعودها الأوتار ، ورياضها الاقمار — قد فرغنا للهو والدهر عنا فى شغل . جل هذا من قول بعض أهل العصر

كم جوًى مثّله رسمٌ مَثَل * ودم قد طُلّ اثناء طَلَلْ
ولآل كلّل الخدّ بها * لعب البين بربّات الكللْ
حبذا عيش الليالى باللوى * لو تجافى الدهر عنا وغفلْ
إذ فرغنا فيه للهو وقد * بانت الأقدار عنا فى شغُلْ
وأدرنا ذهباً فى لهبٍ * كلما أخمد بالماء اشتعل

قد اقتعدنا غارب الانس ، وجرينا فى ميدان اللهو — عمدنا الى اقداح اللهو فأجلناها ، ولمراكب السرور فامتطيناها — قد امتطيناغوارب السرور بالاقداح — مدامة تُورد ريح الورد ، وتحكى نار ابراهيم فى اللون والبرد ، ولست أدرى

(١) السفن بالفتح جلد سمك خشن يسفن به الخشب فيلين

أشقيق ، أم عقيق ، أم رحيق ، أم حريق — راح كأن الديوك صبت أحداقها فيها — راح كأنما اشتقت من الرَّوْحُ والراحة . قال ابن الرومى

والله ما ندرى لأية علةٍ * يدعونها فى الراح باسم الراحِ
ألريحها أم رَوحها تحت الحشى * أم لارتياح نديمها المرتاح

راح كالنار ، والنُّور ، والنَّور ، أصفى من البلور ، ومن دمع المهجور — روح نور لها من الكأس جسم ، كأنها شمس فى غلالة سراب — شراب أكاد أقول هو أصفى من مودتى لك ، ومن نعم الله عندى فيك ، وأطيب من اسعاف الزمان بلقائك — مدامة قد سبك الدهر تبرها فصفا * كأس كأنها نورٌ ضميرهُ نار ، راح كياقوتة فى درة أصفى من ماء السماء ، ودمع العاشقة المرهاء[1] ، أحسن من الدنيا المقبلة ، والنعم المكملة ، أحسن من العافية فى البدن ، وأطيب من الحياة فى السرور ، أرق من نسيم الصبَّا ، وعهد الصِّبا ، أرق من دمع محب ، وشكوى صب ، أرق من دموع العشاق ، مرتها لوعة الفراق — مزج نار الراح بنور الماء — راح كأنها معصورة من وجنة الشمس ، فى كأس كأنها مخروطة من فلقة البدر ، كأسها ملء اليد ، وريحها ملء البلد ، تصب على الليل ثوب النهار ، كأنها فى الكأس معنى دقيق ، فى ذهن لطيف ، كأن الراح من خده معصورة ، وملاحة الصورة عليها مقصورة . وهذا من قول الطائى * كأنها من خده تُعْصَرُ * وقال عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن الشاعر المشهور

معتقة من كف ظبى كأنما * تَناولها من خده فأدارها

تمشت الصهباء فى عظامهم ، وترقت الى هامهم ، وماست فى أعطافهم ، ومالت بأطرافهم — سارت فيهم الكؤس ، ونالت منهم سورة الخندريس ، — شربت عقولهم ، وملكت قلوبهم

---

(١) مرهاء : بيضاء

خمريات أبى نواس

وقال أبو نواس ، وهو أستاذ الناس فى هذا الشان

صفة الطلول بلاغة الفدم * فاجعل صفاتك لابنة الكَرْمِ
تصف الطلول على السماع بها * أفذو العِيان كثابت العلْمِ
واذا وصفت الشئ متبعا * لم تخل من غلط ومن وهْم

وقال الكأس أهواها وان رَزَأت * بُلَغ المعاش وقلت فضلى (١)
صفراء مجَّدها مرازبها * جلَّت عن النظراء والمثلِ
ذُخِرت لآدم قبل خلقتهِ * فتقدمته بحظوة القبْلِ
فاعذر أخاك فانه رجل * مرنت مسامعه على العذلِ

وقال فتسليت بشرب عقار * نشأت فى حجر أم الزمان
فتناساها الجديدان حتى * هى أنصاف شطور الدنان
وافترعنا مُرة الطعم بها * نزقُ البكر ولين العوان
واحتسينا من رحيق عتيق * وشديد كامل فى ليان
لم يخفها منزل القوم حتى * نجمت مثل نجوم السنان
أو كعرق السآم تنشق منه * شُعَب مثل انفراج البنان

وقال

وخدين لذات معلل صاحب * يقتات منه فكاهة ومزاحا
قال ابغنى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربةً * كانت له حتى الصباح صباحا

وهذا كقوله

وخَمَّار أنخت عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السِّفارِ

---

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق

فترجم والكرى فى مقلتيهِ * كمخمور شكى ألم الخُمارِ
أبِنْلى كيف صُرت الى حريمى * وجفن الليل مكتحلٌ بقارِ
فقلت له ترفّق بى فانى * رأيت الصبح من خلل الديارِ
فكان جوابه أنْ قال كلا * وماصبحٌ سوى ضوءِ العقار
وقام الى الدنان فسدَّ فاها * فعاد الليل مسدول الازارِ

سورة الكأس

وقال بعض المحدَثين

مازال يشربها وتشرب عقلهُ * خبلا وتؤذن روحه برواحِ
حتى انثنى متوسدا بيمينهِ * سكراً وأسلم روحه للراحِ

وقال الصنوبرى وذكر شَربا (١)

نازعتهم كأسا تخال نسيمها * مِسْكاً تضوّع فى الاناء عتيقا
شقت قناع الفجر لما غادرتْ * كف النديم قناعها مشقوقا
صبغت سواد دجاهُ حمرة لونها * فكأنه سَبَجٌ أُعيد عقيقا

وقال أبو الشيص

وكأس كسى الساقى لنا بعد هجعةٍ * حواشيها ما مجَّ من ريقة العنبْ
كأن اطراد الماء فى جنباتها * تربُّع ماء الدر فى سبك الذهبْ
سقانى بها والليل قد شاب رأسهُ * غزال بحناء الزجاجة مختضب

وقال أبو عدى الكاتب

وليس لها حد تحيط بوصفهِ * لغات ولا جسم يباشرهُ لَمْسُ
ولكنه كالبرق أومض ماضياً * فلم يبق منه غير ماتذكر النفسُ

(١) الشرب بالفتح هم القوم يشربون

ساقى المدام

وقال ابن المعتز

ألا فاسقنيها قد مشى الصبح فى الدُّجا * عُقاراً كمثل النـار حمراء قَرقفا
فناولنى كأساً أضاءت بنانهُ * تَدَفَّقُ ياقوتاً ودراً مجوفا
ولمـا أريناها المزاج تسـعّرت * وخِلْت سناها بارقا قد تـكشفا
يطوف بها ظبى من الانس شادنٌ * يقلب طرفاً فاسق اللحظ مدنفا
عليم باسرار المحبـين حاذقٌ * بتسليم عينيـه اذا ما تخوفا
فظل يناجينى تقلُّب طرفهِ * بأطيب من نجوى الامانى وألطفا

ذكريات الشباب

وقال

ألا عُج على دار السرور فسلِّمِ * وقل أين لذاتى وأين تكلمى
وقل ما حلت بالعين بعدك لذةٌ * سواك وان لم تعلمى ذاك فاعلمى
وصفراء من صبغ المزاج برأسها * اذا مزجت إكليل در منظم
قطعت بها عمر الدجى وشربتها * ظلامية الاحشاء نورية الدم

رسائل البديع

كتب أبو الفضل بديع الزمان الى أبى عدنان بن محمـد الضبى يعزيه عن بعض أقاربه

اذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

أحسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو الجفَلَى (١)

(١) الجفلى : الدعوة العامة

اذا ساء ، ويخص بالنعمة اذا شاء ، فليفكر الشامت ، فان كان أفلت . فله أن يشمت ، ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ، الى خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه ، أثراً فى نفسه ، أم لتدبيره ، عوناً على تصويره ، أم لعمله ، تقديما لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؟ كلا بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً ، خُلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحيا جبرا ، ويهلك صبرا ، وليتأمل المرء كيف كان قبلا ، فان كان العدم أصلا ، والوجود فصلا ، فليعلم الموت عدلا . فالعاقل من رقّع من جوانب الدهر ، ما ساء بما سر ، ليذهب ما نفع بما ضر ، فان أحب أن لا يحزن فلينظر يَمنة ، هل يرى الا محنة ، ثم ليعطف يَسرة ، هل يرى الا حسرة ؟ ومثل الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه من فطن لهذه الاسرار ، وعرف هذه الديار ، فأعد لنعيمها صدرا لا يملؤه فرحا ، ولبؤسها قلبا لا يطيره ترحا ، وصحب البرية من برأى يعلم ان للمتعة حدا ، وللعارية ردا ، ولقد نعى الىّ أبو قبيصة قدس الله روحه ، وبرّد ضريحه ، فعُرِضت على آمالى قُعودا ، وأمانىّ سودا ، وبكيت ، والسخى جوده بما يملك ، وضحكت ، وشر الشدائد ما يضحك ، وعضضت الأصبع حتى أدميته ، وذممت الموت حتى تمنيته ، والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظُم حتى هان ، وأمر قد خشُن حتى لان ، ونكر قد عمّ حتى عاد عرفا ، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وخبثت حتى صار أقل عيوبها ، ولعل هذا السهم قد صاب آخر ما فى كنانتها ، وأنكا ما فى خزانتها ، ونحن معاشر التبع نتعلم الأدب من أخلاقه ، والجميل من أفعاله ، فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ، ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر ، فليرَ فيهما رأيه ان شاء الله

كرائم النفوس

وله الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب كتبه يهنيه بمرض أبى بكر الخوارزمى وكانت بينهما مقارعة ، ومنازعة ، ومنافرة ، ومهاترة ، ولهما مجالس مستظرفة قهره

البديع فيها وبهره ، وبكّته ، حتى أسكته ، ليس هذاموضعها ، لكنى أذكر بعد هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما اذ كان ما لهما من الابتداء والجواب آخذا بوصل الحكمة وفصل الخطاب

« الحر أطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتى ، ووصف أحواله صفتى ، إذا نظر علم ان نعم الدهر مادامت معدومة فهى أمانى ، وان وجدت فهى عوارى ، وأن محن الايام وان طالت فستنفد ، وان لم تصب فكأنْ قد ، فكيف يشمت بالمحنة ، من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت ان أفلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسيموت ؛ وما أقبح الشماتة ، بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها ، بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار[1] وظمآن شربه الاحرار ، فهل يشمت المرء بانياب آكله ، أم يسر العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل شفاه الله : ان ظاهرناه بالعداوة قليلا ، فقد باطنّاه وداً جميلا ، والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الاحقاد ، فلا تتصور حالتى الا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، وقاد الله المكروه ، ووقانى سماع المحذور فيه ، بمنه وحوله ، ولطفه وطوله »

بين الهمذانى والخوارزمى

قال البديع فى سياقة أخباره مع أبى بكر الخوارزمى

أولها أنا وطئنا خراسان ، فما اخترنا الا نيسابور دارا ، والآجوار السادة جوارا ، لاجرم اناحططنابها الرحل ، ومددناعليها الطنب ، وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدّر انا اذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا فى العِشرة ، عن القِشرة ، وفى المودة ، عن الجِلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافَع

أجارتنا إنّا غريبان هاهنا * وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

(١) غرثان : جوعان

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف . وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزّة بزُّوها ، وفضة فضّوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار [1] وزى أوحش من طلعة المعلم ، بل اطلاعة الرقيب ، فما حللنا الا قصبة جوارد ، ولا وطئنا الا عتبة داره ، وهذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها ، ونسخة الرقعة : أنا بقرب الأستاذ أطال الله بقاه : كما طرب النشوان مالت به الخمرُ ، ومن الارتياح للقائه : كما انتفض العصفور بلله القطرُ ، ومن الامتزاج بولائه : كما التقت الصهباء والبارد العذبُ ، ومن الابتهاج لمزاره : كما اهتز تحت البارح الغصن الرطبُ ، فكيف نشاط الاستاذ سيدى لصديق طرأ اليه من ما بين قصبتى العراق وخراسان ، بل عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيف

رث الشمائل مخلق الأثوابِ * بكرت عليه مغيرة الأعرابِ

وهو أيده الله ولى انعامه ، بانفاذ غلامه ، الى مستقرى ، لأفضى اليه بما عندى ان شاء الله . فلما أخذتنا عينه سقانا الدُّردى من أول دنه ، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه ، من طرفٍ نظر بشطره ، وقيام دفع فى صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ، لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ، ووليناه خطة نفاقه ، فواصلناه إذ جانب ، وقاربناه إذ جاذب ، وشربناه على كدورته ، ولبسناه على خشونته ، ورددنا الأمر فى ذلك الى زى استغثه ، ولباس استرثه ، وكاتبناه نستمد وداده ، ونستلين قياده ، ونقيم منآده ، بما هذه نسخته : الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه أزرى بضيفه أن وجده يضرب اليه آباط القلة ، فى أطمار الغُربة ، فعمل فى رتبته أعمال المصارفة ، وفى الاهتزاز اليه أصناف المضايقة ، من إيماء بنصف الطرف ، واشارة بشطر الكف ، ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت ترتيبه صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته

(١) جوف حمار ، أو جوف العير ، اسم لواد مقفر

نكرا ، وتأبطته شرا ، ولم آلهُ عذرا ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الاسمال ، أتقزّز من صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسانٌ وجوههم * وأندية ينتابها القول والفعلُ

فلو طوّحت بأبي بكر أيده الله اليهم مطارح الغربة ، لوجد منزل البشر رحيبا ، ومحط الرحل قريبا ، ووجه المضيف خصيبا ، فرأى الاستاذ أبى بكر أيده الله فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ودّ ، والمر الذى يتلوه شهد ، موفقا ان شاء الله (فأجاب بما نسخته) وصلت رقعة سيدى ورئيسى أطال الله بقاه الى آخر السكباج[1] وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتابه ، وصرفت ذلك منه الى الضجرة التى لا يخلو منها من مسّه عسر ، أو نبا به دهر ، والحمد لله الذى جعلنى موضع أنسه ، ومظنة مشتكَى مافى نفسه ، أما ما شكاه سيدى ورئيسى من مصانعتى إياه فى القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما ، على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت اليه ، ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات أدام الله عزه ، وما كنت لأرفع أحداً على مَنْ أبوه الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والانجيل ، وناصراه التأويل ، والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ، فأما القوم الذين صدرعنهم سيدى فكما وصف : حسن عِشرة ، وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المَراد ، ونلت المراد

فان كنت قد فارقت نجداً وأهلهُ * فما عهد نجد عندنا بذميمِ

والله يعلم نيتى للأحرار كافة ، ولسيدى منهم خاصة ، فان أعانى الدهر على مافى نفسى بلغت له مافى النية ، وجاوزت به مسافة القدر والأمنية ، وان قطع علىّ طريق عزمى بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفت عنانى عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار

---

(١) السكباج : قائمة ألوان الطعام

فما النفس الا نطفة بقرارةٍ * اذا لم تكدّر كان صفواً غديرها

وبعد فخبذا عتاب سيدى اذا استوجبنا عتبا ، واقترفنا ذنبا ، فأما أن يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول (استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ولكن أسأله أن يقول (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فحين ورد الجواب وعين العذر رَمِدة تركناه بعَره ، وطويناه على غرَه ، وعمدنا الى ذكره فمحوناه ، ومن صحيفتنا محوناه ، وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه ، وتنكبنا خطته ، وتجنبنا حطته ، فلا طرنا اليه ، ولا طرنا به ، ومضى على ذلك الاسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت الليالى ، وتطاولت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعير الاسماع ذكره ، ولا نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ، ويستعيد ، بألفاظ تقطعها الاسماع من لسانه ، وتؤديها الىّ ، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدها علىّ فكاتبناه بما هذه نسخته : أنا أرد من الاستاذ سيدى أطال الله بقاه شرعة ورد وان لم تصف ، وألبس خلعة بره وان لم تضف ، وقصارای أن أكيله صاعا عن مدّ ، فانى وان كنت فى الأدب ، دعىّ النسب ، ضيق المضطرَب ، سيئ المنقلَب أمتُّ الى عشرة أهله بنِيقة ، وأنزع الى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقى أن يكون الخليط منصفا فى الوداد ، اذا زرت زار ، وان عدت عاد ، وسيدى أبقاه الله ناقشنى فى القبول أولا ، وصارمنى فى الاقبال آخرا ، فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال والانزال[1] ، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد فكلفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها هينة ، فلمَ اختار قَعود التعالى مركبا ، وصعود التغالى مذهبا ، وهلاّ ذاد الطير عن شجر العشرة ، وذاق الحلو من ثمرها ، فقد علم الله شوقى اليه قد قدَّ الفؤاد بَرْحاً الى برح ، ونكأه قرحا الى قرح ، ولكنها مِرّة مُرّة ، ونفس حرة ، لم تقَد إلا بالاعظام ، ولم تُلق الا بالجلال والاكرام ، واذا استعفانى من معاتبته ، فأعفى نفسه

(١) الأنزال : جمع نزل وهو ما يقدم للضيف

من كُلَف الفضل يتجشمها ، فليس الا غصص الشوق أتجرعها ، وحلل الصبر أتدرّعها ، ولم أعرِ من نفسى ، وأنا لو أعرت جناحَىْ طائر لما طرت الا اليه ، ولا وقعت الا عليه

أحبك ياشمس النهار وبدرُ * وان لامنى فيك السُّهى والفراقدُ
وذاك لان الفضل عندك باهرٌ * وليس لأن العيش عندك باردُ

فلما وردت عليه الرقعة حشد تلاميذه وخدمه ، وجشم الايجاب قدمه ، وطلع علينا مع الفجر طلوعه ، ونظمت حاشيتنا دار الامير أبى الطيب ، فقلنا الآن تشرق الحشمة وتنوّر ، وننجد فى العشرة ونغوّر ، وقصدناه شاكرين لما أتاه ، وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خُلّبا شِمناه ، وآلاً وردناه ،(١) وصرفنا الأمر فى تأخره ، وتأخرنا عنه ، الى ما قاله ابن المعتز

إنّا على البعاد والتفرّق * لنلتقى بالذكر ان لم نلتقِ

وأنشدنا قول ابن عصرنا

أحبك فى البتول وفى أبيها * ولكنى أحبك من بعيدِ

وبقينا نلتقى خيالا ، ونقنع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفه تهب ، وعقاربه تدبّ

والمجلس طويل جداً (قلت) ان كنت خرجت لطول هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعلى أسامح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وان كان فى باب الاتصال ، فهو بتقدير الانفصال ، لقيام كل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها (وكتب الى رئيس هراة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمى) ما ألوم هذا الفاضل على بساط شرطواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكنى ألومه على مانواه ، ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول قد ضرب فأين الايجاع ، وأنذر فأين الايقاع ، وهذه بوارقه ، فأين صواعقه ، وذلك وعيده ، فأين عديده ، وتلك بنوده ، فأين جنوده ، وأنشد (هذى معاهده فأين عهودهُ)

(١) الخلب البرق الكاذب ، والآل السراب

وما أهول رعده ، لو أمطر بعده ! اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ، فانه أشفق لغريب أن يظهر عوارَه ، وان طار طوارَه [1] ، وان كان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الىّ ، وأجحف بفضله من حيث أبقى علىّ ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجعنى على لقائه ، بعد ما برعنى بايمائه ، فبينا كنت أنشد * إن جنبى على الفراش لنابِ * اذ أنشدت * طاب ليلى وطاب فيه شرابى * وبينا أنا أقول * مالقلبى كأنه ليس منى * إذ قلت * أين من كان موعداً لى بأنى * فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان فى الضرب أحسن ، وفى طريق المعاشرة أذهب . لا ولكنه وعد بالمباراة أولا ، وهددنا بالمسائل ثانيا ، وأخلف بالتخلف ثالثا ، فأبلغ وجدى اليه ، واعرض شوقى عليه ، وقل له ان كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فان طويتنا حيث الجهاد ، فانشرنا حيث الوداد ، وان لم تلقنا فى باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة

خطاب البديع الى سهل بن محمد

(وله الى الامام أبى الطيب سهل بن محمد) قد كان الشيخ يعدنى عن هذه الحضرة عدات أشم لها الأنف ، لا ذهابا بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ، فحين أشرفت على الحضرة ماجت الىّ أمواج الشرف منها ، وخلص الىّ نسيم الكرم عنها ، وأتحفنى على رسم الاجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهب سابغ ، وجنيب شرف زائد ، وسرت بحمد الله محفوفا بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلا ملك الشرق أدام الله علوه ، فجذب ضبعى عن أرض الخدمة ، الى جوار ولى النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازا فات سمة الاكرام ، وتجاوز اسم الإعظام الى القيام ،

(١) الطوار بالفتح الحوم حول الشىء

فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق ، وفتّاح الآفاق ، ولحقت منه ثقاب العقاب ، وخاطبنى بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جرّا الى ما تبعها من جميل الأنزال ، وسنى الاجزال ، وطرأت من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ، ولا يسعه العالم ، ويهتز عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ، وسلطان يحلم حلم السيف مغمدا ، ويغضب مجرداً ، فهو عند الكرم ليّن كصفحته ، وعند السياسة خشن كشَفْرته ، وملك يأتى الكرم نية ، والفضل سجية ، ويفعل الشر كلفة أو خطية ، فهو ضرورى لأنه نفوع بذاته . عطارد قلمه ودواته ، والمريخ سيفه وقناته ، عيبه لا عيب فيه ، فيصرف عين الكمال عن معاليه ، وصادفت من الشيخ الموفق أيده الله ملَكا يُشاهد عيانا ، وجبلا قد سمّى انسانا ، وحسنا قد ملئ احسانا ، وأسدا قد لقِّب سلطانا ، وبحرا قد أمسك عنانا ، وحططت رحلى بفناء الأمير الفاضل أبى جعفر أدام الله عزه فوجدت حكمى فى ماله أنفذ من حكمه ، وقَسْمى من غناه أوفر من قَسْمه ، واسمى فى ذات يده مقدما على اسمه ، ويدى الى خزانته أسرع من يده ، وان قصدت أن أفرد لكل مدحا ، وأعبر الجملة شرحا ، أطلت ، فهلم جرا الى ما افتتحت الكتاب لأجله ، وورد للخوارزمى كتاب يتقلّب فيه على جنب الحرَد ، ويتقلّى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار الخجل ، ويتعثر فى أذيال الكلل ، ويذكر أن الخاصة قد علمت لأينا كان الفَلَج فقلت است البائن أعلم ، والخوارزمى أعرف ، والاخبار المتظاهرة أصدق ، وحلبة السباق أحكم ، وما مضى بيننا أشهد ، والعود إن نشط أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، وان عادت العقرب عدنا ، وله عندى اذا ما شاء ، كلُّ ما ساء

وهى طويلة فيها هنات صنت الكتاب عنها ، وقد أعاد البديع معنى قوله فى صدر حكايته مع الخوارزمى فقال فى رقعة كتبها الى أبى سعيد الاسماعيلى وقد وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله :

كتابه الى أبى سعيد الاسماعيلى

كتابى بل رقعتى أطال الله بقاء الشيخ ، وقد بكرت علىّ مغيرة الأعراب ، كهلهل ، وربيعة بن مكدم ، وعتيبة بن الحارث بن هشام ، وأنا أحمد الله الى الشيخ الفاضل ، وأذم الدهر ، فما ترك لى من فضة الا فضها ، ولا ذهب الا ذهب به ، ولا عِلق الا علقه ، ولا عقار الا عقرد ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا مال الا مال اليه ، ولا سبد الا استبد به ، ولا لبد الا لبد فيه . ولا بزة الا بزها ، ولا عارية الا ارتجعها ، ولا وديعة الا انتزعها ، ولا خلة الا خلعها ، وأنا داخل نيسابور ولا حلية الا الجلدة ، ولا بُرد الا القِشرة ، والله ولى الخلف ، يعجّله ، والفرج يسهّله ، وهو حسبى ونعم الوكيل

وليس البديع بأبى عذرة هذا الخطاب وسترى نظير هذا المعنى فى هذا الكتاب

المقامة الفزارية

﴿ ومن انشائه فى مقامات أبى الفتح الاسكندرى ﴾ قال حدثنى عيسى بن هشام قال : كنت فى بعض بلاد بنى فزارة مرتحلا نجيبة ، وقائدا جنيبة ، يسبحان سبحا ، وأنا أهيم بالوطن : فلا الليل يثنينى بوعيده ، ولا البعد يدنينى ببيده ، وظلات أخبط ورق النهار ، بعصا التسيار ، وأخوض بطن الليل ، بحوافر الخيل ، فبينا أنا فى ليلة يضل بها الغطاط[1] ولا يبصر بها الوطواط ، أسبح ولا سابح الا السبع ، ولا بارح الا الضبع ، إذ عنّ لى راكب نام الآلات ، يطوى منشور الفلوات ، فأخذنى منه ما يأخذ الأعزل من شاكى السلاح ، لكنى تجلدت فقلت أرضَك لا أمّ لك ! فدونك شرط الحداد ، وخرط القتاد ، وخصم ضخم وحمية أزدية ، وأنا سِلم ان شئت وحرب ان أردت ، فقل من أنت ، قال سلما أصبت ، وخيرا أجبت ، قلت فمن أنت ؟ قال نصيح ان شاورت ، فصيح ان حاورت ، ودون اسمى لثام ، لا يميطه الاعلام . قلت فما الطعمة ؟ قال أجوب جيوب البلاد ، حتى أقع على جفنة جواد ، ولى فؤاد يخدمه

(١) الغطاط بالفتح هو القطا

لسن ، وبيان يرقمه بنان،وقصارای کریم ینفض الیّ حقیبته ، ویخفف لی جنیبته ، کابن حرة طلع الی بالأمس، طلوع الشمس وغرب عنی بغروبها ، لکنه غاب ولم یغب تذکاره ، وودع وشیعتنی آثاره ، ولا ینبئك عنها ، أقرب منها ، وأومأ الی ما کان یلبسه ، فقلت شحاذ ورب الکعبة أخاذ،له فی الصنعة نفاذ ، بل هو فیها أستاذ ،ولا بد أن ترشح له وتسح علیه،وقلت له یافتی قد أجلیت عبارتك فأین شعرك من کلامك ؟ فقال وأین کلامی من شعری! ثم استمدّ غریزته ورفع عقیرته بصوت ملأ الوادی وأنشأ یقول

وأروع أهداه لیَ اللیل والفلا * وخمس تمس الارض لکن کلاولا
عرضت علی نار المکارم عودهُ * فکان معمّا فی السوابق مخوِلا
وخادعته عن ماله فخدعتهُ * وساهلته فی بره فتسهلا
ولما تجالینا وأحمد منطق * بلانیَ فی نظم القریض بمابلا
فما هز الا صارما حین هزنی * ولم یلقنی الا الی السبق أولا
فلم أره الا أغر محجبا * وما تحته الا أغر محجلا

فقلت : علی رسلك یافتی ، ولك مما یصحبنی حکمك.فقال الجنیبة،قلت: انَّ ،وما علیها . ثم قبضت بجمعی علیه ، وقلت لا والله الذی ألهمها لمسا ، وشقها من واحدة خمسا ، لا تزایلنا أو نعلم علمك ، فخدر لثامه عن وجهه فاذا والله شیخنا أبو الفتح الاسکندری فما لبثت ان قلت

توشّحت أبا الفتح * بهذا السیف مختالا
وما تصنع بالسیف * اذا لم تك قتّالا

کلکم لآدم !

وعلی ذکر قوله إنَّ وما علیها قال أبوعبیدة : وفد عبد الله بن الزبیر الأسدی علی عبد الله بن الزبیر بن العوام فقال یا أمیر المؤمنین ان بینی وبینك رحما من قبل فلانة الکاهلیة : هی أختنا ، وقد ولدتکم ، وأنا ابن فلان ، ففلانة عمتی ، فقال

ابن الزبير هذا كما ذكرت ، وان فكرت فى هذا أصبت ، الناس كلهم يرجعون الى أب واحد ، وأم واحدة ، فقال يا أمير المؤمنين ان نفقتى قد ذهبت ، قال ما كنت ضمنت لأهلك انها تكفيك الى أن ترجع اليهم ، قال يا أمير المؤمنين ان ناقتى قد نقبت ودبرت ، فقال له أنْجِد بها يبرد خفها ، وارفعها بسبت ، واخصفها بلب ، وسر عليها البريدين ، قال يا أمير المؤمنين انما جئتك مستحملا ، ولم آتك مستوصفا ، لعن الله ناقة حملتنى اليك ، قال ابن الزبير : انَّ ورا كبها! فخرج وهو يقول

أرى الحاجات عند أبى خبيب * نكدن ولا أمية فى البلادِ
من الأعياص أومن آل حربٍ * أغر كغرة الفرس الجوادِ
ومالى حين أقطع ذات عرقٍ * الى ابن الكاهلية من مفاد
وقلت لصحبتى أدنوا ركابى * أفارق بطن مكة فى سواد

فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير فقال لو علم ان لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبنى اليها ، وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب

فرس ابن الزيات

قال الصولى أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرسا أشهب أحمّ ، كان عنده مكينا ، وكان به ضنينا ، فقال يرثيه

قالوا جزعت فقلت إنّ مصيبةٌ * جلّت رزيتها وضاق المذهبُ

قال أبو بكر هكذا أنشدنيه ابن المعتز على أن ان بمعنى نعم وأنشد النحويون

قالوا كبرت فقلت إن وربما * ذكر الكبير شبابه فتطرّبا
كيف العزاء وقد مضى لسبيلهِ * عنا فودعنا الأحم الأشهب
دبّ الوشاة فباعدوه وربما * بعد الفتى وهو الحبيب الأقرب
لله يومَ غدوت فيه ظاعناً * وسُلِبْتُ قربك أىَّ علق أسلب
نفسى مقسّمة أقام فريقها * ومضى لطيته فريق يُجْنب

الآن إذ كملت أداتك كلها * ودعا العيون اليك حسن معجبُ
وغدوت طنّان اللجام كأنما * فى كل عضو منك صَنْجٌ يُضْرب
وكأن سرجك إذ علاك غمامةٌ * وكأنما تحت الغمامة كوكب
أنساك ؟ لا زالت اذاً منسيةً * نفسى ولا برحت بمثلك تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتنى * وقُوى حبالى من حبالك تُقْضب
يا صاحبيَّ لمثل ذا من أمرهِ * صحب الفتى فى دهر دمن يَصْحَبُ
إن تسعدا فصنيعة مشكورة * أو تخذلا فصنيعةٌ لا تذهب
عوجا فقولا مرحبا وتزودا * نظراً وقَلّ لمن تحب المرحب
منعَ الرقادَ جوًى تضمنه الحشى * مما أكابده وهم منصِب

مساوى المزاح

قال الحجاج بن يوسف لابن القريَّة : ما زالت الحكماء تكره المزاح ، وتنهى عنه . فقال : المزاح من أدنى منزلته الى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح . المزاح نقائض السفهاء كالشعر نقائض الشعراء ، والمزاح يوغر صدر الصديق ، وينفر الرفيق ، والمزاح يبدى السرائر ، لأنه يظهر المعايب ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدى الضغن ، لم يجرَّ المزح خيرا ، وكثيرا ما جر شرا ، الغالب بالمزاح واتر ، والمغلوب به ثائر ، والمزاح يجلب الشتم صغيرُه ، والحرب كبيرُه ، وليس بعد الحرب الا عفو بعد قدرة * فقال الحجاج حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة — وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : يُنْشِق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويُفرغ عليه مثل المرجل . ويرميه بمثل الجندل ، ثم يقول انما كنت أمزح ! أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنَهُ * فى لحن منطقه بما لا يُغفرُ
ويقول كنت ممازحاً وملاعباً * هيهات نارك فى الحشى تتسعّر

أو ما علمت وكان جهلك غالباً * أن المزاح هو السباب الأصغر

(فقر فى هذا النحو لأهل العصر وغيرهم) المزاحة تذهب بالمهابة ، وتورث الضغينة ، الافراط فى المزاح مجون ، والاقتصاد فيه ظرف ، والتقصير عنه ندامة. أوكد أسباب القطيعة المراء والمزاح (ابن المعتز) من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه (قال أيوب بن القريَّة) الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق، وفاجر ، فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وان نطق أصاب ، وان سمع العلم وعا ، وان حدث روى . وأما الأحمق فان تكلم عجِل ، وان حدث وهِل ، وان استنزل عن رأيه نزل ، فان حمل على القبيح حمل ، وأما الفاجر فان ائتمنته خانك ، وان حدثته شانك ، وان وثقت به لم يرعك ، وان استكتم لم يكتم ، وان عُلِّم لم يعلم ، وان حُدِّث لم يفهم ، وان فُقِّه لم يفقه

زجر الطير

قال أبو حية النميرى

جرى يوم رحنا عامرين لأرضنا * سنيحٌ فقال القوم مرّ سنيحُ
فهاب رجال منهمُ فتعيّفوا * فقلت لهم جارٌ الىَّ ربيحُ
عُقابٌ بأعقاب من الدار بعد ما * نأت نأيةٌ بالظاعنين طريحُ
وقالوا حمامات فحُمَّ لقاؤها * وطَلْح فِنيلت والمطىُّ طليحُ
وقال صَحابى هدْهُدٌ فوق بانةٍ * هُدًى وبيانٌ بالنجاح يلوحُ
وقالوا دمٌ دامت مواثيق بيننا * ودام لنا حلو الصفاء صريحُ
لَعيناك يوم البين أسرعوا كفاً * من الفنَنِ الممطور وهو مَرُوحُ
ونسوةِ شحشاحٍ غيورٍ يخفنهُ * أخى ثقةٍ يلْهَيْن وهو مُشيحُ
يقلن وما يدرين أنى سمعتهُ * وهنَّ بأبواب الخيام جُنُوحُ
أهذا الذى غنّى بسمراء مَوْهناً * أتاح له حسنَ الغِناء مُتيح

اذا ما تغنَّى أنَّ من بَعد زفرةٍ * كما أنَّ من حَرّ السلاح جريحُ
وقائلةٍ يا دَهْمَ ويحك إنهُ * على ما به من عُنّةٍ لمليحُ
فلو أن قولا يجرح الجلد قد بدا * بجلدىَ من قول الوشاة قُروح

وهذا من غريب الزجرُ مليح التفاؤل . قال أبو العباس محمد بن يزيد أنشدنى اعرابى فى قصيدة ذى الرمة التى أوّلها

ألا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى * ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

بيتين لم يروهما الرواة فى ديوانه وهما

رأيت غراباً ساقطاً فوق قَضْبةٍ * من القُضْب لم ينبت لها وَرَقٌ خُضْرُ
فقلت غراب لاغترابٍ وقضبةٌ * لقضب النوى هذى العيافة والزجر

وقال آخر

دعا صَرِدٌ يوماً على غصن بانةٍ * وصاح بذات البين منها غرابها
فقلت أتصريد وشحطٌ وغربة * فهذا لعمرى نأيها واغترابها

النهى عن الطيرة

وقد أكثرت العرب من ذكر الطِّيَرة والزجر وكانت تقتدى بذلك وتجرى على حكمه حتى ورد النهى فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **لا عدوى ولا طِيَرة** . وقد قال الاوّل

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

وقال ضابئ بن الحارث البرجمى :

وما عاجلات الطير تدرى من الفتى * نجاحاً ولا عن رَيْثهنَّ نجيبُ
ولا خير فيمن لا يوطن نفسهُ * على نائبات الدهر حين تنوبُ
وربّ أمور لا تضيرك ضيرةً * وللقلب من مَخْشاتِهنَّ وجيبُ

وقال الكميت بن زيد الأسدى

ولا أنا ممن يزجر الطير همُّهُ * أصاح غرابٌ أم تعرض ثعلبُ

ولا السانحات البارحات عشيةً * أمرَّ سليم القرن أم مرّ أعضبُ

وقال شاعر قديم

لا يمنعنَّك من بغا * ء الخير تعقاد التمائم
ولا التشاؤم بالعطا * س ولا التيامن بالقاسم
فلقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحائم
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالأشائم
وكذاك لا خيرٌ ولا * شرٌ على أحد بدائم
قد خط ذلك فى الزبو * ر الأوليات القدائم

ولقد أحسن ابن كناسة فى رثاء ولده يحيى أنشده أبو العباس ثعلب

تيممت فيه الفال حتى رُزئتهُ * ولم أدرأن الفال فيه يفيلُ
فسميته يحيى ليحيا فلم يكن * الى ردّ أمر الله فيه سبيلُ

جنازة عزة

وروى المدائني قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر فلما قرب منها نزل بمنزل فاذا هو بغراب على شجرة بان ينتف ريشه وينعب ، فأسرع الرحيل ، ومضى لوجهه ، فلقيه رجل من بنى نهد فقال يا أخا الحجاز مالى أراك كاسف اللون ، قال ماعلمت الا خيراً ، قال فهل رأيت فى طريقك شيئا أنكرته ، قال لا والله الا فى منزلى هذا فانى رأيت غرابا ينتف ريشه على بانة وينعب ، قال أما انك تطلب حاجة لا تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق بانةٍ * ينتّف أعلى ريشه ويطايرُهْ
فقلت ولو أنى اشاء زجرتهُ * بنفسىَ للنهديّ هل أنت زاجره
فقال غراب لاغتراب من النوى * وفى البان بين من حبيب تجاورهْ
فما أعيفَ النهدىَّ لادرّ درُّهُ * وأزجرَه للطير لاعزّ ناصرُه

ثم أتى قبر عزة فاناخ به ساعة ثم رحل وهو يقول

أقول ونضوى واقف عند رأسها * عليك سلام الله والعين تسفحُ
فهذا فراق الحق لا أن تزيرنى * بلادَك فتلاء الذراعين صَيْدحُ
وقد كنت أبكى من فراقك حيّةً * وأنت لعمرى اليوم أنأى وأنزحُ

الذئب للمطايا

وقال جرير

بان الخليط برامتين فودّعوا * أوَ كلما نعبوا لبين تجزعُ
ان السوانح بالضحى هيّجننى * فى دار زينب والحمام الوُقّع

وقال عوف الراهب خلاف هذا

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ * يلحون كلُّهمُ غراباً ينعق
ما الذئب إلا الاباعر انها * ممايُشتّ جميعَهم ويفرّق
ان الغراب بيمنه تدنو النوى * وتشتت الشمل الجميع الأينُق

وقد تبعه فى هذا المذهب أبو الشيص فقال

مافرق الاحباب به * د الله الا الإبل
والناس يلحون غرا * بَ البين لما جهلوا
وما على ظهر غرا * ب البين تُطوى الرِّحل
ولا اذا صاح غرا * بٌ فى الديار احتملوا
وما غراب البين الا * ناقة أو جمـــل

وما أملح ما قال القائل

زعموا بأن مطيهم عون النوى * والمؤذنات بفرقة الاحبابِ
ولو انها حتفى لمـا أبغضتها * ولها بهم سبب من الاسبابِ

تطير ابن الرومى

وكان على بن العباس الرومى مفرط الطيرة ، شديد الغلو فيها . قال على بن عبد الله بن المسيب: وكان يحتج لها ويقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطِّيَرة ، أفتراه كان يتفاءل بالشىء ، ولا يتطير من ضدّه ؟ ويقول ان النبى صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يرحل ناقة ويقول يالملعونة ، فقال لا يصحبنا ملعون ، وان عليا رضى الله عنه كان لا يغزو غَزاة والقمر فى العقرب ، ويزعم ان الطيرة موجودة فى الطباع ، قائمة فيها ، وان بعض الناس هى فى طباعهم أظهر منها فى بعض ، وان الاكثر فى الناس اذا لقى مايكرهه قال : على وجه من أصبحت اليوم . فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى الىّ عدة من جوارى القيان ، وكانت فيهنّ صبية حولاء ، وعجوز فى أحدى عينيها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لى أمره ، وأقام باقى يومه ، فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى من بعض السطوح ، وجفاد القاسم بن عبيد الله فجعل سبب ذلك المغنيين المغنيتين ، وكتب الىّ

أيها المُتَحفِي بحُولٍ وعُورٍ * أين كانت منك الوجوه الحسانُ
قد لعمرى ركبت أمرا مهينا * ساءنى فيك أيها الخُلْصَانُ
فَتْحُكَ المهرجان بالحُول والعُو * رِ أرانا ما أعقب المهرجانُ
كان من ذاك فقدك ابنتك الحر * ة مصبوغةً بها الاكفانُ
وتجافى مؤمّلٍ لى جليلٍ * لجّ فيه الجفاء والهجران
وعزيز علىَّ تقريع خلٍّ * لا يدانيه عندىَ الخُلاَّنُ
غير انى رأيت إذكاره الحز * ن واشعاره شِعاراً يُصانُ
لا تَهاوَنْ بطيرة أيها النظا * ر واعلم بأنها عُنوان
قف إذا طيرة تلقتك وانظر * واستمع ثَمَّ مايقول الزمان

فلما غاب من أمورك عنوا * نِ مبين وللزمان لسانُ
لاتكن بالهوى تكذب بالاخبا * رِ حتى تبين مالايُبان
لايقدك الهوى الى نصرة الاخبا * ر حتى يقدم البرهان
ان عقبى الهوى هُوِىٌّ وعقبى * طول تلك المهوّنات هوان
لاتصدق عن النبيين الا * بحديث يلوح فيه البيان
خبَّر الله انَّ مشأمةً كا * نت لقوم وخبَّر القرآن
أفزور الحديث تقبل أم ما * قاله ذو الجلال والفرقان
أترى من يرى البشير بشيرا * يمترى فى النذير ياوَسْنانُ
فدع الهزل والتضاحك بالطيرة والنصح مُثمَنٌ مجّان

وقد فرق حذاق أهل النظر فى المقال ، بين الطيرة والفال ، فقالوا : الطيرة كانت العرب ترجع الى ماتمضيها ، وتجرى على تَقضِّيها ، وكان الذى يهم بهم اذا مارأى مايتطير منه رجع عنه ، وفى ذلك مايصرف عن الاحالة على المقادير الجارية بيد ممضيها ، النازلة على حكم قاضيها ، والفأل لا يردّ المريد عما يريد انما يقوى مُنته ، ويسر مهجته ، وليس هذا موضع تطويل ، فى ايراد الدليل

عتابه لابن عبيد الله

وفى جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتبا

ألم ترنى أقرضتك الود طائعا * ولم تر قبلى مُعسراً قط أقرضا
لعمرى لقد صوَّرت أبيض مُشرِقاً * فلِمْ لاترينى وجه نُعماك أبيضا
فياويح مولاك استغاث بمشربٍ * فاشرف فاستشفى شفاء فأفرضا (١)
ولولا اعتقادى أنك الخير كلهُ * لأزمعت توديعاً قضى الله ماقضا
وانى وان دارت علىّ دوائرٌ * لأعرض عمن صدَّ عنى وأعرضا

(١) أفرض : شرب من الفرضة وهى المشرع

وما زلت عرّافا اذا الزاد رابنى * بخبثٍ وعيّافا إذا الماء عرمضا (١)

وهذا البيت كقول الآخر

وانىَ الماء المخالط للقذى * اذا كثرت وِرّاده لعيُوفُ

تعازيه فى البنات

وفى ابنة المسيبى يقول ابن الرومى

اخا ثقتى أعزز علىَّ بنكبةٍ * مَنَاك بها صرف القضاء المقدّرُ

أُصِبت وما للمرء من حكم ربهِ * محيدٌ وأمر الله أعلى وأقهرُ

وقد مات من لايخلف الدهر مثلهُ * عليك من الأسلاف والحق يَبْهَرُ

تعزيت عمن أثمرتك حياتهُ * ووَشْك التعزّى عن ثمارك أجدرُ

لأن اختيال الدهر فى ابن وفى ابنةٍ * يسيرٌ وكرُّ الدهر شيخيك أعسرُ

تعذّر أن نعتاض من أمهاتنا * وآبائنا والنسل لا يتعذّر

فلا تهلِكَنْ حزنا على ابنة جنةٍ * مضت وهى عند الله تحيا وتُحبَرُ

لعلّ الذى أعطاك ستر حياتها * كساها من اللحد الذى هو أستر

فكم من أخى حرية قد رأيتهُ * بنار ذوى الاصهار يكوى ويُصهر

فلا تتهم لله فيها ولايةً * ولا نظراً فالله للعبد أنظرُ

وأنت وان أبصرت رشدك مرةً * فذو النظر الاعلى برشدك أبصر

ومن مليح تعازيه عن أبيه قوله لعلى بن يحيى المنجم

لا تَبعَدَنّ كريمة أودعتها * صهراً من الاصهار لا يخزيكا

إني لأرجو أن يكون صداقها * من جنة الفردوس ما يرضيكا

لا تيأسنّ لها فقد زوّجتها * كفؤا وضمّنت الصداق مليكا

---

(١) عرمض : خبث وطحلب

خير الاصهار

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت يرجّى بقاؤها * ثلاثة اصهار اذا ذُكر الصهرُ
فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهما القبر

وقال عقيل بن علقمة وكان أغير العرب

إنى وان سِيق الىَّ المهرُ * ألفٌ وعبدانٌ وذَوْدٌ عشرُ
أحب أصهارى الىَّ القبرُ

الرغبة فى موت البنات

ومنه أخذ عبيد الله قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد دخل علينا ابن خلف البهرانى فأنشدنا

لولا أميمة لم أجزع من العدمِ * ولم أجُبْ فى الليالى حِنْدِس الظلمِ
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى * أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحمِ
أحاذر الفقر يوما أن يُلمَّ بها * فيهتك الستر عن لحم على وضمِ
تَهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزّال على الحُرَمِ

وكانت أميمة بنت أخته وكان قد تبناها ثم غابت غيبة فسألناه عنها فأنشد

أمست أميمة مغموراً بها الرَّجَمُ * لدى صعيد عليه الترب مرتكمُ
ياشقة النفس ان النفس والهةٌ * حرّى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها * عنى الحمام فيبدى وجهها العُدُمُ
فالآن نمت فلا هَمٌّ يؤرقنى * نهد العيون اذا ما أودت الحُرَمُ
فالآن نمت فلا هم يؤرقنى * بعد الهدوء ولا وجد ولا حُلُم
للموت عندى أياد لست أنكرها * أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

ابن الرومى والاخفش

عاد ذكر ابن الرومى وكان أبو الحسن على بن سليمان الاخفش غلام أبى العباس المبرد فى عصر ابن الرومى شابا مترفا ، ومليحا مستظرفا ، وكان يعبث به ، فيأتيه بسحر فيقرع الباب ، فيقال له من ؟ فيقول قولوا لأبى الحسن مُرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، ويقيم الايام لايخرج من داره ، وذلك كان سبب هجائه اياه فمن أول ماعاتبه به

قولوا لنحوينا أبى حسن * إن حسامى متى ضربت مضا
وانّ نبلى اذا هممت بأن * أرمى نصلتها بجمرِ غضا
لاتحسبنّ الهجاء يحفل بالرف * ع ولا خفض خافض خفضا
ولاتَخَلْ عودتى كبادية * سأسعط السم من أبى الحضضا
أعرف فى الاشقياء بى رجلا * لاينتهى أو يصير لى غرضا
يليح لى صفحة السلامة والسـ * ـلم ويخفى فى قلبه مرضا
أضحى مغيظا على أن غضب الله عليه ونلت منه رضا
وليس تجدى عليه موعظتى * إن قدّر الله حينَهُ وقضا
كأنى بالشقىّ معتذرا * اذا القوافى أذقنه المضَضَا
ينشدنى العهد يوم ذاك وللعهـ * ـد خضاب أذالَهُ فنضا
لايأمننّ السفيه بادرتى * فانى عارض لمن عرضا
عندى له السوط ان تلوّم فى السير وعندى اللجام ان ركضا
أسمعت إنباضتى أباحسن * والصفح لاشك نصح من محضا
وهو معافى من السهاد فلا * يحمل فيمسى فراشه قَضَضا
أقسمت بالله لاغفرت لهُ * إن واحدٌ من عروقه نبضا

فاعتذر اليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد ، وكان الاخفش أكثر الناس اخوانا فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التى يقول فيها

ذُكر الاخفش القديم فقلنا * إن الاخفش الحديث لفضلا
واذا ماحكمت والروم قومى * فى كلام مُعرَّب كنتُ عدْلا
أنا بين الخصوم فيه غريبٌ * لاأرى الزَّور للمحاباة أهلا
ومتى قلت باطلا لم ألقَّب * فيلسوفا ولم أسمَّ هِرَقْلا

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أحد استاذى سيبويه ، وهو من المتقدمين فى النحو ، ويعرف بالأخفش الكبير ، وكان فى عصر سيبويه أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذى قال : كان سيبويه يعرض ما وضع من النحو علىّ ، ويرى انى أعلم منه ، وكان فى وقته ذلك أعلم منى

ثم عاد على بن سليمان الى أذاه ، واتصل به ان رجلا عرض عليه قصيدة من شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التى يقول فيها

أعتقت عبدىَّ فى القريض معا * عبدة والعجل من بنى عبده
ان أنا لم أرم بلاساءة من * زاغ عن القصد أو أبى سددَه
قلت لمن قال لى عرضت على * الأخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه * على مبين العمى اذا انتقده
أنشدته منطقى ليشهدهُ * فغاب عنه عمًى وما شهده
ما بلغت بى الخطوب رتبة من * تفهم عنه الكلاب والقِرَدَة
ولا أنا المفهم البهائم والطير سليمان قاهر المَرَدَة
فان يقل انى حفظت فكالدفـ * ـتر جهلاً بكل ما اعتقده
سأسمع الناس ذمه أبداً * ماسمع الله حمد من حمده

علقمة بن عبدة

عبدة بن الطبيب ، وعلقمة بن عبدة العجل ، وكانا شاعرين مجيدين ،وقال علقمة بن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذر اليه وهو معبس فى وجهه: اذا اعتذر اليك المعتذر فتلقه بوجه مشرق ، وبشر مطلق ، لينبسط المتذلل ، ويؤمن المتنصل

طيرة ابن الرومى

ولابن الرومى فى الأخفش إفحاش صنت الكتاب عنه . قال على بن ابراهيم كاتب مسروق البلخى: كنت بدارى جالسا فاذا حجارة سقطت بالقرب منى ، فبادرت هاربا ، وأمرت الغلام بالصعود الى السطح ، والنظر الى كل ناحية ، من أين تأتينا الحجارة ، فقال امرأة من دار ابن الرومى الشاعر قد تشوفت ، وقالت اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة من ماء ، والا هلكنا ، فقد مات من عندنا عطشا فتقدمت الى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعد اليها وتخاطبها ، ففعلت وبادرت بالجرة وأتبعتها شيئا من المأكول ، ثم عادت الى فقالت ذكرت المرأة ان الباب عليها مقفل من ثلاث بسبب طيرة ابن الرومى ، وذلك أنه يلبس ثيابه كل يوم ، ويتعوذ ثم يصير الى الباب ، والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب فى خشب الباب ، فتقع عينه على جار له كان نازلا بازائه ، وكان أحْدَب يقعد كل يوم على بابه ، فاذا نظر اليه رجع وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحد الباب . فعجبت لحديثها ، وبعثت بخادم كان لى يعرفه ، فأمرته بأن يجلس بازائه ، وكانت العين تميل اليه ، وتقدمت الى بعض أعوانى أن يدعو الجار الأحدب ، فلما حضر عندى أرسلت وراء غلامى لينهض الى ابن الرومى ، ويستدعيه الحضور ، فانى لجالس ومعى الأحدب إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسى ومعه برذعة الموسوس صاحب المعتضد ، ودخل ابن الرومى فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شِسْع نعله ،

فدخل مدعورا ، وكان اذا فاجأه الناظر رأى منه منظرا يدل على تغير حال ، فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه ، فقلت له : يا أبا الحسن أيكون شئ فى خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ، ونظرك الى وجهه الجميل ؟ فقال قد لحقنى ما رأيت من العثرة لأنى فكرت أن به عاهة ، وهى قطع أنثييه ، قال برذعة وشيخنا يتطير ؟ قلت نعم ويفرط ، قال ومن هو ؟ قلت على بن العباس. قال الشاعر ؟ قلت نعم فأقبل عليه وأنشده

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفُهُ * بتفريق ما بينى وبين الحبائب
رجعت الى نفسى فوطنتها على * ركوب جميل الصبر عند النوائبِ
ومن صحب الدنيا على جَوْر حكمها * فأيامه محفوفةٌ بالمصائب
فخذ خِلْسةً من كل يوم تعيشُهُ * وكن حَذِراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفأل والزجر واطَّرح * تطيُّرَ جارٍ أو تفاؤل صاحب

فبقى ابن الرومى باهتا ينظر اليه ، ولم أدر انه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه ، فخلف ابن الرومى لا يتطير أبدا من هـذا ولا من غيره ، وأومأ الى جاره فقلت وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، فقلت له ليتنا كتبناه ! قال اكتبه فقد حفظته ، وأملاه علىّ

خوفه من ركوب البحر

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبى العباس بن ثوابة وقد ندبه الى الخروج اليه وركوب دجلة

حضضت على حطبى لنارى فلا تدعِ * لك الخير تحذيرى شرور المحاطبِ
ومن يلق مالاقيت فى كل مجتنًى * من الشوك يزهد فى الثمار الأطايبِ
أذاقتنىَ الاسفار ما كرّه الغنى * الىَّ وأغرانى برفض المطالبِ

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبةٍ * رهبت اعتساف الارض ذات المناكب
فصبرى على الإقتار أيسر مطلباً * علىَّ من التغرير بعد التجارب
لقيت من البر التباريح بعدما * لقيت من البحر ابيضاض الذوائبِ
سقيت على ربى به ألف مطرةٍ * شغفت لبغضيها بحب المجادبِ
ولم أبغها بل ساقها لمكيدتى * تلاعب دهر جدَّ بى كالملاعب
أبى أن يغيث الارض حتى إذا رمت * برحلى أتاها بالغيوث السواكب
سقى الارض من أجلى فأضحت مُدلةً * تمايلَ صاحيها تمايلَ شارب
فملت الى خان مُرثّ بناؤهُ * كميل غريق الثوب لهفان لاغبِ
فما زلت فى جوع وخوف ووحشةٍ * وفى سهر يستغرق الليل واصبِ
يؤرقنى سقف كأنىَ تحتهُ * من الوكف تحت المدجنات الهواضب
يظل اذا ما الطين أثقل متنهُ * تصرُّ نواحيه صرير الجنادب
وكم خانِ سَفْرٍ خانَ فانقض فوقهم * كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب
وما زال ضاحى البر يضرب أهلَهُ * بسوطَىْ عذاب جامد بعد ذائب
فان فاته قطرٌ وثلج فانهُ * رهينٌ بسافٍ تارة وبحاصب
فذاك بلاء البر عندىَ شاتياً * وكم لىَ من صيف به ذى مثالبِ
ألا رب نار بالفضاء اصطليتها * من الضِّح يودى لفحها بالحواجب (١)
فدع عنك ذكر البرِّ إنى رأيتهُ * لمن خاف هول البحر شر المهارب
وما زال يبغينى الحتوف مواربا * يحوم على قتلى وغير مواربِ
فطوراً يغادينى بلص مصلّت * وطورا يمسّينى بورد الشواربِ
وأما بلاء البحر عندى فانهُ * طوانى على روع مع الروح واقب
ولو ثاب عقلى لم ادع ذكر بعضهِ * ولكنه من هوله غير ثائب
ولمْ لا ولو أُلقِيت فيه وصخرةً * لوافيت منه القعر أول راسبِ

(١) الضح : بالكسر الشمس

ولم أتعلم قط من ذى سباحةٍ * سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
وأيسر اشفاقى من الماء أننى * أمر به فى الكوز مرّ المجانب
وأخشى الردى منه على كل شاربٍ * فكيف بأَمْنِيهِ على نفس راكب

أخذه من قول أبى نواس وقد رأى التمساح بمصر أخذ رجلا

أضمرت للنيل هجرانا ومَقْلِيةً * مذ قيل لى انما التمساح فى النيلِ
فمن رأى النيل رأى العين عن كثبٍ * فما أرى النيل الا فى البراقيل (١)

رجع

أظل اذا هزته ريح ولألأت * له الشمس أمواجا طوال الغوارب
كأنى أرى فيهن فرسان بهمةٍ * يليحون نحوى بالسيوف القواضب (٢)
فان قلت لى قد يركب اليم طامياً * ودجلة عند اليم بعض المذانب (٣)
فلا عذر فيها لامرئ هاب مثلها * وفى اللجة الخضراء عذر لهائب
لدجلة حبّ ليس لليم انها * تراءى بحلم تحته جهل واثب
تَطامنُ حتى تطمئن قلوبنا * وتغضب من مزح الرياح اللواعب
ولليم انذار بغوص متونهِ * وما فيه من آذِيِّه المتراكب (٤)

وهى طويلة وفيما مر كفاية تنبئ عنه وتدل عليه ، ولو مددت أطناب الاختيار لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب

العيافة والزجر

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصُّولى قال : كان لأبى نواس اخوان لا يفارقهم ، اجتمعوا يوما فى موضع أخفوه عنه ، ووجهوا اليه برسول معه ظهر قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئا ، فخزموه بزير (٥) ، وختموه بقار ، وتقدموا الى

---

(١) البراقيل : أوانى الشراب (٢) يليحون : يشيرون (٣) المذانب : القنوات
(٤) الآذى : الموج (٥) الزير : الوتر

رسولهم ليرمى بالكتاب من وراء الباب ، فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من فعلهم ، فتعرف موضعهم وآثارهم ، فأتاهم فأنشدهم

وجدت كتابكم لما أتانى * يمرّ بسانح الطير الجوارى
نظرت إليه مخزوماً بزير * على ظهر ومختوما بقارِ
فقلت الزير مَلهيةٌ ولهوٌ * وخلت القار من دون العُقار
وخلت الظهر أهيف قرطقيا * يحيل العقلَ منه باحورار (١)
فهمت اليكمُ طربا وشوقا * فما أخطأت داركمُ بدار
فكيف ترونى وترون وجدى * ألست من الفلاسفة الكِبار

وقال الطائى :

أتضعضعت عبرات عينك أن دعت * ورقاء حين تضعضع الإظلامُ
لا تنشجنّ لها فان بكاءها * ضحكٌ وان بكاءك استغرامُ
هنّ الحمام وان كسرت عيافةً * من حائهنّ فانهن حِمام

أحمد ابن المدبر

وروى يموت ابن المزرع قال كان أحمد بن المدبّر اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء ، الا الأفراد المجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل ، فاستأذنه فى النشيد فقال قد عرفت الشرط قال نعم وأنشده

أردنا فى أبى حسن مديحا * كما بالمدح ينتجع الولاةُ
فقلنا أكرم الثقلين طرّا * ومَن كفاه دجلةُ والفراتُ
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه عليهنّ الصلاة
فقلت لهم وما تغنى صلاتى * عيالى إنما الشأن الزكاة

(١) قرطقيا : يلبس القرطق وهو لباس رقيق

فيأمر لى بكسر الصاد منها * فتصبح لى الصلاة هى الصِّلات

فضحك واستظرفه ، وقال من أين أخذت هذا ، قال من قول أبى تمام الطائى:

هن الحمام فان كسرت عيافةً * من حائهنَّ فانهن حمام

فأحسن صلته

ابو الفضل الميكالي

(وقال) الامير أبو الفضل الميكالى لقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته

يارا كبا أضحى يخب بعنْسِهِ * ليؤوم مَرْوَ على الطريق المهيَعِ

أبلغ بها قوما أثاروا فتنةً * ظلت لها الاكباد رَهْنَ تقطع

إذ أقدموا ظلما على ساطانهم * بالغدر والخلع الذميم المفظع

وبحل عقد لوائه واباحةٍ * لجنابه وحريمه المتمنِّع

أبلغهمُ انى انخذت لفعلهم * فألاً له فى القوم أسوأ موقع

أما اللواء وحله فمخبِّرٌ * عن حل عقد بينهم مستجمع

والخلع يخبران ستخلع عنهم الارواح بالقتل الأشد الأشنع

والغدر ينبئ أن تغادَرَ فى الوغى * اشلاؤهم لنُسوره والأضبعِ

والفرقتان فشاهدٌ معناهما * بتفرق لجميعهم وتصدعِ

فتسمَّعوا لمقالتى وتأهَّبوا * بذميم بغيكمُ لشر المصرَعِ

فالله ليس بغافل عن أمركمْ * حتى تحلَّ بكم عقوبة موجِع

عبد الوهاب الثقفى

قال أبو عثمان الجاحظ :سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفى ، قال : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جدب ، وغنى بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ، والشباب الناعم

الجاحظ وابن أبى دؤاد

وكان الجاحظ مائلا عن ابن أبى دؤاد الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب محمد ابن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبى دؤاد مقيداً ، فقال له أحمد: والله ما أعلمك الا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، معدداً للمساوى ، وما فُتِّئ باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تُصلح منك ، لفساد طويتك ، ورداءة دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك . فقال الجاحظ : خفّض عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر علىّ خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسىء وتحسن ، أحسن فى الأحدوثة من أن أحسن فتسىء ، ولأن تعفو عنى على حال قدرتك علىّ ، أجمل بك من الانتقام منى . فعفا عنه

عقبة ابن أبى سفيان

قال سعد القصر مولى عتبة بن أبى سفيان : خطب عتبة الناس فى الموسم سنة احدى وأربعين والناس اذ ذاك حديثو عهد بالفتنة فقال : قد وَلينا هذا المقام الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر ، والمسىء الوِزر ، ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فانها تقطع دوننا ، فرب متمنّ أمراً احتفه فى أمنيته ، فاقبلوا منا العافية ، ما قبلناها منكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلاًّ على كل . فناداه اعرابى من ناحية المسجد: أيها الخليفة ، فقال لست به ولم تبعد ، قال يا أخاه ، قال سمعت فقل ، فقال: والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا ، فان كان الاحسان منكم فما أولاكم باتمامه ، وان كان منا فما أولاكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجل من بنى عامر بن صعصعة يمتّ بالعمومة ، ويختص بالخؤولة ، كثر عياله ، ووطئه زمانه ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرت لك بغناك ، فليت اسراعى اليك ، يقوم بابطائى عنك!

الجاحظ وابن الزيات

قال الجاحظ تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً ، فطلبنى محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلى مع الحسن ابن وهب ، فتنكر لى ، وتلوّن علىّ ، فكتبت اليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ، ورجح فى قلبك ايثار الأناة ، فقد خفت أيدك الله أن أكون عندك من المنسوبين الى نزق السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء ، وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ماجنى لسعيد

وقال الآخر:

ومن دعا الناس الى ذمهِ * ذموه بالحق وبالباطلِ

فان كنت اجترأت علىك ، أصلحك الله، فلم أجترئ الا لأن دوام تغافلك عني شبيه بالاهمال الذى يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ، ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفه لعثمان رحمه الله: عمر كان خيرا لى منك أرهبنى فأتقانى ، وأعطانى فأغنانى، فان كنت لاتهب عقابى أيدك الله لخدمة فهبه لاياديك عندى ، فان النعمة تشفع فى النقمة ، وإلاّ تفعل ذلك لذلك فعدالى حسن العادة ، والافافعل ذلك لحسن الاحدوثة ؛ والافأت ماأنت أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقاب المصرّ ، حتى اذا صرت الى من هفوته ذكر ، وذنبه نسيان ، ومن لايعرف الشكر الالك والانعام الامنك ، هجمت عليه بالعقوبة ، واعلم أيدك الله أن شين غضبك علىّ كزين صفحك عنى ، وانّ موت ذكرى مع انقطاع سببى منك ، كحياة ذكرك مع اتصال سببى بك ، وأعلم ان لك فطنة عليم ، وغفلة كريم ، والسلام

كلام على بن أبى طالب

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أعجب مافى الانسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها ، فان سنح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ ، وان أسعد بالرضا نسى التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الامن استلبته الغِرّة ، وان أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان أفرط فى الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل

عبد الرحمن بن حسان

البيت الذى أنشد الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها

متى مايرى الناس الغنىّ وجارُهُ * فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدُ
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظٍ قُسِّمت وجدود
وان امرأ يمسى ويصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

محمد بن حازم

والبيت الذى أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلى فى أبيات يقول فيها :

إن كنت لا ترهب ذمى لما * تعلم من صَفْحى عن الجاهلِ
فاخش سكوتى آذناً منصتا * فيك لمسموعِ خنى القائلِ
فسامع الشرّ شريكٌ لهُ * ومُطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدرٍ سائلِ

ومن دعا الناس الى ذمهِ * ذموه بالحق وبالباطل
فلاتهِجْ ان كنت ذا إربةٍ * حَرْبَ أخي التجربة الغافل
فان ذا العقل اذا هجتهُ * هِجت به ذا خبلٍ خابلِ
تُبصِرُ فى عاجل شدّاتهِ * عليك غِبَّ الضرر الآجل

ابن الزيات

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

بدا حين أثرى لاخوانهِ * ففلّل منهم شَباةَ العدمْ
وأبصر كيف انتقال الزمان * فبادر بالعرف قبل الندم

مرض الجاحظ

قال بعض البرامكة كنت أتقلد السِّند فاتصل بى أنى صُرفت عنها ، وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار ، فخفت أن يفجأنى الصارف ، ويسعى اليه بالمال ، فصغته عشرة آلاف اهليلجة فى كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها فى رحلى ، ولم أبعد أن جاء الصارف فركبت البحر ، وانحدرت الى البصرة ، فخبرت انها الجاحظ وأنه عليل ، فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت اليه ، فأفضيت الى باب دار لطيف ، فقرعته فخرجت الىّ خادم صفراء ، فقالت من أنت ؟ فقلت رجل غريب أحبَّ أن يدخل الى الشيخ فيسر بالنظر اليه ، فأدت ما قلت ، وكانت المسافة قريبة لصغر الدهليز والحجرة ، فسمعته يقول: قولى له ، وما تصنع بشِق مائل ، ولُعاب سائل ، ولون حائل ؟ فأخبرتنى فقلت لابدّ من الوصول اليه ، فقال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة ، فسمع بى ، وبعلتى ، فقال أراه قبل موته ، لأقول قد رأيت الجاحظ ، فدخلت فسلمت فردّ ردا جميلا واستدنانى ، وقال من تكون أعزك الله ؟ فانتسبت له ، فقال رحم الله أباك ، وقومك الأسخياء ، الأجواد ، الكرام ، الأمجاد ، فلقد كانت أيامهم روض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق ،

فسقياً لهم ورعياً ، فدعوت له ، وقلت أنا أسأل الشيخ أن ينشدنى شيئاً من الشعر أذكره به ؛ فأنشدنى

لئن قُدّمت قبلى رجال فطالما * مشيت على رِسلى فكنت المقدّما (١)

ولكن هذا الدهر تأتى صروفهُ * فتُبرم منقوضاً وتنقض مُبرما

ثم نهضت فلما قاربت الدهليز صاح بى فقال : يا فتى ، أرأيت مفلوجا ينفعه الا هليلج ، فقلت لا ، قال فأنا ينفعنى الا هليلج الذى معك ، فأنفِذ إلىّ منه ، فقلت السمع والطاعة ، وخرجت مفرط التعجب من وقوعه على خبرى ، حتى كأن بعض أحبابى كاتبه بخبرى حين صفته ، فانفذت اليه مائة اهليلجة

المقامة الجاحظية

(مقامة من انشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ)

قال حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتنى مع رفقة وليمة ، وأجبت اليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كُراع لأجبت ، ولو أهدى الىّ ذراع لقبلت ، فأفضى بنا المسير الى دار قد فُرش بساطها ، وبُسطت أنماطها ، ومد سماطها ، وقوم قد أخذوا الوقت بين آس مخضود ، وورد منضود ، ودن مفصود ، وناى وعود ، فصرنا اليهم وصاروا الينا ، ثم عكفنا على خِوان قد مُلئت حياضه ، ونوّرت رياضه ، واصطفت جفانه ، واختلفت ألوانه ، فمن حالك بازائه ناصع ، ومن قانٍ فى تلقائه فاقع ، ومعنا على الطعام رجل تسافر يده على الخوان ، وتسفر بين الألوان ، وتأخذ وجوه الرغفان ، وتفقأ عيون الجفان ، وترعى أرض الجيران ، يزحم اللقمة باللقمة ، ويهزم المضغة بالمضغة ، وهو مع ذلك ساكت لا ينبس ، ونحن فى الحديث نجرى معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرابته ، ووافق أول الحديث آخر الخوان ، وزُلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذى فيه كنتم ؟

---

(١) على رسلى : على مهلى

فأخذنا فى وصف الجاحظ ، واسنِه ، وحسن سننه فى الفصاحة ، وسَنَنِه فيما عرفناه فقال ياقوم، لكل عمل رجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ، ولكل زمان جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطل ما اعتقدتم . فكلٌّ كشر له عن ناب الانكار ، وشم بأنف الاكبار ، وضحكت اليه، لأجلب ما لديه ، وقلت أفدنا وزدنا، فقال ان الجاحظ فى أحد شِقَّ البلاغة يقطف ، وفى الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا ، قال فهلموا الى كلامه : فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من مُعْتاصِه يهمله ، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ، أو لفظة غير مصنوعة ؟ فقلت لا ، فقال هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك ، وينم على مافى يديك ؟ فقلت إى والله ، قال فأطلق لى عن خنصرك ، ما يعين على شكرك ، فأنلته ردائى فقال

لعمر الذى ألقى الىَّ ثيابهُ * لقد كسبت تلك الثياب به مجدا
وقد قرَّته راحة الجود بِزةً * فما ضربت قِدحا ولا نصبت نردا
أعد نظراً يامن كسانى ثيابهُ * ولا تدع الأيام تهدمنى هدا
وقل للألى إن أسفروا أسفروا ضحى * وان طلعوا فى غمة طلعوا سَعْدا
صلوا رحم العليا وبُلوا لَهاتِها * فخير الندى ماسح وابله نقدا

قال عيسى بن هشام فارتاحت الجماعة اليه ، وانثالت الصلات عليه ، وقلت لما تآنسنا، من أين مطلع هذا البدر؟ فقال

اسكندرية دارى * لو قرَّ فيها قرارى
لكن ليلى بنجدٍ * وبالحجاز نهارى

أردشير بن بابك

تظلمت رعية أردشير بن بابك اليه فى سنة مجدبة لعجزهم عن الخراج ، وسألته أن يخففه عنهم ، فكتب لهم مانسخته: من أردشير المزيد بالبهاء ، ابن الملوك

العظماء ، الى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة ، والكتاب الذين هم ساسة المملكة وذوى الحرث الذين هم عَمَرة البلاد ، أما بعدفإنا نحمد الله تعالى حمد الصالحين ، وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا أتاوتنا الموظفة عليهم سنتنا هذه ، ونحن كاتبون مع ذلك نمليهم بوصية تنفع الكل : لا تستشعروا الحقد لئلا يغلب عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا للغرباء مؤوين ، لتؤووا غدا فى المعاد ، وتزوّجوا فى القرابة فانه أحسن للرحم ، وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ، ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها

بزرجمهر

وقيل لبزرجمهر أى الاكتساب أفضل ؟ قال : العلم والأدب كنزان لا ينفدان ، وسراجان لا يطفآن ، وحلتان لا تبليان ، من نالهما أصاب الرشاد ، وعرف طريق المعاد ، وعاش رفيعا بين العباد (وقال) أنوشروان لبزرجمهر لما ظفر به: الحمد لله الذى أظفرنى بك ، قال له فكافئه بما يحب كما أعطاك ما تحب قال وبم أكافئه يا فاسق ؟ قال بالعفو عمن أظفرك به اليوم ، كما تحب أن يعفو عنك غدا . ونظير هذا الكلام قد تقدم لعلى رضى الله عنه

خير الملوك

وقيل لكسرى أى الملوك أفضل ؟ قال الذى اذا حاورته وجدته عليما ، واذا خبرته وجدته حكيما ، واذا غضب كان حليما ، واذا ظفر كان كريما ، واذا استمنح منح جسيما ، واذا وعد وفى ، وان كان الوعد عظيما ، واذا شكى اليه وجد رحيما

بين الميكالى والثعالبى

(كتب الأمير أبو الفضل الميكالى الى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى) كتابى وأنا أشكو اليك شوقا لو عالجه الاعرابى لماصبا الى رمل عالج ، أو كابده الخلىّ لانثنى على كبدٍ ذات حرق ولواعج ، وأذم زماناً يفرق فلا

يحسن جمعاً ، ويخرق فلا ينوى رقعا ، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوى الوداد ، ثم يبخل عليهم بما يشفى الصدور والأكباد ، قاسى القلب فلا يلين لاستعطاف ، جائر الحكم فلا يميل الى انصاف ، وكم أستعدى على صرفه وأستنجد ، وأتلظّى غيظا عليه وأنشد

متى وعسى يثنى الزمان عنانه * بعثرة حالٍ والزمان عَثُورُ
فتدرَكَ آمال وتقضى مآربٌ * وتحدُثُ من بعد الأمور أمور

وكلاّ ، فما على الدهر عَتْب ، ولا له على أهله ذنب ، وانما هى أقدار تجرى كما شاء مجريها ، وتنفذ كالسهام الى مراميها ، فهى تدور بالمكروه والمحبوب ، على الحكم المقدور المكتوب ، لا على شهوات النفوس ، وارادات القلوب ، واذا أراد الله تعالى أذن فى تقريب البعيد النازح ، وتسهيل الصعب الجامح ، فيعود الأنس بلقاء الاخوان كأتم مالم يزل معهوداً ، ويجدد للمذاكرة والمؤانسة رسوما وعهوداً ، انه الملبّى به ، والقادر عليه

من الميكالى الى أبيه

وله الى أبيه : لو ملكت عنان اختيارى ، وأسعفنى ببعض ما أقترحه القدر الجارى ، لما غبت عن حضرته آنسها الله ساعة من دهرى ، كما لا أعدّ ساعات بعدى عنها واخلاى لبابها من أيام عمرى ، ولكنت أبداً ما ثلابها فى زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتى العز المديد ، والشرف العتيد ، لا سيما فى هذا الوقت ، وقد أشرقت البلاد بنور طلعته التى هى فى ظلمة الدهر صباح ، وعز مطالعته التى فيها لصدور ذوى الشنأ شجىً ولزند الآمال اقتداح ، ومعاودة ظله التى أضحت الشمس من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعِتاده ، الا أن الحريص كما علمه مولانا مُخلًى عن أعذب موارده ، وممنوع بالعوائق عن اكرم مطالعه ومقاصده

ومنه الى بعض اخوانه

وله يستفتح مكاتبة بعض اخوانه : انا وان لم تتقدم بيني وبينه المكاتبة وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط حرصي على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فان قلبي بوده مغمور ، وضميري على مصافاته مقصور ، فاعتداده لفضائله التي أصبح فيها أو حدىّ العنان . وزاحم فيها منكب العنان ، واستأثر فيها بالغُرَر والاوضاح ، ما أوفى بها على غرة الصباح ، حتى تشاهدت بها ضمائر القلوب ، وتهادت أنباءها ألسنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم في اجلال قدرها صفقة اسراره واعلانه ، فهو يتنسم الريح اذا هبت من ناحيته شوقا ونزاعا ، ويستملي الوارد والصادر خبر سلامته انصياعا بالود اليه وانقطاعا

شذور من كلامه

(شذور من كلامه في أثناء رسائل شتى) أياديه التي غمرتني سجالها ، واتسع عندي مجالها ، وأعيا شكري عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المنى دانية القطوف ، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوقي وحنيني ، أو ترجع نافرة انسي وسكوني ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطري وظنوني الا بالتقاء يدنو أمدُه ، ويقرب موعده ، وتعلو على الفراق يده ، فتعاود العيش طلقاً غزيراً ، وتجتني ثمر المنى غضا نضيراً ، وتجتلي وجه الزمان مشرقا منيراً ، فوائده لها عندي أثر الغمام أو أنفع ، ومحل السماك أو أرفع ، حالي في مفارقة حضرته حال بنات الماء قد نضب عنها الغدير ، وبنات الأرض أخطأها النوء المطير — لهفي على دهر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق ، ونقل شرابي عض وريق ، — كلام أحلى من ريق النحل ، وأصفى من ريق الوبل — من تسوّد قبل وقته وآلته فقد تعرض لمقته وإذالته . نظمُه له

ان من يلتمس الصد * رَ بلا وقت وآله
لحقيق أن يُلقَّى * كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب ، كالحلى للكعاب — لو كان الشباب فضة لكان الشيب له خبثاً — النعمة عروس مهرها الشكر ، وثوب صونه النشر — الخضاب تذكرة الشباب — لا تقاس المهاوى بالمراقى ، ولا الاقدام بالتراقى ، ولا البحور بالسواقى — كم أبلانى من عَرفٍ جزيل لا يبلى الدهر جدّة ردائه ، وقضانى من دين تأميل لا يقضى الشكر حق نعمائه — الشكر للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ، وكلما زدت النعمة شكراً ، زادت طيباً ونشراً

نماذج من شعره

(قطعة من شعره فى تجنيس القوافى) قال فى أبيه :

مبتدعا فى شمائل المجد خِيماً * ما اهتدينا لأخذه واقتباسِهْ
فهو فظ بالمال وقت نداهُ * وجواد بالعفو فى وقت باسِهْ

وقال فيه :

اذا ما جاد بالأموال ثنّى * ولم تدركه فى الجود الندامَهْ
وان هَجَست خواطره بجمع * لريب حوادثٍ قال الندى مَه (١)

وقال فيه :

ولما تنازع صرف الزمانْ * فزعنا الى سيدٍ نابهِ
اذا كشر الدهر عن نابهِ * كشفنا الحوادث عنّا بهِ

وقال فيه :

ان نابنا خطب فآراؤهُ * تغنى عن الجيش وتسريبهِ
وان دجا ليل بدا نورهُ * للركب نجما فهو يسرى بهِ

(١) مه : اسم فعل بمعنى اكفف

وقال يفتخر

وكم حاسد لىٰ انبرى فانثنى * لعضة نفس شجاها شجاها
ومن أين يسمو لنيل العلى * وما بث مالا ولا راش جاها

ومنها قوله

وسائلة تسائل عن فعالى * وعما حاز فى الدنيا جمالى
فقلت الى المعالى حنّ قلبى * وفى سبل المكارم لج مالى
وللعلياء نهجٌ مستقيمٌ * فمالى تاركا ذا النهج مالى
اذا أسرجت فى فخر سمابى * فعالى والنجار فألجمالى

وقال فى نوع من هذا الجنس

ومن يَسْرِ فوق الارض يطلب غايةً * من المجد يسرى فوق جمجمة النَّسْرِ
ومن يختلف فى العالمين نِجارهُ * فإنّا من العلياء نجرى على نَجْرِ (١)
ومن يتجر فى المال يكسب ربحهُ * فبالمال نشرى رابح الحمد والنشر

وعلى نحو هذا الحذو يقول أبو الفتح البستى

أبا العباس لا تحسب بأنى * لشئ من حُلَى الاشعار عار
ولى طبع كسلسال المجارى * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما أكْبتَ الادوار زنداً * فلى زند على الادوار وارى

وقال أبو الفتح البستى أيضا

بسيف الدولة اتّسقت أمور * رأيناها مبدّدة النظام
سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سامٍ وحامِ

(١) النجر والنجار : الاصل

أدب الحاجب

قال بعض الملوك لحاجبه : انك عينى التى أنظر بها ، وجنتى التى أستنيم اليها ، وقد وليتك بابى ، فما تراك صانعاً برعيتى ؟ قال أنظر اليهم بعينك ، وأحملهم على قدر منازلهم عندك ، وأضعهم لك فى ابطائهم عن بابك ، ولزومهم خدمتك ، مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك ، وأحسن ابلاغك عنهم ، وابلاغهم عنك . قال قد وفيت بما عليك قولا ، ان وفيت به فعلا ، والله ولى كفايتك ومعونتك

مراتب الوافدين على الملوك

قال المهدى للفضل بن الربيع : إنى قد وليتك ستر وجهى وكشفه ، فلاتجعل الستر بينى وبين خواصى سبباً لضغنهم بقبح ردّك ، وعبوس وجهك ، وقدّم أبناء الدعوة فانهم أولى بالتقديم ، وثنّ بالأولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلبُّث ، وصرفهم عن التمكُّث

الحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل: اذا كان الملك محتجباً عن الرعية ولم ينزل الوزير نفسه منزلة تكون وسائلُ الناس اليه أنفسَهم واستحقاقَهم دون الشفاعات والحرمات ، حتى يختص الفاضل دون المفضول ، ويرتب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم ، امتزج التدبير ، واختلت الامور ، ولم يميز بين الصدور والأعجاز ، والنواصى والاذناب ، وكان الناس فوضى ، ووهت أسباب الملك ، وانتقضت مرائره ، وشاعت سرائره ، وإن أقرب ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعى من المتنسّمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفايتهم ، وابتذال نفسى لهم ، وصبرى

عليهم ، وتصفُّحي ماتوسلوا به وانتحلوه : من العقول ، والآداب ، والحماية والكفاية .فمن ثبتت لهُ دعواه أنزلته تلك المنزلة ، ولم أتحيَّفه حقه، ولا نقصته حظه، ومن قصر عما ادَّعى كانت منزلته منزلة المقصرين ، ولم أخيب أمله من مقدار مايستحقه

حكمة مأثورة

وقال بعض البلغاء : اذا أسدل الوالى على نفسه ستر الحجاب ، وهَى عمود تدبيره ، واسترخت عليه حمائل الحزم ، وازدلفت اليه وفود الذم ، وتولى عنه رشد الراجى ، ونال أموره خلل الانتشار ، وآفة الاهمال ، وتسرع اليه العائبون بلواذع ألسنتهم ، ودبيب قوارضهم

سعيد بن عبد الملك

وحجب سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب اليه : سرت الى بابك أعزك الله عند ماحدث من أمرك ، فلم يُقض لقاؤك ، وعلمت أن ثقتك بما عندى قد مثلت لك حالى من السرور بنعمة الله عندك ، وأرتك موضعى من الاعتداد بكل ماخصك ، ووصل اليك ، فوكلت العذر الى ذلك ، ثم إنا نأتيك متيمنين بطلعتك ، مشتاقين الى رؤيتك ، فيحجبنا عنك ملاحظ ، وهو كما علمت زَنيم الصنيعة ، لئيم الطبيعة ، يحجب عنك الكرام ، ويأذن عليك للئام ، كلما نجمت له يد بيضاء، أتبعها يدا سوداء، فان رأيت أعزك الله أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت ان شاء الله

وصف فتى ماجد

وقال أبو السمط بن أبى حفصة

فتًى لايبالى المدلجون بنورهِ * الى بابه أن لاتضىء الكواكبُ

له حاجبٌ فى كل خير يعينهُ * وليس له عن طالب العُرف حاجبُ

أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبى حفصة الاكبر

الى المصطفى المهدىِّ خاضت ركابنا * دجى الليل يخبِطْنَ السُّرَيْجَ المخدَّما
يكون لها نور الامام محمدٍ * دليلاً به تسرى اذا الليل أظلما

وقال ادريس بن أبى حفصة وذكر ابلا

لها أمامك نور تستضىء بهِ * ومن رجائك فى أعناقها حادى
لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الرتوع وتلهيها عن الزاد

وأصله قول عمرو بن شأس الأسدى

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفة أذرع * وان كُنَّ حَسْرى أن تكون أماميا(١)

النجاة باسم الحبيب

وقال بعض أهل العصر

وليل وصلنا بين قُطْرَيه بالسُّرى * وقد جَدَّ شوق مطمع فى وصالكِ
أربّت علينا من دجاه حنادِسٌ * أعدْن الطريق النهْجَ وعْر المسالك
فناديت يا أسماء باسمك فانجلت * وأسفر منها كل أسودَ حالكِ
بنا أنت من هادٍ نجونا بذكرهِ * وقد نشبت فينا أكفّ المهالك
منحتك اخلاصى وأصفيتك الهوى * وان كنتِ لمّا تخطرينى ببالك

ضوء الأحساب

وقال القطامى

ذكرتكمُ ليلاً فنوّر ذكركم * دجى الليل حتى انجاب عنه دياجرُهْ
فوالله ما أدرى أضوءٌ مسجَّرٌ * لذكراكمُ أم يسجر الليل ساجرُه

وقال القينى

وانى من القوم الذين هُمُ هُمُ * اذا مات منهم سيد قام صاحبه

(١) حسرى : متعبات

نجوم سماء كلما انقض كوكبٌ * بدا كوكب تأوى اليه كواكبُهْ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه

وقال الحطيئة

نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا * كما أضاءت نجوم الليل للسارى

وقد ردّده فى موضع آخر فقال

هم القوم الذين اذا ألمّت * من الأيام مظلمةٌ أضاؤا

وكلام القاسم بن حنبل المدنى من هذا حيث يقول

من البيض الوجوه بنى سنانٍ * لو انك تستضىء بهم أضاؤا
فلو ان السماء دنت لمجدٍ * ومكرمة دنت لهمُ السماءُ
همُ حازوا من الشرف المعلّى * ومن كرم العشيرة حيث شاؤا

وقال بعض المتقدّمين

اذا أشرقتْ فى جُنح ليل وجوهُهُمْ * كفوا خَابط الظلماء فقد المصابحِ
وان ناب خطب أو ألمت ملمةٌ * فكم ثَمَّ من آسى جراحٍ وجارحِ

وقال أبو بديل الوضاح بن محمد التيمى فى المستعين

وقائلة والليل قد نشر الدجى * فغطّى بها ما بين سهل وقرددِ (١)
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذى * به حل ميراث النبى محمد
أضاءت له الآفاق حتى كأنما * رأينا بنصف الليل نور ضحَى غدِ
فظل عذارى الحى ينظمن تحتهُ * سلوكا من الجزع الذى لم يسرّد
فقلت هو البدر الذى تعرفونهُ * والا يكن فالنور من وجه أحمد

(١) القردد : ما ارتفع من الأرض والجمع قراديد

حث الشوق

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة فى معنى قول عمرو بن شاس فى حث الاشتياق

خليليّ ما بال المطايا كأنما * تراها على الاعقاب بالقوم تنكُصُ
فقد أتعب الحادى سُراهنَّ وانحنى * بهنّ فما بالوا عَجولٌ مقلَّصُ
وقد قطّعت أعناقهن صبابةً * فأعينها مما تكلَّف تشخص
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا * اذا ازداد قرب الدار والبعد ينقص

وقال بعض الرجاز وذكر ابلا

انَّ لها لسائقاً خَدلّجاً * لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يجده من الشوق على اجهاد مطاياه بالسوق. كما أنشد اسحق الموصلى

صب يحث مطاياهُ بذكركُمُ * وليس ينساكمُ إن حل أو سارا
لو يستطيع طوى الأيام نحوكُمُ * حتى يبيع بعمر القرب أعمارا
يرجو النجاة من البلوى بقربكُمُ * والقرب يلهب فى أحشائه نارا

هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة. يقول كلما دنا ازداد حرصا على اللقاء

اسحق الموصلى

وشخَصَ اسحق الموصلى الى الواثق بسُرَّمن رأى وأهله ببغداد فتصيَّد الواثق وهو معه الى نواحى عكبراء فلما قرب من بغداد قال

طربتَ الى الاصيبية الصغارِ * وهاجك منهمُ قرب المزارِ
وكلّ مسافر يزداد شوقاً * اذا دنت الديار من الديار

ولحنه وغناه الواثق فاستحسنه وأطربه فصرفه الى بغداد على ما أحب ، وكان اسحق قال أولا

وكل مسافرٍ يشتاق يوماً * اذا دنت الديار من الديار

فعابوا قوله يوماً ، وقالوا هى لفظة قلقة فى هذا الموضع ، لم تحل بمركزها ، ولا لها هنا موقع ، قال فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها فما استطاعوا ذلك ، فغيرها الى ما أنشدت أولا

وقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها * بين اشتياق العيس والركبانِ
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها * حتى طلعن بها على الاوطان

مخلد بن بكار

وقال مَخلَد بن بكار الموصلى

أقول لنضو أنفد السير نَيَّها * ولم يبق منها غير عظم مجلّدِ (١)
خِدِى بى ابتلاك الله بالشَوق والهوى * وشاقك تحنان الحمام المغردِ (٢)
فمرت سريعا خوف دعوة عاشقٍ * تشق بى المومأة فى كل فدفدِ
فلما ونت فى السير ثنّيت دعوتى * فكانت لها سوطا الى ضحوة الغدِ

وكان مخلد حلو الطبع وهو القائل يمدح رجلا

يطلع النجم على صَعدتهِ * فاذا واجَهَ نحراً أفلا
مَعشرٌ ان ظمئت أرماحهُمْ * أوردوهن مجاجات الطَّلا
تحسن الالوان منهم فى الوغى * حين تُستنكر للرعب الحُلَى
سُخط عبد الله يدنى الاجلا * ورضاه يتعدّى الاملا
يُعشب الصّلدُ اذا سالمهُ * واذا حارب روضاً أمحلا
حل بالبأس ابن عمرو منزلاً * طال حتى قصرت فيه العلى
حط رحلى فى ذراه جودهُ * وتمشّى فى نداه الخيزَلَى (٣)

(١) النى : الشحم (٢) خدى : سيرى (٣) الخيزلى : مشية فى تثاقل

جودة الخط

سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة ، فقال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعودَه حدورُه ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوّره ، والى العقول تثمرّه ، وقدّرت فصوله ، واندمجت أصوله ، وتناسب دقيقه وجليله ، وخرج من نمط الوراقين ، وبعد عن تصنع المحدرين ، وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية ، كان حينئذ كما قال صاحب هذا الوصف فى صفة خط

اذا ما تجلل قرطاسَهُ * وساوره القلم الأرقشُ
تضمن من خطه حُلةً * كنقش الدنانير بل أنقشُ
حروف تعيد لعين الكليل * نشاطا ويقرؤها الاخفش

شكوى وراق

قال أبو هفان سألت ورّاقا عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى دق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، ووجهى عند الناس أشدسوادا من الحبر بالزاج ، وحظى أخفى من شق القلم ، ويداى أضعف من قصبة ، وطعامى أمر من العفص ؛ وشرابى أحر من الحبر ، وسوء الحال ألزم لى من الصمغ ! فقلت له عبرت عن بلاء ببلاء !

شعر الحمدونى

وقال الحمدونى

ثنتان من ادوات العلم قد ثنتا * عنان شأوىَ عمارمت من همى
أما الدواة فأدمى جرمها جسدى * وقلَّم الحظَ تحريفٌ من القلم
وحبّرت لىَ صحف الحرف محبرةٌ * تذودعنى سوام المال والنعم

والعلم يعلم انى حين آخذهُ * لعصمتى نافر خِلوٌ من العِصَم

وللحمدونى فى الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حلو التصرّف وهو اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جده وهو صاحب الزنادقة فى أيام الرشيد ، والحمدونى القائل

من كان فى الدنيا له شارةٌ * فنحن من نَظّارة الدنيا

نرمقها من كَثَب حسرةً * كأننا لفظ بلا معنى

وقال

قد قلت اذ خرجوا لكى يستمطروا * لا تقنطوا واستمطروا بثيابى

لو فى حزيرانٍ هممت بغسلها * غطى ضياءَ الشمس جوٌّ سحاب

فكأنها العباس يستسقى بهِ * عمرٌ فيرويهم دعاء مجاب

حرفة الادب

وقال آخر فى المعنى الأول

لما أجدْتُ حروف الخط حرّفنى * عن كل حظ وجاءت حرفة الادبِ

أقْوتْ منازلُ مالى حين وُطّنها * مخيّماً سَفَطُ الاقلام والكتب

وقال يعقوب الخزيمى

ماازددت فى أدبى حرفاً أُسَرُّ بهِ * الا تزيّدت حرفاً تحته شُومُ

كذاك من يدعى حذقا بصنعتهِ * أنّى توجه فيها فهو محرومُ

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز وزعم انه مات حتفَ أنفه قال على بن محمد بن بسام

لله درك من مَيْتٍ بمضيعةٍ * ناهيك فى العلم والآداب والحسبِ

مافيه لوٌّ ولا ليتٌ فينقصهُ * وانما أدركته حرفة الادَبِ

فتنة وحرمان!

قال ابن الرومى

ياليت أهل البيت اذحُرموا * عُصِموا من الشهوات والفتنِ

لكنهم حرموا وما عُصموا * فقلوبهم مرضى من الحزن

وهُمُ أطبُّ على بليتهم * من غيرهم بمضاضة الشجَنِ

وقال جعفر بن محمد : ان الله وسَّع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا أن الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة ، الا أن كسب المال بالحظ ، وحفظه بالعقل

ابراهيم النظام

قال ابراهيم بن سيار النظام : الذهب لئيم لأن الشكل يصير الى شكاله ، وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام . قال المتنبى وأخذ هذا المعنى

وشِبْهُ الشىءِ منجذبٌ اليهِ * وأشبهنا بدنيانا الطَّغامُ

وكان النظام له نظر بوجود التصرف ، وكان السلطان يصله بالكثير ، وكان محظوظا ، فاذا اجتمع له مال حبس لنفسه بُلْغة وفرَّق الباقى فى أبواب المعروف ، فقيل له فى ذلك فقال : من حق المال علىَّ ان أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرصة عند أهله ، ومن حق عليه أن يقينى السوء بنفسه ، ويصون عرضى بابتذاله ، ولا يفعل ذلك الا بأن أسمح به ، ألا ترى ذا الغنى ما أدْوَم نَصَبَه ، وأقل راحته ، وأخسَّ من ماله حظه ، وأشد من الأيام حذره ، وأغرى الدهر بثلبه ونقصه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبونه ، وأكفاء ينافسونه ، وولد يريدون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق الذم ، ومن الولد الملال . وذو البُلغة قنع ، فدام له السرور ورفض الدنيا ، فسلم من المحذور ، ورضى بالكفاف ، فتنكبته الحقوق

أفكار الوراقين

قال الصولى أنشدنى محمد بن أحمد بن اسحاق :

أدمى البكا جفنَىّ والمآقى * فظَلْت ذا هم وذا احتراقِ
ماإن أرى فى الأرض والآفاقِ * أدنى ولا أشقى من الورّاقِ
اذا أتى فى القُمُص الأخلاقِ * رأيته مطيرة العشاقِ (١)
يفرح بالأقلام والأوراق * كفرحة الجندىّ بالارزاقِ

وقال بعض الوراقين :

اذا كنت بالليل لا أكتبُ * وطول النهار أنا ألعبُ
فطوراً يبطّلنى مأكلٌ * وطورا يبطّلنى مشربُ
فان دام هذا على ما أرى * فبيتىَ أوّل ما يخرب

وقيل لوراق : ما تشتهى ؟ فقال قلما مشاقا ، وحبراً براقا ، وجلوداً رقاقا .

وكل امرىء أمنيته على ما يطابق غريزته، ويوافق نحيزته

أمانى الشعراء

قال على بن جبلة العكوك قال الأصمعى سئل امرؤ القيس : ما أطيب لذات الدنيا ؟ قال بيضاء رُعبوبة ، بالحسن مكبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة . وسئل الأعشى عن ذلك فقال: صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية وسئل طرفة عن ذلك فقال: مركب وطىّ ، وثوب بهى ، ومطعم شهى . قال العكوك فحدثت بهذا أبادُلَف فقال

أطيب الطيبات قتل الأعادى * واختيالٌ على متون الجيادِ
ورسول يأتى بوعد حبيبٍ * وحبيب يأتى بلا ميعادِ

(١) القمص جمع قميص ، والاخلاق جمع خلق بفتحتين وهو البالى

وحدثت بذلك حُميدا الطوسى فقال :

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عوَّدى
فمنهن سبق العاذلات بشربةٍ * كُميت متى ماتُعل بالماء تزبد
وكرِّى اذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضى ذى السَّوْرة المتوردِ
وتقصير يوم الدَّجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء الممدّد

الشعر لطرفة بن العبد ، وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله فقال ما أدرى ماقالوا، ولكنى أقول

فاقبل من الدهر ما أتاك بهِ * من قَرَّ عينا بعيشه نفعه

فكان أسدَّهم :

الاضبط بن قريع

والبيت للأضبط بن قريع أنشده أبو العباس ثعلب. قال وبلغنى أن هذه الأبيات قيلت قبل الاسلام بدهر طويل

لكل ضيق من الأمور سَعَه * والصبح والمسا لا فلاح معه
مابال من سرّه مصابك لا * يملك شيئا من أمره وزعه
أذود عن حوضهِ ويدفعنى * ياقوم مَن عاذِرى من الخُدَعه
حتى اذا ما انجلت عَمايتهُ * أقبل يلحى وغيُّه فجعه
قد يجمع المال غير آكلهِ * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسهِ * ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أتاك بهِ * من قرّ عينا بعيشه نفعه
وصل حبال البعيد ان وصل الحبـ * ـل وأقص القريب ان قطعه
ولا تعادِ الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً مايستنشدنى قول اليهودى

ارفع ضعيفك لا يَجُزْ بك ضعفهُ * يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك او يثنى عليك وان من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فأنشده فيقول انى فطِنٌ لها . وكان الاضبط سيد بنى سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل الى حى من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم ، فقال حيث ما أوجهُ ألق سعدا ! فذهبت مثلا ، قال الطائى

فلا تحسبَنْ هنداً لها الغدر وحدها * سجيةَ نفسٍ كل غانيةٍ هندُ

وصف محبرة

قال بعض الكتاب يصف محبرة

ولقد مضيت الى المحدث آنفاً * واذا بحضرته ظباءٌ رُتَّعُ
واذا ظباء الانس تكتب كل ما * يُملى وتحفظ ما يقول وتسمعُ
يتجاذبون الحبر من ملمومةٍ * بيضاءَ تحملها علائق أربعُ
من خالص البلّور غيّر لونها * فكأنها سَبَجٌ يلوح ويلمع
إن نكّسوها لم تسل ومليكها * فيما حوته عاجلا لا يطمع
ومتى أمالوها لرشف رُضابها * أدّاه فُوها وهى لا تتمنّع
وكأنها قلبى يضنّ بسرهِ * أبداً ويكتم كل ما يُستودع
يمتاحها ماضى الشباة مذلّقٌ * يجرى بميدان الطروس فيسرع
رِجلاهُ رأسٌ عنده لكنهُ * يلقاه برد حفاهُ ساعة يقطع
وكأنه والحبر يخضب رأسَهُ * شيخ لوصل خريدة يتصنع
لمَ لا ألاحظه بعين جلالةٍ * وبه الى الله الصحائف ترفع

وقال أبو الفتح كشاجم

محبرة جاد لى بها قمرٌ * مستحسن الخلق مرتضى الخلقِ
جوهرة خصّنى بجوهرةٍ * ناطت له المكرمات فى عنقى

بيضاء والحبر فى قرارتها * أسود كالمسك جِدّ منفتق
مثل بياض العيون زيّنهُ * مُسْوَدُّ ما شابه من الحَدَق
كأنما حِبرها اذا نثَرَتْ * أقلامنا ظله على الورق
كحلٌ مَرَته العيون من مُقَلٍ * نُجْل فأوفت به على يقَقِ
خرساء لكنها تكون لنا * عونا على عِلم أفصح النُطُقِ

وقال عبد الله بن أحمد: القلم أمْرَهُ، مالم يكتحل بأثمد الدواه[1]

العلم قبل المال

وكتب ابراهيم بن العباس كتابا فاراد محو حرف فلم يجد منديلا فمحاه بكمه، فقيل له فى ذلك فقال: المال فرع، والعلم أصل، وانما بلغنا هذه الحال، واعتقدنا هذه الاموال، بهذا القلم والمداد، ثم قال

اذا ما الفكر أضمر حسن لفظٍ * وأدّاه الضمير الى العِيانِ
ووشّاه وتممه مسدّ * فصيح بالمقال وباللسان
رأيت حُلَى البيان منوّراتٍ * تَضَاحك بينها صور المعانى

آلات الكتابة

(ألفاظ لاهل العصر فى أوصاف آلات الكتابة والدوِىّ والاقلام)

الدواة من أنفع الادوات، وهى للكتابة عِتاد، وللخاطر زناد — غدير لا يرِده غير الافهام، ولا يمتح بغير أرشية الاقلام[2] — دواة أنيقة الصنعة، رشيقة الصبغة، مسكية الجلد، كافورية الحلية — غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره، وتنشأ سحب البلاغة من قراره — دواة تداوى مرض عُفاتك، وتدوى قلوب

(١) أمره: فسدت عينه من قلة الكحل
(٢) الارشية جمع رشاء وهو حبل الدلو

عداتك ، على مرفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ، ومداد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وألوان دهم الخيل . وهذا من قول ابن الرومى

حبر أبى حفصٍ لُعاب الليلِ * كأنه ألوان دُهْم الخيلِ

قال العاصر : مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه من شرخ الشباب ، وأقلام جمة المحاسن ، بعيدة من المطاعن ، تعاصى الكاسى ، وتمانع الغامز القاسى ، أنابيب ناسبت رماح الخط فى أجناسها ، وشاكلت الذهب فى ألوانها ، وضاهت الحديد فى لمعانها ، كأنها الأميال استواء ، والآجال مَضاء ، بطيئة الحفا ، قوية القوى ، لا يشظيها القط ، ولا يتشعب بها الخط ، أقلام بحرية موشية الليط [1] ، رائقة التخطيط ، قلم معتدل الكعوب ، طويل الأنبوب ، باسق الفروع ، روىّ الينبوع ، هو أولى باليد من البنان ، وأخفى للسر من اللسان ، هو للأنامل مطية ، وعلى الكتابة معونة مرضية ، نعم العدّة القلم ، يقلم أظافير الدهر ، ويملك الاقاليم بالنهى والامر ، ان أردت كان مسجوناً لا يمل الإسار ، وان شئت كان جواداً جاريا لا يعرف العِثار ، لا ينبو إذا نبت الصفاح ، ولا يحجم اذا أحجمت الرماح

قال أبو الفتح كشاجم يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكينا

جسمى من اللهو وآلات الطربْ * ومن عِتادٍ وثراءٍ ونشبْ
ومن مدام ومثانٍ تصطحبْ * وهمة طمّاحة الى الرتب
مجالس مصونة من الرِّيَبْ * معمورة من كل علم وأدبْ
تكاد من حر الحديث تلتهب * شعراً وأخباراً ونحواً يقتضبْ
ولغة تجمع ألفاظ العربْ * وفِقَرا كالوعد فى قلب المحب
أو كتأتّي الرزق من غير طلبْ * أجلْ وحسبى من دِوِىّ تنتخب
محلّيات بلجين وذهَبْ * محبرة يزهى بها الحبر الألب

(١) الليط : القشر

مثقوبة آذانها وفى الثقب * مثل شنوف الخرّد البيض العرب
تضمن قطراً فيه للكتب عُشُب * أسود يجرى بمعان كالشُّهب
لا تنضب الحكمة إلا ان نضب * نيطت الى يُسرى يدىَّ بسبب
كالقُرط فى الجيد تدلّى فاضطرب * تصحبها والاخوات تصطحب
كأنه يودع نبلا من قصب * لم يعلها ريش ولم تحمل عقب
لا تضحك الأوراق حتى ينتحب * ترمى بها يمناىَ أعراض الكتبْ
رمياً متى أقصد به السَّمت أصبْ * ومدية كالعضب ما مسّ القصب
غضبى على الأقلام من غير سَبَبْ * تسطو بها فى كل حين وتثب
وانما ترضيك فى ذاك الغضبْ * فتلك آلاتى وآلاتى تُحَبّ
والظرف فى الآلات مما يستحبّ * لا سيما ما كان منها للأدبْ

عمال المأمون

تظلّم رجل الى المأمون من عامل له فقال : يا أمير المؤمنين، ما ترك لى فضة الا فضها ، ولا ذهباً الا ذهب به ، ولا غلة الا غلها ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا علِقاً الا علقه ، ولا عَرَضاً الا عرض له ، ولا ماشية الا امتشَّها ، ولا جليلا الا أجلاه ، ولا دقيقا الا أدقه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته

قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت نوبة أنوبها فى حرس المأمون فكنت فى نوبتى ليلة فخرج متفقدا من حضر فعرفته ولم يعرفنى ، فقال من أنت قلت عمرو عمّرك الله ، ابن سعيد أسعدك الله ، ابن سلم سلمك الله . فقال تكلؤنا منذ الليلة ؟ قلت الله يكلؤك قبلى ، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين

فقال المأمون

ان أخاك الحق من يسعى معكْ * ومن يضرُّ نفسه لينفعكْ
ومن اذا صرف الزمان صدَعَكْ * بدَّد شمل نفسه ليجمعكْ

الورد والنرجس

وقال على بن العباس الرومى

خجلت خدود الورد من تفضيلهِ * خجلا تورُّدها عليه شاهدُ
لم يخجل الورد المورّد لونهُ * الا وناحله الفضيلةَ عاندُ
للنرجس الفضل المبين اذا بدا * بين الرياض طريفه والتالدُ

وكان ابن الرومى متعصباً للنرجس، كثير الذم للورد، وكتب الى أبى الحسن ابن المسيب

أدرك ثقاتك إنهم وقعوا * فى نرجس معه ابنة العنبِ
فهُمُ بحال لو بصُرت بها * سبّحت من عُجب ومن عَجبِ
ريحانهم ذهب على دُرَرٍ * وشرابهم در على ذهبِ
فى روضة شتوية رضعت * دَرَّ الحيا حلَبا على حلب
واليوم مدجون لُفرّتهُ * فيه بمطلع ومحتجب (١)
ظلت تسامرنا وقد بعثت * ضوأ يلاحظنا بلا لهبِ

كان كسرى أنو شروان مستهتراً بالنرجس، وكان يقول هو ياقوت أصفر، بين درّ أبيض، على زمرد أخضر. نقله بعض المحدَثين فقال

وياقوتة صفراء فى رأس درةٍ * مركبة فى قائم من زبرجدِ
كمثل بهىّ الدرعقد نظامها * نثيرُ فِرندٍ قد أطاف بمسجد
كأن بقايا الطل فى جنباتها * بقية دمع فوق خد مورد

رجع ابن الرومى

فصل القضية أن هذا قائدٌ * زهر الربيع وان هذا طاردُ
شتان بين اثنين هذا مُوعدٌ * بتصرم الدنيا وهذا واعدُ

(١) حرة اليوم شمسه

فاذا احتفظت به فأمتع صاحب * بحياته لو أن حيّا خالد
ينهى النديم عن القبيح بلحظهِ * وعلى المدامة والسماع مساعِدُ
اطلب بعقلك فى الملاح سميهُ * أبداً فانك لا محالة واجـدُ
والورد ان فتشت فرد فى اسمهِ * مافى الملاح له سمىٌّ واحـد
هـذى النجوم هى التى ربّيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهمـا * شبهاً بوالده فذاك المـاجد
أين الخدود من العيون نفاسةً * ورياسة لولا القياس الفاسـد

وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى هذا المذهب وذهبوا الى تفضيل الورد فما دانوه وما استطاعوه . قال احمد بن يونس الكاتب راداً عليه

يا من يشـبّه نرجساً بنواظرٍ * دُعْج تنبـهْ ان فهمك راقدُ
ان القياس لمن يصح قياسـهُ * بين العيون وبينه متباعد
والورد أصدق للخدود حكايةً * فعلام تجحد فضله يا جاحدُ
ملك قصـير عمره مستأهلٌ * تخليـده لو أن حياً خالد
ان قلت ان الورد فرد فى اسمهِ * مافى الملاح له سمىٌّ واحد
فالشمس تفرد باسمها والمشترى * والبدر يُشرك فى اسمه وعطارد
أو قلت إن كوا كبا ربينها * بحيا السحاب كما يربى الوالد(١)
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى * الجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زُهر النجوم تروقنا بضيائها * ولهـا منافع جمـة وعوائد
وكذلك الورد الأنيق يروقنا * وله فضائل جمـة وفوائد
وخليفة ان غاب ناب بنفعهِ * وبنفحه أبدا مقيم راكد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفرّ لوناً منهما * وافطن فمـا يصفر الا الحاسد

(١) حيا السحاب ماؤه

صفات الانوار والازهار

نبذ من النظم والنثر فى صفات النَّور والزهر — قال على بن الجهم

لم يضحك الورد الاحين أعجبهُ * حسن الرياض وصوت الطائر الغَرِدِ
بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها * وراحت الراح فى أثوابها الجُدُد
وقابلته يد المشتاق تُسنِدُهُ * الى الترائب والاحشاء والكبد
كأن فيه شفاءً من صبابتهِ * أو مانعاً جفن عينيه من السُّهُد
بين النديمين والخلين مصرعُهُ * وسيره من يد موصولةٍ بيدِ
ما قابلت طلعة الريحان طلعتَهُ * الا تبينت فيه ذلة الحسدِ
قامت بحجته ريح معطرةٌ * تشفى القلوب من الأوصاب والكمد
لا عذب الله الا من يعذبهُ * بسمع بارد أو صاحب نكِدِ

وصف الورد

وكان أزدشير بن بابك يصف الورد ويقول : هو در أبيض، وياقوت أحمر ، على كراسى زبرجد أخضر ، وتوسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الخمر ، ونفحات العطر . أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال

كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرّدٌ وسْطَه شَذْر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن * من خمرة مَزة كالجمر فى اللهب (١)

المتوكل وابن الضحاك

وقال يزيد المهلبى أحب المتوكل ان ينادم الحسين بن الضحاك الخليع البصرى وأن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع: اسقه ، فسقاه وحيّاه بوردة ، وكانت على شفيع أثواب موردة ، فمد الحسين يده الى درع شفيع ، فقال المتوكل : أتخمش غلامى بحضرتى ؟ كيف لو خلوت به ! ما أحوجك ياحسين الى أدب! وكان المتوكل غمز

(١) مزة : لذيذة الطعم

شفيعا على العبث به ، فقال الحسين ياسيدى أريد دواة وقرطاسا ، وأمر له بهما فكتب

وكالوردة البيضاء حيّا بأحمر * من الورد يسعى فى قراطق كالوَرْدِ
له عبثاتٌ عند كل تحيةٍ * بكفّيه يستدعى الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربةً * تذكرنى ماقد نسيت من العهد
سقا الله عيشا لم أنم فيه ليلةً * من الدهر إلا من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة الى شفيع ، وقال ادفعها الى مولاك ، فلما قرأها استملحها ، وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بحياتى ياشفيع الا كنت ساقيه بقية يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف ، قال يزيد المهلبى فصرت الى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقلت : ويحك أتدرى ما صنعت ؟ قال لا أدع عادتى بشئ ، وقد قلت بمدك

لا رأى عطفة الأحـ * ـة من لا يصرحُ
أصغر الساقيين أشـ * ـكل عندى وأملح
لو تراد كالظبى يسـ * ـنح طوراً ويبرحُ
خِلْت غصنا على كثيـ * ـب بنَور يُوَشّح

قال الصولى وكان الاول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف

بيضاء فى حمر الثياب كوردةٍ * بيضاءَ بين شقائق النعمانِ
تهتز فى غيَد الشباب اذا مشت * مثل اهتزاز نواعم الاغصانِ

أبو بكر الصولى

قال أبو بكر الصولى كان عند الخصى الوزير ظبى داجن ربيب فى داره فعمد الى نيلوفرفأ كله فاستملح الغزال وأنسه وقال : لو عمل فى أنس هذا الغزال وفعله بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله ابراهيم بن محمد ابن عرفة نِفطويه فبادر لئلا يسبق وعمل أبياتا أولها

جرت ظبية غناء ترعى بروضةٍ * تنوش لدى أفنانها ورقا خُضْرا

فى أبيات غير طائلة ، فاستبرد ما أتى به، قال الصولى فقلت

ونَيلُوفرٍ يحكى لنا المسكَ طيبُهُ * تراه على اللذات أفضل مسعدِ
قداجتن خوف الحادثات بجنةٍ * تروق كثوب الراهب المتعبد
تركب كالكاسات فى ذهبيةٍ * على قُضُب مخضرة كالزبرجدِ
وألبِس ثوبا يفضل اللحظ حسنهُ * كما عبثت عين بخد مورد
غذته أهاضيب السماء بدرّها * تروح عليه كل يوم وتغتدى
تلبّس الأنوار ثوب سمائهِ * ففضل عنه الحسن فى كل مشهد
وفى وسطه منه اصفرارٌ يَزينهُ * كياقوتة زرقاءَ فى رأس عَسْجَدِ
أطاف به أحوى المدامع شادنٌ * حكى طرف من أهوى وحسن المقلّدِ
كما أخذ الظمآنُ بالفم كأسَهُ * ولم يستعن فى أخذه الكاس باليدِ

محمد بن وكيع

وقال أبو الحسن محمد بن على بن وكيع

يومٌ أتاك بوجهه المتهلل * ناهيك من يوم أغرَّ محجّلِ
خلع الغمام على اخضرار سمائهِ * خلعا فبين مُمَسّكٍ ومُصَنْدَلِ
وكسا الرُّبى حللا تخالف شكلها * بمورَّد ومُعَصفرٍ ومكحّلِ
وتمايلت فيه قدود غصونهِ * من شرب كاسات العيون الهُطّلِ
وعلا على الاشجار قطر سمائها * فهدت لعين الناظر المتأملِ
يحكى قباب زمرد قد كللت * بمنظّم من لؤلؤ ومفصّلِ
وأتاك نَور الباقلاءِ كأنما * يرنو اليك بعين أكحلَ أقبلِ
الورد يخجل كل نور طالع * وتراه منتقبا بحمرة مخجلِ
وحكى بياض الطلع فى كافورهِ * وجه الخريدة فى الخمار الصندلى
فكأنما الدنيا عروسٌ أقبلت * فى كل أنواع الملابس تجتلى
فاشرب معصفرة القميص سلافةً * من صنعة البَردَان أو قطربُلِ

أبو الفتح البستى

وقال أبو الفتح البستى

يومٌ له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلامِ
فالبرق يخفق مثل قلب هائمٍ * والغيم يبكى مثل طرفٍ هامِ
وكأن وجه الارض خدَّمتيم * وُصِلت سِجامُ دموعه بسجام
فاطلب ليومك أربعاً هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام
وجه الحبيب ومنظرا مستشرقا * ومغنيا غرِداً وكأس مدام

أبو الفضل الميكالى

وقال الامير أبو الفضل الميكالى

ملَّ الربيعُ على الشتاءِ صوارماً * تركته مجروحا بلا إغمادِ
وبكت له عين السماء بأدمع * ضحكت لساجمها ربى الانجاد
وبدت شقائقها خلال رياضها * تُزهى بثوبَىْ حُمرة وسواد
فكأنما بنت الشتاء توجعت * لمُصابه كشقيقة الأولادِ
فقنوء حمرتها خضاب نجيعهِ * وسواد كسوتها لباس حدادِ

وقال

تصوغ لنا كف الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت * خدود عذارى نُقِّطت بغوالى

وقال

كأن الشقائق اذ أبرزت * غلالة داد وثوبا أحم
قطاع من الجمر مشبوبةٌ * فأطرافها لُمَعٌ من حَمَم

وقال فى حديقة ريحان

أعددت محتفلا ليوم فراغي * روضا غدا انسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنهُ * فيه لكأس الانس أىّ مساغ
فاذا بدت قضبان ريحان بهِ * حيت بمثل سلاسل الاصداغِ

وقال فى النرجس

أهلا بنرجس روضٍ * يزهى بحسن وطيبِ
يرنو بعين غزالٍ * على قضيبٍ رطيبِ
وفيه معنى خفى * يزينه للقلوبِ
تصحيفه ان نسقت الـ * حروف بر حبيبِ

وقال

وماضم شمل الانس يوما كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العُذرِ (١)
فأحداقه أحداق تبرٍ وساقهُ * كقامة ساقٍ فى غلائله الخضرِ

البحترى

وقال البحترى

سقى الغيثُ اكنافَ اللوى من محلةٍ * الى الحقف من رمل اللوى المتقاودِ
ولازال مخضر من الروض يانعٌ * عليه بمحمر من النَّور حاسدِ
شقائق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائدِ
ومن لؤلؤ فى الاقحوان منظمٍ * ومن نُكَتٍ مصفرة كالفرائدِ
كأن جنى الحوذان فى رونق الضحى * دنانير تبرٍ من تُوام وفاردِ
رباع تردّت بالرياض مجوُدَةً * بكل جديد الماء عذب الموارد (٢)
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد

(١) العذر : جمع عذار (٢) تردت بالرياض : اتخذت منها رداء

فى مجلس المبرد

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه قال لى البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة: أشعرت انى سبقت الناس كلهم الى قولى

شقائق يحملن الندى فكأنهُ * دموع التصابى فى خدود الخرائدِ

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد

هكذا أنشد. فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه، وقال: ماسمعت مثل هذه الالفاظ الرطبة، والعبارة العذبة، لأحد تقدمك ولا تأخر عنك. فاعترته أريحية جرّ بها رداء العُجب، فكأنه أعجبنى ما يعجب الناس من مراجعة القول. فقلت يا أبا عبادة لم تسبق الى هذا، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب الى البيت الأول بقوله

عَذُبَ الفراق لنا قُبيل وداعنا * ثم اجترعناهُ كسمّ ناقعِ

وكأنما أثر الدموع بخدها * طَلٌّ تساقط فوق ورد يانعِ

وشركك فيه صديقنا أبو العباس الناشى بما أنشدنيه آنفا

بكت للفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لبعد الديارْ

كأن الدموع على خدها * بقية طل على جُلّنار

وما أساء على بن جريج بل أحسن فى زيادته عليك بقوله

لو كنت يوم الوداع شاهدنا * وهنّ يطفين غُلة الوجْدِ

لم تر إلاّ دموع باكيةٍ * تسفح من مقلةٍ على خدِ

كأن تلك الدموع قطر ندى * يقطر من نرجس على ورد

وسبقك أبو تمام الى معنى البيتين معا بقوله

من كل زاهرة ترقرق بالندى * فكأنها عين اليه تحدّرُ

تبدو ويحجبها الجميم كأنها * عَذْراء تبدو تارة وتخفّر (١)

---

(١) الجميم: النبت الغزير

خلق أطل من الربيع كأنهُ * خلق الامام وهَدْيهُ المتنشّرُ
فى الارض من عدل الامام وجودهِ * ومن الربيع الغضّ سَرح يزهر (١)
يُنسى الربيعَ وما يروّض جودهُ * أبدا على مر الليالى يذكر

قال فشق ذلك عليه ، وحل حبوته ونهض ، فكان آخر عهدى بمؤانسته ، وغلظ ذلك على محمد بن يزيد وقدح ذلك فى حالى عنده

الهيثم بن عثمان الغنوى

وقال البحترى يمدح الهيثم بن عثمان الغنوى

ألست ترى مدَّ الفرات كأنهُ * جبال شدورى جنّ فى البحر عُوَّما
وما ذاك من عاداته غير أنهُ * رأى شيمةً من جاره فتعلما
وقد نبّه النوروز فى غبش الدجا * أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما
يُفتّحها برد الندى فكأنهُ * يبث حديثاً بينهنَّ مكتّما
ومن شجر ردَّ الربيع لباسهُ * عليه كما نشّرت بُرداً منمنما
أحلّ فأبدى للعيون بشاشةً * وكان قذًى للعين مُذ كان مُحرِما
فما يمنع الراح التى أنت خلها * وما يمنع الأوتار أن تترنما
وما زلت خِلاًّ للندامى اذا اغتدوا * وراحوا بدوراً يستحثون أنجما
تكرّمت من قبل الكؤس عليهمُ * فما اسْطَعن أن يحدثن فيك تكرما

الطيور فى الربيع

وقال

حيتك عنا شَمال طاف طائفها * بجنة فجرت راحا وريحانا
هبت سُحيراً فناجى الغصن صاحبهُ * سِرًّا بها وتداعى الطير إعلانا
ورُق تغنى على خضر مهدَّلةٍ * تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طربٍ * والغصن من هزه عطفيه نشوانا

(١) السرح : كل شجر طال

ابن المعتز

ولابن المعتز فى أرجوزته البستانية التى ذم فيها الصبوح صفة جامعة إذ قال

أماترى البستان كيف نوّرا * ونشر المنشور برداً أصفرا
وضحك الورد إلى الشقائقِ * واعتنق الورد اعتناق الوامقِ
فى روضة كحلية العروسِ * وحرم كهامة الطاوسِ
وياسمين فى ذرى الاغصانِ * منظم كقطَع العقيانِ
والسَّرْوُ مثل قصب الزبرجد * قد استمد الماء من تُربٍ ندِ
على رياض وثرًى ندىٍّ * وجدول كالبَرَد الحلىِّ
وفرج الخشخاش جيباوفتق * كأنه مصاحفٌ بيض الورق
أو مثل أقداح من البلورِ * تخالها تجسّمت من نورِ
وبعضه عريان من أثوابهِ * قد خجل اليابس من أصحابهِ
تبصره عند انتثار الوردِ * مثل الدبابيس بأيدى الجند
والسوسن الآزاد منشور الحلل * كقطن قد مسه بعض بلل
نوّر فى حاشيتى بستانهِ * ودخل الميدان فى ضمانهِ
وقد بدت فيه ثمار الكنكر * كأنها جماجم من عنبرِ
وحلّق البهار بين الآسِ * جمجمة كهامة الشماسِ
خلال شيح مثل شيب النصف * وجوهر من زهر مختلف
وجلنار كاحمرار الوردِ * أو مثل أعراف ديوك الهندِ
والأقحوان كالثنايا الغرِّ * قد صقلت أنواره بالقطرِ

كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم

وروضٍ عن صنيع الغيث راضٍ * كما رضىَ الصديق عن الصديقِ
اذا ما القطر أسعده صَبُوحا * أتمّ له الصنيعة فى الغَبُوقِ
يعير الريح بالنفحات ريحاً * كأن ثراه من مسكٍ فتيقِ
كأن الطل منتشراً عليهِ * بقايا الدمع فى الخد المشوق
كأن غصونه سُقيت رحيقاً * فمالت مثل شُرَّاب الرحيق
كأن شقائق النعمان فيهِ * مخضّرةً شقائق من عقيق
يذكرنى بنفسجه بقايا * صنيع اللطم فى الخد الرقيقِ

وقال :

غيث أتانا مؤذناً بالخفضِ * متصل الوَبْل سريع الرَكْضِ
دنا فخلناه دُوَيْن الأرض * متصلا بطوله والعَرْض
إلْفا إلى إلْفٍ بسر يُفضى * ثم سما كاللؤلؤ المُرْفضّ
فالأرض تجلى بالنبات الغضّ * فى حَلْيها المحمرّ والمبيضّ
من سَوْسَنٍ أحوى ووردغضِ * مثل الخدود نقشت بالعضِ
وأقحوان كاللجين المحضِ * ونرجس زاكى النسيم بضِ
مثل العيون رنّقت للغمضِ * ترنو فيغشاها الكرى فتغضى

أبو فراس

جملة من هذا النوع لأهل العصر — قال أبو فراس الحمدانى

وجُلّنارٍ مشرقٍ * على أعالى شجرِهْ
كأنّ فى رؤسهِ * أحمرِهِ واصفِرِهْ
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

وقال :

ويوم جلا فيه الربيع رياضهُ * بأنواعِ حَلْى فوق أثوابه الخُضْر
كأن ذيول الجلنار مطلةً * فضول ذيول الغانيات من الازر

ابن هانيء

وقال أبو القاسم بن هانىء يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدها

وبنت أيك كالشباب النضْرِ * كأنها بين الغُصُون الخُضر
جَنان باز أو جنان صقَرِ * قد خفقته لَقْوة بوكر
كأنما سَحَّت دماً من نحْرِ * أو نبتت فى تربة من جَمْرِ
أو سقيت بجدول من خَمْرِ * لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت كمثل النهد فوق الصدر * تفترّ عن مثل االلثات الحمرِ

فى مثل طعم الوصل بعد الهجر

أوصاف الرياض

ولهم فى هذا المعنى — روضة رقت حواشيها ، وتأنق واشيها — روضة كالعقود المنظمة ، على البرود المنمنمة — روضة قد راضتها كف المطر ، ودبجتها أيدى الندى — أخرجت الأرض أسرارها ، وأظهرت يد الغيث آثارها ، وأبدت الرياض أزهارها — الرياض كالعرائس فى حليها وزخارفها ، والقيان فى وشيها ومطارفها ، باسطة زرابيها وانماطها ، ناشرة حبراتها ورياطها ، زاهية بحمرائها وصفرائها ، تائهة بعيدانها وغدرانها ، كانما احتفلت لوفد ، أو هى من حبيب على وعد — روضة قد تضوعت بالارج الطيب أرجاؤها ، وتبرجت فى ظلل الغمام صحراؤها ، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها — بستان رق نوره النضيد ، وراق عوده النضير — بستان عوده خضر ، ونوره

نضر ، وينعه خضل، وماؤه خصر — بستان أرضه للبقل والريحان ، وسماؤه للنخل والرمان — بستان أنهاره مفروزة بالازهار ، وأشجاره موقرة بالثمار — أشجار كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحلتها عقودها — الربيع شباب الزمان ، ومقدمة الورد والريحان — زمن الورد مرموق ، كأنه من الجنة مسروق — قد ورد كتاب الورد ، باقباله الى أهل الود — اذا ورد الورد ، صدر البرد — مرحباً باشراف الزهر ، فى أطراف الدهر ، وأنشد

سقى الله ورداً صار خدّ ربيعنا * فقد كان قبل اليوم ليس له خدّ

كأن عين النرجس عيْن ، وورقه ورق [1] * النرجس نزهة الطرف ، وظرف الظرف ، وغذاء الروح * شقائق كتيجان العقيق على رؤوس الزنوج ، كأنها أصداغ المسك على الوجنات الموردة * شقائق كالزنوج تجارحت وسالت دماؤها ، وضعفت فسال ماؤها * كأن الشقيق جام من عقيق أحمر ، ملئت قرارته بمسك أذفر * الارض زمردة والاشجار وشى ، والماء سيوف والطيور قيان — قد غردت خطباء الاطيار ، على منابر الانوار والازهار * اذا صدح الحمام ، صدع الحمام ، قلب المستهام * انظر الى طرب الاشجار ، لغناء الاطيار * ليس للبلابل [2] كغناء البلابل ، وخمر بابل

أيام الربيع

(ولهم فيما يتعلق بهذا النحو فى وصف أيام الربيع)

يوم سماؤه فاختية ، وأرضه طاوسية — يوم جلابيب غيومه رواق ، وأردية نسيمه رقاق — يوم ممسّك السماء ، معصفر الهواء ، معنبر الروض ، مصندل الماء — يوم زُر عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب — يوم سماؤه كالخز الادكن ، وأرضه كالديباج الاخضر

(١) العين الذهب ، والورق الفضة (٢) البلابل الاشجان

شادنٌ يرتعى القلوب ببغدا * دَ ولا يرتعى الكلا بالنباجِ
أقبلت والربيع يختال فى الرو * ض وفى المزن ذى الحيا الثجَّاجِ
ذو سماءٍ كأدكن الخز قد غيـ * ـمت وأرض كاخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يتمنى * موعد الكند خذاة والهيلاج
فظللنا فى نزهتين وفى حسـ * ـنين بين الارمال والاهزاج
بفناة تسرنا فى المثانى * وعجوز تسرنا فى الزجاج
أخذت من رؤس قوم كرام * ثارها عند أرجل الاعلاج

يوم حسن الشمائل، ممتع المخايل ، سجسج الهواء، مونق الارجاء — يوم تبسم عنه الربيع ، وتبرج عنه الروض المريع — يوم كأن سماءه مأتم تتباكى، وأرضه عروس تتجلى — يوم مشهر الأوصاف ، أغر الاطراف — يوم يغفى فيه النور وينتبه ، وتسفر فيـه الشمس وتنتقب ، وتعتنق الغصون وتفترق ، ويوشى الغيم وينسكب — يوم غاب نحسه وهوى ، وطلع سعده واعتلى ، والزمان ساقطة جماره ، مفعمة أنهاره ، مونقة أشجاره ، مغردة أطياره — نحن فى غب سماء ، قد أقلعت بعد الارتواء ، واقشعت عند الاستغناء ، فالنبت خضلٍ ممطور ، والنقع ساكن محصور — يوم جوه طارونى ، وأرضه طاوسى — يوم دجنه عاكف ، وقطره واكف — يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر

الربيع والرفاق

﴿ ولهم فى تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الاخوان والسادة ﴾

غيث متشبه بكفك ،واعتداله مضاءٍ لخلقك ، وزهره موازٍ لنشرك ، كأنما استعار حلـله من شيمتك ، وحليه من سجيتك ، واقتبس أنواره من محاسن أيامك ، وأمطاره من جودك وانعامك * قدم الربيع منتسبا الى خلقك ، مكتسيا محاسنه من طبعك ، متوشحا بأنوار لفظك ، متوضحا بآثار لسانك ويدك *

أنافى بستان أذكرنى ورده المفتّح بخلقك ، وجدوله السابح بطبعك، وزهره الجنى بقربك — أنا فى بستان كأنه من شمائلك سُرق ، ومن خُلُقك خلق ، وقدقابلتنى أشجار تمايل ، فتذكرنى تبريح الأحباب ، اذا تداولتهم أيدى الشراب ، وأنهار كأنها من يدك تسيل ، ومن راحتيك تفيض — أنا على حافة حوض أزرق كصفاء مودتى لك ، ورقة قولى فى عتبك

الصوم فى الربيع

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصوم فى الربيع فهلا اختتا رَ رُبْعا من سائر الارباعِ
وكأن الربيع فى الصوم عِقْدٌ * فوق نحرٍ غطّاه فضل قِناعِ

يوم الشك

وكتب أبو الفتح كشاجم الى بعض اخوانه يستدعيه الى زيارته فى يوم شك

هو يوم شك يا علىُّ * وبِشرهُ مُذْ كان يُحْزَرْ
والجوّ حلته ممسّـــكة ومِطْرَفه مُعنبر
والماء فضى القميـ * ـص وطيلسان الأرض أخضر
نبت يصعّد زهرهُ * فى الروض قطر ندًى تحدّر
ولنا فضيلات تكو * ن ليومنا قوتا مقدّر
ومدامة صفراء أد * رك عمرها كِسْرى وقَيْصر
فانشط لنا لنحث من * كاساتنا ما كان أكبر
أوْلا فانك جاهلٌ * ان قلت انك سوف تعذر

شهر رمضان

وكتب بديع الزمان الى بعض أهل همدان : كتابى أطال الله بقاك عن شهر رمضان ، عرّفنا الله بركة مقدمه ، ويمن مختتمه ، وخصك بتقصير أيامه ، واتمام صيامه وقيامه ، فهو وان عظمت بركته ، ثقيل حركته ، وان جل قدره ، بعيد قعره ، فان حسن وجهه فليس يقبح قفاه ، وما أحسنه فى القذال ، وأشبه ادباره بالاقبال ، جعل الله قدومه سبب ترحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكا ، بتقضّى مدته وشيكا ، وأظهر هلاله نحيفا ، ليزف الى اللذات زفيفا ، وعفا الله عن مزح يكرهه ، ومجون يسخطه

كلمة ابن العميد

عوّل البديع فى هذا الكلام على قول أبى الفضل بن العميد فى رسالة له فى مثل ذلك : أسأل الله أن يعرفنى بركته ، ويلقينى الخير فى باقى أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه فى أن يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد علىّ غرة شوال ، فهى أسنى الغُرر عندى ، وأقرها لعينى ، ويطلع بدره ، ويرينى الأيدى متطلبة هلاله ببشر ، ويسمعنى النعى لشهر رمضان ، ويعرض علىّ هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأبلى من أسير الهجر ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلت ان كرهه ، وأستعفيه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفوا يوسعه ، انه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور

طاهر بن الحسين

قال المأمون لطاهر بن الحسين :صف لى أخلاق المخلوع ، قال : كان واسع الصدر ، ضيق الأدب ، يبيح من نفسه ما تأنفه همم الاحرار ، ولا يصغى الى نصيحة ، ولا يقبل مشورة ، يستبدّ برأيه ، ويُبَصَّر سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهم به . قال فكيف كانت حروبه ؟ قال: كان يجمع الكتائب بالتبذير ، ويفرقها بلاتدبير. فقال المأمون: لذلك حل ما حل به ، أما والله لو ذاق لذات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه عن شهواتها ، لما ظفر به

الامين والمأمون

ولما عقد الرشيد البيعة للأمين وهو أصغر من المأمون لأجل أمه زبيدة ، وكلام أخيها عيسى بن جعفر ، وقدّمه على المأمون ، جعل يرى فضل عقله فيندم على ذلك فقال :

لقد بان وجهُ الرأى لى غير أننى * غُلبت على الأمر الذى كان أحزما
فكيف يُرَد الدَّر فى الضَّرع بعدما * توزَّع حتى صار نَهباً مقسّما
أخاف التواء الأمر بعد استوائهِ * وان يُنقض الحبل الذى كان أُبرما

الفضل بن الربيع

قال أسد بن يزيد بن مزيد: بعث الىَّ الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الانبارى ، قال فأتيته وهو فى صحن داره ، وفى يده رقعة قد غضب لما نظر فيها ، وهو يقول : ينام نوم الظربان ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ، لا يفكر فى زوال نعمة ، ولا يتروّى فى إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد شمر له عبد الله عن ساقه ، وفوّق له أشد سهامه ، يرميه على بعد الدار ، بالحتف الناقر

والموت القاصر ، قد عبَّى له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلاء فى أسنة الرماح وشفار السيوف ، ثم تمثل بشعر البعيث

يقارع أتراك ابن خاقان ليلهُ * الى أن يرى الإصباح لا يتلعثمُ
فيصبح فى طول الطراد وجسمهُ * نحيل وأضحى فى النعيم أصمّم
فشتان ما بينى وبين ابن خالدٍ * أمية فى الرزق الذى الله يقسم

ثم قال ياأبا الحارث أنا وأنت نجرى الى غاية ان قصرنا عنها ذممنا ، وان اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا ، وانما نحن شعبة من أصل ان قوى قوينا ، وان ضعف ضعفنا ، ان هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء ، يشاور النساء ، ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ، فهم يمنونه الظفر ، ويعدونه عواقب الأيام ، والهلاك اليه أسرع من السيل ، الى قيعان الرمل ، وقد خشيت أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ، وأنت فارس العرب ، وابن فارسها ، وقد فزع اليك فى لقاء طاهر لامرين: أحدهما صدق طاعتك ، وفضل نصيحتك ، والثانى يُمن نقيبتك ، وشدّة بأسك ، وقد أمرنى ان أبسط يدك ، غير ان الاقتصاد رأس النصيحة ، ومفتاح البركة ، فبادر بما تريد ، وعجل النهضة ، فانى أرجو أن يوليك الله شرف هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة ، فقلت له أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مقدم ، ولما وهّن عدوكما مؤثر ، غير ان المحارب لا يفتتح أمره بتقصير ، وانما ملاك أمره بالجنود ، والجنود لا تكون بلا مال ، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائب الى قوم لم يُجدوا عليه ، ومتى سُمت من أقدر على الانتفاع به ، الرضى بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك التدبير ، وأحتاج لأصحابى رزق سنة قبضا ، وحملا الى الف فرس ، لحمل من لا أرتضى فرسه ، والى مال أستظهر به لا ألام على وضعه حيث رأيت ، فقال شاور أمير المؤمنين ، فأدخلنى عليه فلم تدر بينى وبينه كلمتان حتى أمر بحبسى. ويروى أن الأمين لما أعيته مكائد طاهر قال

بُليت بأشجع الثقلين نفساً * تزول الراسيات وما يزولُ
له مع كل ذى بدنٍ رقيب * يشاهده ويعلم مايقول
فليس بمغفل أمراً عناهُ * اذا ما الامر ضيعه الجهولُ

وفى الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء

كم من مقيم ببغداد على طمعٍ * لولا رجاء أبى العباس لم يُقِمِ
البدر ان نظروا والبحر ان رغبوا * والحصن ان رهبوا والسيف ذو النقم

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : مامدحنا شاعر بشعر أحب الينا من قول أبى نواس

ساد الملوك ثلاثةٌ مامنهمُ * ان حُصِّلوا الا أعز قريعُ
سادالربيعُ وساد فضلٌ بعدهُ * وعلت بعباس الكريم فروعُ
عباسٌ عباسٌ اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وقيل للعتابى أمدحت أحداً ؟ قال لا، وليس لى على ذاك قدرة . فقيل له فقد مدحت الربيع ، فقال ذلك ليوم يستحق فيه المدح فقلت

ومعضلةٍ قام الربيع ازاءها * ليعمد ركن الدين لما تهدما
بمكة والمنصور رهن كما أتى * أخا الوحي داعى ربه فتقدما
غداةَ عداةُ الدين شاحذةُ المُدى * اليه وغول الحرب فاغرةٌ فما

اخذ البيعة للمهدى

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاج فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فأخذ الربيع للمهدى البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها على المنصور ، على انه حى ، وأدخل اليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جلله بثوب ، وأقعد الى جنبه من يحرك يده وكأنه يومى بها اليهم ، فلم يشكوا فى حياته ، فما خالف أحد ، فشكره المهدى لذلك ، وفى ذلك يقول أبو نواس فى مدحه الفضل بن الربيع

أبوك جلّى عن مضر * يوم الرواق المحتضر
والحرب تفرى وتذر * لما رأى الأمر اقمطر
قام كريما فانتصر * كهزة العضب الذكر
ما مس من شىء هبَر * وأنت تقتاف الاثر
من ذى حُجول وغُرر

وقال أيضا : آل الربيع فضلتمُ * فضل الخميس على العِشير (١)
من قاس غيركمُ بكم * قاس الثماد الى البحور
أين القليل بنو القلي * ل من الكثير بنى الكثير
أين النجوم التاليا * ت من الأهلة والبدور
قوم كفوا أيام مكة نازل الخطب الكبير
وتدار كوا نصر الخلا * فة وهى شاسعة النصير
لولا مقامُهم بها * هوت الرواسى من ثبير

ومن قول أبى نواس : من قاس غيركم بكم البيت، أخذ أبو الطيب المتنبى :

قواصد كافور توارك غيرهِ * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فتًى ما سرينا فى ظهور جدودنا * الى عصره الا نُرجّى التلاقيا

كلمات الفضل بن الربيع

وقال الفضل بن الربيع: من كلم الملوك فى الحاجات فى غير وقت الكلام لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم فى ذلك الا بأوقات الصلوات لا تقبل الصلاة الا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك فى شىء فليرصد الوقت الذى يصلح فى مثله ذكر ما أراد ، ويسبب له شيئا من الاحاديث يحسن ذكره بعقبه (وقال) المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان فى حقى عليك ، وحق آبائى

---

(١) الخميس : الخمس ، والعشير : العشر

ونعمهم عند أبيك وعندك . أن تعلمنى [illegible] ، وتحرض على دمى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان عذرى يُحْتِدُك اذا كان واضحا جميلا ، فكيف اذا حفَّته العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عنى من عفوك ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك

صَفوحٌ عن الاجرام حتى كأنهُ * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذى * اذا ما الأذى لم يغشَ بالكره مسلما

والشعر للحسن بن رجاء بن أبى الضحاك :

المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع فقال سلنى ما تريد . فقد سكت ، حتى نطقت ، وخففت ، حتى ثقلت ، وأقللت ، حتى أكثرت . فقال والله يا أمير المؤمنين ما أرهب بخلك ، ولا أستقصر عمرك ، ولا أستصغر فضلك ، ولا أغتنم مالك ، وان يومى بفضلك على أحسن من أمسى ، وغدك فى تأميلى أحسن من يومى ، ولو جاز أن يشكرك مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقنى لذلك أحد . قال صدقت ، علمى بهذا منك أحلك هذا المحل ، فسلنى ما شئت ، قال أسألك ان تقرب عبدك الفضل ، وتؤثره وتحبه . قال : يا ربيع ، ان الحب ليس بمال يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وانما تؤكده الأسباب . قال فاجعل لى طريقا اليه بالتفضل عليه ، قال صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحداً غير عمومتى ، لتعلم ماله عندى ، فيكون منه ما يستدعى به محبتى ، ثم قال فكيف سألت له المحبة يا ربيع ؟ قال لانها مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر ، تستر بها عندك عيوبه ، وتصير حسناتٍ ذنوبه . قال صدقت وأتيت بما أردت فى بابه

أخذ قوله خففت حتى ثقلت أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات

على ان افراط الحياء استمالنى * اليك ولم أعدل بعرضى معْدِلا
فثقلت بالتخفيف عنك وبعضهم * يخفف فى الحاجات حتى يثقلا

سهل بن هارون والرشيد

ودخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مُرْبِيا على امسه ، مقصراً عن غده . فقال له الرشيد : ياسهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لم يعجزه القول . فقال سهل ابن هارون يا أمير المؤمنين ما ظننت ان أحداً تقدمنى الى هذا المعنى ، قال بل اعشى همذان حيث يقول

رأيتك أمس خير بنى لؤىٍّ * وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ
وأنت غداً تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

شعر الفضل بن الربيع

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى

انى امرؤ من هـاشم * بفِناءِ معـمور النواحى
أهل الهدى وذوى التقى * واولى البسالة والسماح
أهل المعالم والمـكا * رم فى المساء وفى الصباح
أهل النبوّة والخـلا * فة والكمال برغم لاحِى
يتألمون من الصـدو * د ويصبرون على الجراح

أبو العيناء وابن خاقان

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان ابا العيناء على دابة زعم انها غير فاره ، فكتب اليه: أُعلم الوزير اعزالله ان ابا على محمدا اراد ان يبرنى فعقنى ، وأن يركبنى فأرجلنى ، امر لى بدابة تقف للنبرة ، وتمشر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفا ، وكالعاشق المهجور دنفا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ، والمجنون العامرى ، مساعد أعلاه لأسفله ، حِباقُه مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ،

ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما فى الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، وتتناغى من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول نوّله الشعير ، قد حفظ الاشعار ، وروى الاخبار ، ولحق العلماء فى الأمصار ، فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجحفى ، وعامر الشعبى ، وانما أتيت من كاتبه الأعور ، الذى اذا اختار لنفسه أطاب وأكثر وان اختار لغيره أخبث وأنزر ، فان رأى الوزير أن يبدلنى به ، ويريحنى منه ، بمركوب يضحكنى كما ضحكّ منى ، يمحو بحسنه وفراهته ، ماسطره العيب بقبحه ودمامته ! ولست اذكر أمر سرجه ولجامه ، فان الوزير أكرم من أن يسلب مايهديه ، أو ينقض مايمضيه . فوجه عبد الله اليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه فقال عبيد الله شكوت دابة محمد ، وقد أخبرنى الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لايشتكى . فقال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وانى واياه لكما قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فضحك عبيد الله وقال حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة

طرفة أدبية

﴿ قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي عن أبى العباس بن سابور المستخرج الى الخير بن مبرة عن رقعة وردت منه فى صفة حمل أهداد ﴾

وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وعبارة مصيبة ومعان غريبة ، واتساع فى البلاغة يعجز عنه عبد الحميد فى كتابته ، وقس وسحبان فى خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب فى وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ؛ الا ان الفعل قصر عن القول ، لانك

ذكرت حَمَلا ، جعلته بصفتك جملا ، فكان المعيدى الذى تسمع به ولا أن تراه وحضر فرأيت كبشا متقادم الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح فى سفينته ، وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دمامته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلا ضئيلا ، بالياً هزيلا ، بادى السقام ، عارى العظام ، جامعاً للمعايب ، مشتملا على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ، وتأتّى الحركة فيه ، لانه عظم مجلد ، وصوف ملبّد ، لايجد فوق عظامه سلَبا ، ولا تلقى يدك منه الا خشبا ، لو ألقى الى السبع لأباد ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، قد طال للكلأ فقده ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير القت الا نائما ، ولا عرف الشعير إلا حالما ، وقد خيرتنى بين أن اقتنيه ، فيكون فيه غنى الدهر ، أوأذبحه : فيكون فيه خصب الرحل ، فملت الى استبقائه لما تعرف من محبتى فى التوفير ، ورغبتى للتثمير ، وجمعى للولد ، وادخارى للعتد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ، لانه ليس بأنثى فتحمل ، ولا بفتى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى ، فملت إلى الثانى من رأييك ، وعولت على الآخر من قوليك ، وقلت أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال ، فأنشدنى وقد أضرمت النار ، وحُدّت الشفار ، وشمر الجزار

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً * ان تحسب الشحم فيمن شحمه وَرَمُ

وقال : ما الفائدة لك فى ذبحى ، وأنا لم يبق منى إلا نَفَس خافت ، ومقلة انسانها باهت ، لست بذى لحم ، فأصلح للأكل ، لأن الدهر قد أكل لحمى ، ولا جلدى يصلح للدباغ ، لان الأيام قد مزقت أدَمى ، ولالى صوف يصلح للغزل ، لان الحوادث قد حصّت وبرى ، فان أردتنى للوقود فكف بعر أبقى من نارى ، ولن تفى حرارة جمرى بريح قتارى ، فلم يبق الا أن تطلبنى بذَحل ، أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقاً فى مقالته ، ناصحاً فى مشورته ، ولم أعلم من أى أمريه أعجب

أمن مماطلته للدهر بالبقاء ، أم صبره على الضر واللاواء . أم قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره . ويا ليت شعرى اذ كنت وإليك سوق الغنم ، وأمرك ينفذ فى الضأن والمعز ، وكل كبش سمين ، وحمل بطين ، مجلوب اليك ، مقصور عليك ، تقول فيه قولا فلا ترد ، وتريده فلا تصد ، وكانت هديتك هذا الذى كأنه ناشر من القبور ، أو قائم عند النفخ فى الصور ، فما كنت مهديا لو أنك رجل من عرض الكتاب ، كأبى على وأبى الخطاب ، ما كنت تهدى إلا كلبا أجرب ، أو قرداً أحدب

شاة سعيد بن أحمد

وقال الحمدونى فى شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذ

أسعيد قد أعطيتنى أضحيةً * مكثت زمانا عندكم ماتطعَمُ
نِضواً تعاقرت الكلاب بها وقد * نبذوا عليها كى تموت فتؤلم
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم * لا تهزؤا بى وارحمونى ترحموا
مرت على علف فقامت لم ترِم * عنه وغنت والمدامع تسجم
وقف الهوى بى بحيث أنت فليس لى * متأخرٌ عنه ولا متقدَّمُ

وقال أيضاً

أبا سعيد لنا فى شاتك العبرُ * جاءت وما إن لها بول ولا بَعَرُ
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الا بيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت فى نومها علفاً * غنت له ودموع العين تنحدر
يامانعى لذة الدنيا بأجمعها * انى ليفتنى من وجهك النظر

وقال أيضاً

شاة سعيد فى أمرها عِبَرُ * لما أتتنا قد مسها الضررُ
وهى تغنى من سوء حالتها * حسبى بما قد لقيت ياعمر

مرت بقُطف خضر ينشّرها * قوم فظنت بأنها خُضُر
فأقبلت نحوها لتأكلها * حتى اذا ما تبين الخبر
وأبدلتها الظنون من طمع * يأسا تغنت والدمع منحدر
كانوا بعيداً وكنت أمهلهم * حتى اذا ما تقربوا هجروا

وقال لسعيد شُوَيهةٌ * سلَّها الضر والعجف
قد تغنت وأبصرت * رجلا حاملا علف
بأبى من بكفهِ * برة مابى من الدنف
فأتاها مطمِّعا * وأتته لتعتلف
فتولى فأقبلت * تتغنى من الأسف
ليته لم يكن وقف * عذَّب القلب وانصرف

طيلسان بن حرب

وإذ قد جرت بعض تضمينات الحمدونى فى هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره فى الطيلسان وأنعطف فى غير هذا الموضع اليها وأكر عليها (وكان) احمد بن حرب المهلَّبى من المنعمين عليه ، والمحسنين اليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلسانا أخضر لم يرضه ، قال أبو العباس المبرد فأنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الخمسين فطارت كل مَطار ، وسارت كل مسار ، فمنها

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً * ملّ من صحبة الزمان وصدا
فحسبنا نسج العنا كب قدحال الى ضعف طيلسانك سدا
طال ترداده الى الرَّفْوِ حتى * لو بعثناه وحده لتهدّى

وقال فيه أيضا

ياطيلسان ابن حرب قد هممت بأن * تودى بجسمى كما أودى بك الزمنُ

ما فيك من ملبس يغنى ولا ثمن * قد أوهنت حيلتى أركانك الوُهُنُ
فلو ترانى لدى الرقّاء مرتبطا * كأنى فى يديه الدهرَ مرتهن
أقول حين رآنى الناس ألزمهُ * كأنما لىَ فى حانوته وطن
من كان يسأل عنا أين منزلنا * فالا قحوانة منـا منزل قمـن

(وقال) قل لابن حرب طيلسا * نك قوم نوح منه أحدثُ
أقنى القرون ولم يزل * عمن مضى من قبل يورث
واذا العيون لحظنهُ * فكأنه باللحظ يحرث
يودى اذا لم أرفُهُ * فاذا رفوت فليس يلبث
كالكلب ان تحمل عليه الدهر أو تتركه يلهث

(وقال) قل لابن حرب طيلسانك قد * أوهى قواى بكثرة الغرمِ
متبين فيـه لمبصرهِ * آثار رفو أوائل الأمم
وكأنه الخمر التى وصفت * فى ياشقيق الروح من حكَم
فاذا رمناه فقيل لنـا * قد صح قال له البلى انهدم
مثل السقيم برا فراجعهُ * نكس فأسلمه الى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزنى * ومن العناء رياضة الهرم

الخمر التى وصفت من قولُ أبى نواس

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنمِ
فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم
ثُمَّتَ انصاتَ الشباب لهـا * بعد أن جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى بُزلت * وهى تلوُ الدهر فى القدم
عُتِّقت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلةً * ثم قصت قصة الأمم
فَرَعتها بالمزاج يدٌ * خلقت للكاس والقلم

وقال الحمدونى

طيلسان لابن حرب جاءنى * خِلعة فى يوم نحس مستمرّ
فاذا ما صحت فيه صيحةً * تركته كهشيم المحتضر
واذا ما الريح هبت نحوهُ * طيرته كالجراد المنتشر
مَهطع الداعى الى الرافى اذا * مارآه قال ذا شئ نكر
واذا رفقاؤه حاول ان * يتلافاه تعاطى فعقر

(وقال) أيا طيلسانىَ أعييت طبى * أسلٌ بجسمك أم داء حب
ويا ريح صيرتنى أتقيك * وقد كنت لا أتقى ان تهبى
ومستخبر خبر الطيلسان * فقلت له الروح من أمر ربى

وقال فيه

طيلسان لا بن حرب جاءنى * قد قضى التمزيق منه وطره
أنا من خوف عليه أبداً * سامرىٌّ ليس يألو حذره
يا ابن حرب خذه أو فابعث بما * نشترى عجلا بصفرٍ عُشُر
فلعل الله يحييه لنا * ان ضربناه ببعض البقره
فهو قد أدرك نوحا فمسى * عنده من علم نوح خبره
أبدا يقرأ من أبصرهُ * أئذا كنا عِظاماً نخرَه

(وقال فيه)

يا ابن حرب أطلت فقرى برفوى * طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العر * ض على النار غدوة وعشيا
زرت فيه معاشرا فازدرونى * فتغنيت اذ رأونى زريا
جئت فى زى سائل كى أراكم * وعلى الباب قد وقفت مليا

(وقال فيه)

وهبت لنا ابنَ حرب طيلسانا * يزيد المرء ذا الضعة اتضاعا
يسلم صاحبى فيعيد شتمى * لأن الروح يكسبه انصداعا

أجيل الطرف فى طرفيه طولا * وعرضا ما أرى الارقاء
فلست أشك ان قد كان قدما * لنوح فى سفينته شراعا
فقد غنيت اذ أبصرت منهُ * جوانبه على بدنى تداعى
فنى قبل التفرق ياضباعا * ولايك موقف منك الوداعا

الحسن بن رجاء

دخل المأمون بعض الدواوين فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم فقال من أنت ياغلام ؟ فقال أنايا أمير المؤمنين الناشئ فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء ، فقال أحسنت ياغلام ، وبالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان . قال أبو اسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج قال لى أبو العباس المبرد مارأيت فى أصحاب السلطان مثل اسماعيل والحسن ، كنت اذا رأيته رأيت رجلا كانما خلق لذروة منبر ، أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يسهب ويطنب ، ويعرب ويغرب ، ولا يعجَب ويعجِب * أراد القاضى اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل حماد بن زيد بن درهم والحسن بن أبى رجاء بن ابى الضحاك

أبو العباس المبرد

وكان أبو العباس يعدّ فى البلغاء ، وقال لما دخلت على المتوكل اختارلى الفتح ابن خاقان وقت شربه وكان الشراب قد اخذ منه فسألنى وقال يابصرى ارأيت احسن وجها منى ، فقلت لاوالله ولا اسمح راحة ، ثم تجاسرت فقلت

جهرت بحلفةٍ لا أتقيها * بشك فى اليمين ولا ارتيابِ
بأنك أحسن الخلفاء وجها * واسمح راحتين ولا أحابى
وان مطيعك الاعلى محلاً * ومن عاصاك يهوِى فى تباب

فقال أحسنت واجملت فى حسن طبعك ، وبديهتك ، فقلت ماظننتنى ابلغُ

هذا الشرف ، ولا أنزل هذه الرتبة ، فلا زال أمير المؤمنين يسمو بخدمه الى أعلا المراتب ، ويصرفهم فى المذاهب

وصف رجل ماجد

وكان ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه فصار الى أبى العباس المبرد يسأله ان يكلمه له فكتب اليه المبرد : أنت والله كما قال مسلم بن الوليد فى جدك الرشيد

بأبى وأمى أنت ما الندى يداً * وأبر ميثاقاً وما أزكا كا

يغدو عدوّك جائعا فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجا كا

وهذا معنى كثير . انشد احمد بن يحيى ثعلب الاعرابى

كريم يغض الطرف فضل حيائهِ * ويدنو وأطراف الرماح دوانى

وكالسيف ان لاينته لان متنهُ * وحدّاد ان خاشَنْتَهُ خشنان

وهذا يناسب قول ابن المعتز فى بعض جهاته

ويجرح احشائى بعين مريضةٍ * كما لان متن السيف والحدّ قاطعُ

وقال الاخطل فى بنى مروان

صمٌ عن الجهل ، عن قيل الخنى أنفٌ * اذا ألمت بهم مكروهة صبروا

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس احلاما اذا قدروا

أبو جعفر المنصور

وقال ابراهيم بن على بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور

كريم له وجهان : وجهٌ لدى الرضى * طليقٌ ، ووجهٌ فى الكريهة باسلُ

وليس بمعطى الحق من غير قدرةٍ * ويعفو اذا ما أمكنته المقاتل

له لحظات من خفافَىْ سريرةٍ * اذا كرَّها فيها عقاب ونائل

فأما الذى أمّنت أمنه الردى * وأما الذى حاولت بالثكل ثاكل

محمد بن يوسف

وقال الطائى فى أبى سعيد محمد بن يوسف

هو السيل ان واجهته انقدت طوعهُ * وتقتاده من جانبيه فيتبعُ

اسماعيل بن محمد

وكان عصابة الجرجانى واسمه اسماعيل بن محمد منقطعا الى الحسن بن رجاء متصلا به وهو القائل فيه

ومحجَّبٍ بالنور ليس بمدرَكٍ * الا بما تأتى به الانباء
ملك يحب الله فهو يحبهُ * ويطيعه فتطيعه الاشياء
يمشى الهوينا للصلاة يقيمها * واذا مشى للحرب فالخيلاء
لله درك أيما ابن عزيمةٍ * يُشوى الزمان وماله إشواء

ثم عتب عليه فى بعض الامر فهجاه هجاء قبيحا ، فهرب الى عمان ثم اعتذر اليه بقصيدته التى أولها

لا تخضبنَّ عوالى المُرَّانِ * الا من العلق النجيع القانى

وهى أجود شعر قيل فى معناه وهى التى يقول فيها

اقرَ السلام على الامير وقل لهُ * ان المنادمة الرضاع الثانى
ما ان أنى حشمى بانك ساخط * حتى استخف بموضعى غلمانى
وغدت علىّ مطاعمى ومشاربى * وملابسى من أعون الاعوان

فكتب اليه الحسن

أبلغ أبا اسحاق أن محلهُ * منى بحيث الرأس والعينانِ
لاتبعدنّ بك الديار لنزغةٍ * ولتبعدن نوازع الشيطان
فليفرخ الروع الذى روّعته * ان المحل محل كل أمان

ابن أبى ربيعة وجميل

اجتمع جميل بن معمر العـذرى بعمر بن أبى ربيعة المخزومى فأنشده جميل قصيدته التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى * بثينة أو أبدت لنا جانب البخلِ

يقولون مهـلا ياجميـل وانى * لأقسم مالى عن بثينة من مهل

خليلىّ فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

نقله أبو العتاهية فقال

يامن رأى قبلى قتيلا بكى * من شدة الوجد على القاتلِ

فلما أتمها قال لعمر ياأبا الخطاب هل قلت فى هذا الروى شيئاً ؟ قال نعم ثم أنشده

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فعرضنى يوم الخضاب الى قتلى

فما انس م الاشياء لا أنس قولها * وموقفها يوما بقارعة النخل

فلما تواقفنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حذوَك النعل بالنعل

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى * عدو مكانى أو يرى حاسد فعلى

واقبل أمثال الدُّمى يكتنفنها * وكلٌّ يفدى بالمودة والاهل

فقالت وأرخت جانب الستر انا * معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى

فقلت لها مابى لهم من ترقب * ولـكنّ سرى ليس يحمله مثلى

فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذى طلبت الشعراء فاخطأته ، فتعلاوا بوصف الديار ، ونعت الاطلال

خليفة ابن أبى ربيعة

ولما مات عمر بن أبى ربيعة نعى لامرأة من مولّدات مكة وكانت بالشام فبكت وقالت : من لأباطح مكة ، ومن يمدح نساءها ، ويصف محاسنهن ، ويبكى

طاعتهن ، فقيل لها قد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان على طريقته فقالت أنشدونى له فأنشدوها

وقد أرسلت فى السر ليلا بأن أقِمْ * ولا تقربنّا فالتجنب أجمل
لعل العيون الرامقات لوصلنا * تكذب عنا أو تنام فتغفل
أناسٌ أمنّاهم فبثوا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقوّلوا
فما حفظوا العهد الذى كان بيننا * ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

فتسلّت وقالت : هذا أجل عوض ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذى خلف على حرمه وأمته مثل هذا

العرجى

وقال عروة بن أذينة أنشدت ابن أبى عتيق للعرْجى

فما ليلة عندى وان قيل ليلةٌ * ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندى وبالحرَى * يكون سواء مثلها ليلة القدر
وما أنس م الأشياء لا انس قولها * لجارتها قومى سلى لى عن الوتر
فجاءت تقول الناس فى ست عشرةٍ * ولا تعجلى عنه فانك فى أجر

فقال ابن أبى عتيق هذه أفقه من ابن أبى شهاب ، أشهدكم أنها حرة من مالى إن أجاز أهلها ذلك — والعرْجى هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن عثمان ابن عفان ، وكان ينزل بعرْج الطائف فنسب اليه . وهو القائل

هل فى ادِّكارى الحبيب من حرج * أم هل لهم الفؤاد من فرجِ
أم كيف أنسى مسيرنا حرما * يوم حللنا بالنخل من أمج
يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى الى رحالهمُ * أهدى اليها بريحها الارِج

وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة وهو خال هشام بن عبد الملك بلغه ان العرجى هجاه فضربه ضربا مبرحا وأقامه على أعين الناس ، فجعل يقول

سيغضب لى الخليفة بعد رقّى * ويسأل أهل مكة عن مساقى
علىّ عباءة برقاء ليست * من البلوى تجاوز نصف ساقى
وتغضب لى بأسرتها قصىٌّ * ولاة الشعب والطرق العاق

فخلف محمد بن هشام أن لايخرجه ما دامت له ولاية ، فاقام فى السجن سبع سنين حتى مات ، وهو القائل فى سجنه

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغرِ
وخلونى ومعترك المنايا * وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كانى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرر فى الجوامع كل يوم * ألا لله مظلمتى وهصرى
عسى الملك المجيب لمن دعاهُ * سينجينى فيعلم كيف شكرى
فاجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالضغائن أهل ضرى

نثر ابن المعتز

(جملة من الفصول القصار لابن المعتز)

البشر دال على السخاء كما يدل النَّور على الثمر — اذا اضطررت الى الكذاب فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — كما ان الشمس لايخفى ضوءها وان كانت تحت السحاب كذلك الصبى لاتخفى غريزة عقله وان كان مغموراً بأخلاق الحداثة — كَرَمُ الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يعجل الاجابة فى كل دعوة — كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ،

كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره — اذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة — لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب. الحوادث الممِضَّة مكسبة لحظوظ جزيلة ، من صواب مدَّخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر . ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين قاله بعقب علة فأغار عليه ابن المعتز . وكتب الى احمد بن محمد جوابا عن كتاب استزاده فيه : قيد نعمتى عندك بما كنت استدعيتها به ، وذب عنها أسباب سوء الظن ، واستدم ما تحب منى بما أحب منك. وكتب اليه: والله لا قابلَ احسانك منى كفر ، ولا تبعَ احسانى اليك منّ ، ولك عندى يد لا أقبضها عن نفعك، وأخرى لا أبسطها الى ظلمك، فتجنب ما يسخطنى فانى أصون وجهك عن ذل الاعتذار (وكان) احمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم ابن المعتز بقوم سألوه ان تأذن له ان يدخل الى ابن المعتز وقتا من النهار، فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى عنها فكتب الىَّ ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة

أصبحت يا ابن سعيد خدن مَكْرُمةٍ * عما يقصّر من يحْفي وينتعلُ
سربلتنى حكمةً قد هذبت شيمى * وأججت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون ان شئت قُسًّا فى خطابتهِ * أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل
وان أشأ فكر زيد فى فرائضهِ * أو مثل نبهانَ لما ضاقت الحيلُ
أو الخليل عروضياً أخا فطن * أو الكسائىّ نحويًّا له عِللُ
تعلو بداهة ذهنى فى مراكبها * كمثل ما عرفت آبائىَ الأولَ
وفى فمى صارم ما سلهُ أحدٌ * من غمد دفدرى ما العيش والجدل
عُقباك شكر طويل لا نفاد لهُ * يبقى بجدّته ما أطّت الابلُ

قس بن ساعدة

وقس الذى ذكر هو قس بن ساعدة الأيادى وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم شعره وعجب منه

الحارث بن حلزة

وحارث هو الحرث بن حِلّزة اليشكرى وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته التى أنشدها بحضرة عمر بن هند التى أولها

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاوٍ يُمل منه الثواء

زيد بن ثابت

وزيد هو زيد بن ثابت الأنصارى ، واليه انتهى علم الفرائض ، ونعمان هو أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه ابن ثابت ، وسبق أهل العراق فى الفقه ، والخليل ابن أحمد الفرهودى ويقال الفراهيدى منسوب الى حى من الازد اليحمرى والكسائى على ابن حمزة الكوفى

ابن العميد

(وكتب) أبو الفضل محمد بن العميد الى بعض اخوانه : أنا أشكو اليك جعلنى الله فداك دهراً خؤوناً غدوراً ، وزمانا خدوعا غَروراً ، لا يمنح ما يمنح الا ريث ماينتزع ، ولا يبقى فيما يهب الا ريث ما يرتجع ، يبدو خيره لُمَاً ثم ينقطع ، ويحلو ماؤه جُرعاً ثم يمتنع . وكانت منه شيمة مألوفة ، وسجية معروفة ، ان يشفع ما يبرمه بقرب انتقاض ، ويهدى لما يبسطه وشك انقباض ، وكنا نلبسه على ماشرط ، وان خاف منه وقسط ، ونرضى على الرغم بحكمه ، ونستتم بقصده وظلمه ، ونعتد من أسباب المسرة ان لا يجىء محذوره مصمتا بلا انفراج ، ولا يأتى مكروهه صرفا بلا مزاج ، ونتعلل بما نختلسه من غفلاته ، ونسترقه من ساعاته ، وقد استحدث غير ماعرفناه سنة مبتدعة ، وشريعة متبعة ، وأعد لكل صالحة من الفساد حالا ، وقرن بكل

خلة من المكروه خلالا ، وبيان ذلك جعلنى الله فداك انه كان يقنع من معارضته الإلفين ، بتفريق ذات البين ، فقد أنشئ ممنوًّا فيك بجميع ما أوغره . وما اطويه من البلوى منك أكثر مما انشره ، وأحسبنى قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه ، وألزمته جرما لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترتقى اليه ، ولو انك أعنته وظاهرته ، وقصدت صرفه وآزرته ، وبعتنى بيع الخلق وليس فيمن زاد ، ولكن فيمن نقص ، ثم أعرضت عنى إعراض غير مراجع ، واطرحتنى اطراح غير مجامل ، فهلا وجدت نفسك أهلا للجميل حين لم تجدنى هناك ، وأنفذت من جل ماعقدت من غير جريمة ، ونكث ماعهدت من غير جريرة ، فاجبنى عن واحدة منهما ، ماهذا التغالى بنفسك ، والتعالى على صديقك ، ولم نبذتنى نبذ النواة ، وطرحتنى طرح القذاة ، ولم تلفظنى من فيك ، وتمجنى من حلقك ، وانا الحلال الحلو ، والبارد العذب ، وكيف لاتخطرنى ببالك خَطْرة ، وتصيرنى من أشغالك مرة ، فترسل سلاما إن لم تتجشم مكاتبة ، وتذكرنى فيمن تذكران لم تكن مخاطبة ، وأحسب كتابى سيرد عليك فتنكره حتى تتثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تتذكر ، فقد صرت عندك ممن محا النسيان صورته من صدرك ، واسمه من صحيفة حفظك ، ولعلك أيضاً تتعجب من طمعى فيك وقد توليت ، واستمالتى لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلبا فيعود الى الوصال ، وآخر ماأقوله أن ودى وقْفٌ عليك ، وحَبْسٌ فى سبيلك ، ومتى عدت اليه وجدته غضاطريا ، فجربه فى المعاودة فانه فى العود احمد .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار . حل قوله فقد يتفجر بالصخر الماء الزلال من قول ابن الرومى

ياشبيه البدر فى الحســـن وفى بعـد المنالِ
جُد فقد تنفجر الصخـــرة بالمـاء الزلالِ

وفى هـذه الرسالة فى ذكر فتح وان لم يستبق منه المعنى : وقد خصنا الله تعالى معاشر عبد الامير عضد الدولة بنعمة يعلو مراتب النعم موقعها ، ويفوت

مقدار المواهب موضعها ، فباسمه أبقاه الله فُتح الفتح ، وبشعاره استُنزل النجح ، وبيمن نقيبته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ، وباهتزازه للدولة وحمايته عاد اليها ماؤها ، وراجعها بهاؤها ، فعز الملك ونصر ، وذل العدو وقهر ، وحميت أطراف الدولة ، وحفظت أكناف الملة ، واستجد نظام النعمة ، وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة ، ولو جعل المولى تقدس اسمه لنعمته اذا تناهت على عبيده جزاءً غير الاخلاص فى شكره ، وقبل ما فى مقابلة الموهبة التى يستجدها عند خلقه غير الاغراق فى حمده ، لرأيت أن لا أقتصر فى قضاء حقه على بعض الملك دون بعض ، ولجعلنا فى صدر ما أبدل عن هذه النعمة الأعزين الأهل والولد ، والأنصرين الساعد والعضد ، بل العميدين القلب والكبد ، بل النفس كلها ، والمهجة بأسرها

أجمل ماقيل فى العتاب

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض اخوانه

أقللْ عتابك فالبقاء قليلُ * والدهر يعدل تارةً ويميلُ
لم أبكِ من زمن ذممت صروفهُ * إلا بكيت عليه حين يزولُ
ولكل نائبة ألمت مدةٌ * ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعةٌ * ان حُصّلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث المنية والردى * يوماً ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقتُ لتبكينّ بحسرةٍ * وليكثرنّ علىّ منك عويل
ولتفجعنّ بمخلص لك واقٍ * حبل الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقْتَ ولا سبقت ليمضينْ * من لا يشاكله لدىّ خليل
وليذهبنّ بهاء كل مروءةٍ * وليفقدن جمالها المأهول
وأراك تكلف بالعتاب وودنا * صاف عليه من الوفاء دليل
ودّ بدا لذوى الاخاء جمالهُ * وبدت عليه بهجة وقبول

ولعل أيام الحياة قليلةٌ * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال أيضا

لقدساءنى ان ليس لى عنك مذهب * ولا لك عن سوء الخليقة مَرغبُ
أفكر فى ود تقادم بيننا * وفى دونه قربى لمن يتقرب
وأنت سقيم الود رثّ حبالهُ * وخيرٌ من الود السقيم التجنب
تسىءُ وتأبى أن تعقّب بعدهُ * بحسنى وتلقانى كأنّىَ مذنب
وأحذر إن جازيت بالسوء والقلى * مقالة اقوام همُ منك أنجب
أساء اختياراً أوعرته ملالةٌ * فعاد يسىءُ الظن أو يتعتّبُ
فخبت من الود الذى كان بيننا * كماخاب راجى البرق والبرق خُلّب

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كم يكون الصد فى كل ساعةٍ * ولمْ لا تملنّ القطيعة والهجرا
رويدك إن الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنباً * ان الصدود هو الفراق الأولُ
حَسْب الأحبة أن يفرق بينهم * صرف الزمان فما لنا نستعجل

آخر

ذَرِ النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فمترقٌ جاران دراهما العمرُ

ويقرب من المعنى قول المتنبى أيضاً

زودينا من وجهك مادا * مَ فحسن الوجوه حال يحولُ
وصلينا نصلك فى هذه الد * نيا فان المقام فيها قليلُ

كلام الاعراب

وقف أعرابى يسأل فعبث به فتى ، فقال ممن أنت ؟ فقال من بنى عامر بن صعصعة ، فقال من أيهم ؟ فقال ان كنت أردت عاطفة القرابة فليكفك هذا

المقدار من المعرفه ، فليس مقامى بمقام مجادلة ولا مفاخره ، وأنا أقول فان لم أكن من هاماتهم ، فلست من اعجازهم ، فقال الفتى ما رويت عن فضيلتك الا النقص فى حسبك . فامتعض الاعرابى لذلك ، فجعل الفتى يعتذر ويخلط الهزل والدعابة باعتذاره ، وأطال الكلام ، فقال له الاعرابى : ياهذا انك منذ اليوم آذيتنى بمزحك وقطعتنى عن مسئلتى بكلامك واعتذارك ، وانك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستره من أمرك ، ويحك إن الجاهل ان مزح أسخط ، وان اعتذر أفرط ، وان حدث أسقط ، وان قدر تسلط ، وان حزم على أمر تورط ، وان جلس مجلس الوقار تبسّط ، أعوذ منك ومن حال اضطرتنى الى احتمال مثلك ! وقال اسحق الموصلى قال اعرابى لرجل كان يعتمده بالعطية : أسأل الذى رحمنى بك أن يرحمك بى ! وسأل اعرابى رجلا فأعطاه فقال : الحمد لله الذى ساقنى الى الرزق وساقك الى الأجر

المقامة البلخية

ومن انشاء البديع من مقامات الاسكندرى قال حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بى الى بلخ تجارة البز ، فوردتها وأنا بفروة الشباب ، وبال الفراغ ، وحلية الثروة ، ولا يهمنى الا نزهة فكر أستفيدها ، أو شريدة من الكلام أصيدها ، فما استأذن على سمعى مسافة مقامى ، أفصح من كلامى ، ولما حنى التفرق بنا قوسه أو كاد ، دخل إلىّ شاب فى زى ملء العين ، ولحية تشوك الأخدعين ، وطرف قد شرب بماء الرافدين ، ولقينى من البر فى السناء ، بما زدته من الشكر والثناء ، وقال أظعناً تريد ؟ قلت إى والله ، فقال أخصب الله رائدك ، ولا أضل قائدك ، فمتى عزمت ، فقلت غداة غد ، فقال :

صباح الله لاصبح انطلاق * وطير الوصل لاطير الفراقِ

قال أين تريد ؟ قلت الوطن ، قال بلغت الوطن ، وقضيت الوطر ، فمتى العود ؟ قلت القابل ، قال طويت الريط ، وثنيت الخيط ، فأين أنت من الكرم ؟ قلت

بحيث أردت ، قال اذا رجعك الله من هذه الطريق ، فاستصحب لى عدوا فى بردة صديق ، من تجار الصُّفر ، يدعو الى الكفر ، ويرقص على الظفر . كدارة العين ، يحط ثقل الدّين ، وينافق بوجهين ! فعلمت أنه يلتمس دينارا ، قلت لك ذلك نقدا ، ومثله وعدا ، فأنشأ يقول

رأيك فيما خطبت أعلى * لازالت المكرمات أهلا
صَلُبت عوداً وفقت جُوداً * وطبت فرعاً وطبت أصلا
لا أستطيع العطاء حملا * ولا أطيق السؤال ثِقلا
قصرت عن منتهاك ظنا * وطلت عما ظننت فعلا
يارحمة الله والمعالى * لاالقى الدهر منك نكلا

قال عيسى بن هشام فنلته الدينار . وقلت من أين نبت هذا الفضل ؟ قال نمتنى قريش ومُهِّد لى الشرف فى بطحائها ، فقال بعض من حضر : ألست أبا الفتح السكندرى ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مكديا بالأوراق ؟ فأنشأ يقول

ان لله عبيداً * أخذوا العمر خليطا
فهمُ يمسون اعرا * با ويضحون نبيطا

من البديع الى الميكالي

وله الى أبى نصر الميكالى يشكو اليه خليفته بهراة : كتابى أطال الله بقاء الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، واذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، اذا طال ثواءه ، ويثقل ظله ، اذا انتهى محله ، وقد حلبت أشطر خمسة أشهر بهراه ، وان لم تكن دار مثلى لولا مُقامهُ ، وما كانت تسعنى لولا ذمامُه ، ولى فى بيتى قيس مثل صدق ، وان صدرا مصدر عشق

وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى * بقول يحل العُصم سهل الاباطحِ
تجافيت عنى حيث لالىَ حيلةٌ * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

نعم قنصتنى نِعم الشيخ ، فلما علق الجناح، وقلق البَراح ، طرت مطار الريح ، بل مطار الروح ، وتركتنى بين قوم ينقض مسُّهم الطهارة ، وتوهن أكفهم الحجارة ، وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، انه قال قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ، فقلت يا أحمق ان استطعت أن ترانى محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً اليك ، أف لقولك ولفعلك ، ولدهر أحوج الى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض وجهى بكتاب يسوّد وجهه ، ويعرفه قدره ، ويملأ رعباً صدره ، الى أن تبين على صفحات جنبه ،

آثار ذنبه

عتابه له

وله اليه يعاتبه : قد عرف الشيخ الجليل اتّسامى بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكانا لبلغته معه ، وأرانى كلما قدمت صُحْبة ، رجعت رتبة ، وكلما طالت خدمة ، قصُرت حِشمة ، ولست ممن يذهب عليه ان للسلطان أن يرفع عبداً حبشيا ، ويضع قرشيا ، ولكن أحب أن أقف من مكانى على رتبة كوكبها لايغور ، ومنزلة لولبها لا يدور ، فاذا عرفت قدرى وخطه ، لم أتخطّه ، ثم ان رأيت محلى وحدّد ، لم أتعده ، ان قدمتنى يوما عليها علمت ان عناية قدمتنى ، وان أخرنى عنها علمت ان جناية أخرتنى ، رُفع علىّ اليوم فلان ولست أنكر سنه وفضله ، ولا أجحد بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه ، لافى الأيام الخالية ، ولا فى هذه الأيام العالية ، وشديد على الانسان مالم يُعوّد ، فان كان حاسد قد همّ ، أو كاشح قد نمّ ، أو خطب قد ألمّ ، أو أمر قد وقع وتمّ ، فالشيخ الجليل أولى من يعرفه ويعرفنيه ، والا فما الرأى الذى أوجب اصطناعى ، ثم ضياعى ، والسبب الذى اقتضى بيعى بعد ابتياعى؟

ابراهيم بن المهدى والمأمون

ولما رضى المأمون عن ابراهيم بن المهدى أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : ولىُّ الثأر محكمٌ فى القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الرجاء أمن من دعابة الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فان اخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك . ثم قال

ذنبى اليك عظيمٌ * وأنت أعظم منهُ
فخذ بحقك أوْلا * فاصفح بفضلك عنهُ
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكُنْهُ

فقال لى شاورت أبا اسحق والعباس فى قتلك فأشارا به ، قال فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت لهما بدأناه باحسان ، ونحن نستأمر دفيه ، فان غيّر فالله يغير مابه ، قال أما ان يكونا قد نصحا فى عظيم ما جرت عليه السياسة فقد فعلا وبلغا مايبلغك ، وهو الرأى السديد ، ولكنك أبيت أن لا تستجلب النصر الا من حيث عوّدك الله ، ثم استعبر باكيا ، فقال له المأمون مايبكيك ؟ قال جَذَلا ! اذ كان ذنبى الى من هذه صفته فى الإنعام ، ثم قال انه وان كان قد بلغ جرمى استحلال دمى ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغانى عفوه ، ولى بعدهما شفاعة الاقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب ، فقال يا ابراهيم لقد حُبِّب الىّ العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه ، أما لو علم الناس مالنا فى العفو من اللذة لتقربوا الينا بالجنايات ، لا تثريب عليك يغفر الله لك ، ولو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك ، لبلّغك ما أملت حسن تفضلك ، ولطف توصلك . ثم أمر برد ضياعه وأمواله. فقال

رددت مالى ولم تبخل علىّ بهِ * وقبل ردّك مالى قد حقنت دمى

وقام علمك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهمِ
فلو بذلتُ دمى أبغى به رضاك بهِ * والمال حتى أسلّ النعل عن قدمى
ما كان ذاك سوى عاريّة سلفت * لو لم تهبها لكنت اليوم لم تلم

أخذ معنى قول المأمون لقد حببت الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه أبو تمام الطائى فقال

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تخمدِ

فكان أبو تمام فى هذا كما قال أبو العباس بن المعتز فى القاسم بن عبيد الله

اذا ما مدحناه استعنا بفعله * فنأخذ معنى قولنا من فعاله

وكان تصويب ابراهيم لرأى أبى اسحق المعتصم والعباس بن المأمون ألطف فى طلب الرضا ودفع المكروه واستمالتهما الى العاطفة عليه من الازراء عليهما فى رأيهما ، وكان ابراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لمحبة ، ولكن قامت له سوق فى العفو كره أن يفسدها . وكان المأمون شاور فى قتل ابراهيم احمد بن أبى خالد الأحول فقال : ان قتلته فلك نظير ، وان عفوت عنه فلا نظير لك ، فأختار لك العفو (وقال المأمون) لاسحق بن العباس لا تحسبنى أغفلت أمر ابن المهدى وتأييدك له وإيقادك لناره ، قال والله يا أمير المؤمنين لإجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمى اليك ، ولرحمى بك أمتن من ارحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة فى الطول ، وممتثل لخلال العفو والفضل ، قال هيهات تلك أجرام جاهلية عفا عنها الاسلام ، وجرمك جرم فى اسلامك ، وفى دار خلافتك ، قال يا أمير المؤمنين فوالله للمسلم أحق باقالة العثرة ، وغفران الذنب ، من الكافر . وهذا كتاب الله بينى وبينك إذ يقول : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

الناس والله يحب المحسنين . والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر ، والشريف والمشروف . قال صدقت ، وريت بك زنادك ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه : أسألك بالذى أنت بين يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا ما نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب اليه من سقمى ، وبراءتى أحب اليه من بليتى

معاوية وروح بن زنباع

وأراد معاوية عقوبة روح بن زنباع فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى ان لا تضع منى خسيسة أنت رفعتها ، أو تنقض منى مريرة أبرمتها ، أو تشمت بى عدوا أنت كبته ، وحاسدا بك وقمته ، واسألك بالله الا أربى حلمك على خطآنى وصفحك على جهلى . فقال معاوية رضى الله عنه « اذا الله ثنّى عقد شئ تيسّرا » أشار الى هذا أبو الطيب المتنبى إذ قال

أزِل حسد الحساد عنى بكبتهم * فانت الذى صيّرتهم لى حُسّدا
اذا شدّ زندى حسن رايك فى يدى * ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا

بعض خاصة المأمون

وعتب المأمون على بعض خاصته فقال يا أمير المؤمنين ، ان قديم الحرمة ، وحديث التوبة ، يمحوان ما بينهما من الاساءة . قال صدقت وعفا عنه

أحد ملوك الفرس

وكان فى ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النقمة ، فقرب له صاحب المطبخ طعامه فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم صاحب المطبخ انه قاتله ، فعمد الى الصحفة فكفأها على المائدة ثم ولى ، فقال له الملك ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ، ولم يجر بها تعمدك ،

فما عندك فى الثانية ؟ قال استحيت للملك ان يوجب قتلى ، ويبيح دم مثلى ، فى سنى وحرمتى ، وقديم اختصاصى وخدمتى ، فى نقطة أخطأت بها يدى ، فأردت أن يعظم ذنبى ، ليحسن بالملك قتلى ! قال ان كان اعتذارك ينجيك من القتل ، فليس ينجيك من التأديب ، اجلدوه مائة جلدة واخلعوا عليه خلع الرضا

بهرام جور

وخرج بهرام جور متصيدا فعنّ له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه ، وقد انقطع عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصُر براع فقال أمسك علىّ فرسى ، وتشاغل بذبح الحمار ، وحانت منه التفاتة فنظر الى الراعى يقطع جوهر عذار فرسه ، فحول بهرام جور وجهه وقال : تأمل العيب عيب ، وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه ، والعفو من أفعال الملوك ، وسرعة العقوبة من أفعال العامة . ثم قال ياغلام مابال شِريانك يضطرب لعلك آذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خيلنا ، فقال نعم ، وقد عزمت على ان أنقلع مائةَ فرسخ ، فقال بهرام لاترَع فهذا الموضع ومافيه لك ، وكان الراعى خبيثا ، فقال ان الملوك اذا قالت قولا تمت على قولها ، فرجع بهرام الى عسكره وقال : اتبعنى لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بصر به الوزير قال : أيها الملك السعيد انى لأرى جوهر عذار فرسك مقلعا ، فتبسم وقال : أخذه من لا يرده ، ورآه من لا ينم به ، فمن أخذه صاحبنا ولا نطالبه به

نقل ابن الرومى قول بهرام تأمل العيب كما اتفق موزونا فقال

تأمُّل العيب عيبٌ * مافى الذى قلت ريبُ
وكل خير وشر * دون العواقب غيبُ
ورب جلباب همٍّ * فيه من الصنع جيبُ
لاتحقرن سُبَيبا * كم قاد خيرا سُبَيب

أخذ البيت الأخير من قول الطائى :

رُبّ قليلٍ غداً كثيراً * كم مطر بدؤهُ مُطَيرُ

وقوله :

لا تزيلنْ صغير همك وانظر * كم بذى الانل دوحة من قضيبِ

وقد أعاد ابن الرومى قوله

وكل خير وشر * دون العواقب غيب

فى قصيدته التى مدح بها احمد بن محمد بن ثوابة حين ساوره ، وقال لو أتى لبيد لتعجب منه ، فاستجزله وقال

ولَمـا دعانى للمثوبة سيدٌ * يرى المدح عارا قبل بذل المثاوبِ

تنازعني رعب ورهب كلاهما * قوىٌّ وأعيانى طلوعٍ المعايب

فقدمت رجلا رغبة فى رغيبةٍ * وأخرت رجلا رهبةً للمعاطب

أخاف على نفسى وأرجو مفازها * واستار غيب الله دون العواقب

الى أن يرينى غايتى قبل مذهبى * ومن أين والغايات بعد المذاهب

كتاب البديع الى أبى على اسماعيل

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان الى أبى على اسمعيل يعتذر اليه : سوء الأدب من سكر الندب ، وسكر الغضب من الكبائر التى تنالها المغفرة ، وتسعها المعذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدى عضا ، واسنانى رضا ، وان لم أوف ماجرى فالعذر أمدّ خطا ، فان كان بساطا يطوى ، وحديثا لا يروى . فأولى مَن عذَرَ اللاعب ، وأحرى من غفَرَ الصاحب ، وان كان ميتا ينشر ، وسببا يذكر ، فليكن العقاب ما كان ، ان لم يكن الهجران ، على انى قد أخذت قسطى من العقاب ، واستفدت من رد الجواب ، ما كفى ، وأوجع القفا ، فكان من موجب أدب الخدمة ، ابقاء الحشمة ، لولى النعمة : باحتمال الشتم ، والاغضاء عن الخصم ، لكنى أحدقت بى ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب وسكره ، والخصم وهُجْره ، والادلال والثقة ، وهى اللواتي حملننى على ماء الوجه فهرقته ، وحجاب الحشمة فخرقته ، وقد منعنى الآن فرط الحياء ، من وشك اللقاء ، وعهدى بوجهى

وهو أصفق من العُدم الذى حملنى على جهله ، وأوقح من الدهر الذى أحوجنى الى أهله ، لكن النعم اذا توالت على وجه رققت قشرته ، وألانت بشرته ، وأنا منتظر من الجواب مايريش به جناحى الى خدمته ، فان رأى أن يكتب فعل ان شاء الله

كتابه الى ابن مشكويه

(وله رقعة الى ابى على بن مشكويه) أولها

وياعز إن واشٍ وشى بىَ عندكم * فلا تمهليه أن تقولى له مهلا
كما لو وشى واشٍ بعزة عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا

بلغنى أطال الله بقاء الشيخ أن قِيضة كاب وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره، ولا الصدق ظهوره، وانه ادام الله عزه اذن لها على مجال أذنه ، وفسح لها فِناء ظنه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ، بل قد كان بينى وبين الشيخ عتاب لا ينزل كنفه ولا يجدف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ، ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعربدة كعربدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال والادلال ، ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة ، كعتاب جحظة ، فسبحان من ربى هـذا الامر حتى صار أمراً ، وتأبط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حراً ، وسبحان من جعلنى فى حيز العدو أشيم بارقته ، وأتخوف صاعقته ، وأنا المساء اليـه ، والمجنى عليه ، ولـكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ، ورمى من الحسد بما رميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت ، اعتذر مظلوما ، وضحك مشتوما ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد ، وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له همٌّ الا فى سعاية أوشكاية أوحكاية أو نكاية ، لضن بعشرة غريب اذا بدر ، وبعيد اذا حضر ، ولصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى اليـه ، وهبنى قد قلت ما حكى ، أليس الشاتم من أسمع ، والجـانى من أبلغ ، فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم انهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تُستفز ، وجبلا لا يُهز ، وشوا الى خدمه بما أرثوا نارهم ، وورد علىّ ما قالوه فما لبثت أن قلت

فان تك حرب بين قومى وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم

وليعلم الاستاذ أن فى كبد الاعداء منى جمرة ، وأن فى أولاد الزنا عندنا كثرة ، وقُصاراهم نار يشبونها ، وعقرب يدبيونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا ان العذر اقرار بما قيل ، وأكره أن أستقيل ، لبسطت فى الاعتذار شاذروانا ، ودخلت فى الاستقالة ميدانا ، لكنه أمر لم أضع أوله ، فلم أتدارك آخره ، وقد أبى الشيخ أبو محمد أيده الله الا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله فها كه يلعن بعضه بعضا

مولاى ان عدت ولم ترض لى * أن أشرب البارد لم أشربِ
امتطِ خدى وانتعل ناظرى * وصِدْ بكفى حُمَةَ العقربِ
تالله ما أنطق عن كاذبٍ * فيك ولا أبرق عن خُلَّبِ
فالصفو بعد الكدر المفترَى * كالصحو بعد المطر الصيِّبِ
ان اجتنى الغلظة من سيدى * فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفد الزور على ناقد * فالخمر قد يعصب بالشيب

ولعل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعده عنه القلم واللسان ، فنعم رائد الفضل هو والسلام

سهل بن هرون

فِقر من كلام سهل بن هرون للمأمون — كان المأمون استقل سهل بن هرون فدخل عليه يوماً والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال: مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل فى اليوم القصير ، ما فعل بنو مروان فى الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالدواء ، من لا يشعر بالداء؟! فرجع المأمون فيه الى الرأى الأول

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان نزل البصرة فنسب اليها وهو القائل

يا أهل ميسان السلام عليـ * كم طيبون الفرع والجذم
أما الوجوه ففضة مزجت * ذهبا وأيد سحة هُضُم
أتريد كلب ان أناسبها * قد قل من كليب العلم
اجعلت بيتا فوق رابية * فرع النجوم كأنه نجم
كم بيت شعر وسط مجهلة * بفنائه الجعلان والبهم

وكان سهل شعوبيا ، والشعوبية فرقة تتصعب على العرب وتنتقصها ، وكان أبو عبيدة يرمى بهم — وسهل ظريف عالم حسن البيان وله كتب ظريفة صنفها معارضا للأوائل فى كتبهم بما لا يستصوبه منهم حتى قيل له بزرجمهر الاسلام ،

وقال يمدح رجلا

عدو تِلاد المـال فيما ينوبهُ * منوعٌ اذا ما منعه كان احزما
مذلل نفس قد أبت غير أن ترى * مكاره ما تأتى من العيش مغنما

هذا نظير قوله فى كتاب ثعلة وعفرة الذى عارض به كليلة ودمنة : اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذى تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ، مخل بالاختيار ، وليس فى نفع عمدته عوض من فساد المروأة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكما وعلما . وسهل القائل

تقسّمنى هموم قد كسفنا بالى * وقد تركا قلبى محلة بلبالِ
هما اذريا دمعى ولم تذر عبرتى * رهينة خدر ذات سمط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها سوى الذى * على أن تحاكى النور فى رأس ذيال
تحلل منها جرمها وتماسكت * لها نفس معدوم على الزمن الخالى
ولكنما أبكى بعين سخينةٍ * على حدث تبكى له عين أمثالى
فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى
فواحسرتى حتى متى القلب موجع * لنفر خليل أو تعذر افضال

وما الفضل الا أن تجود بنائلٍ * والآ لقاء الخل ذى الخلق العالى

وهو القائل

اذا امرؤ ضاق عنى لم يضق خلقى * من أن يرانى غنيا عنه بالياسِ

لا اطلب المال كى أغنى بفضلتهِ * ما كان مطلبه فقرا من الناس

وأنشد له الجاحظ يهجو رجلا

من كان يعمر ماشادت أوائلهُ * فأنت تعمر ماشادوا وماسمكوا

ما كان فى الحق ان تحوى فعالهمُ * وأنت تحوى من الميراث ماتركوا

وقال محمد بن زياد الزيادى: وجدت على سهل بن هرون فى بعض الامر فهجوته فكتب الىّ: أما بعد فالسلام على عهدك وداعَ ذى ظن بك ، فى غير مقلية لك ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى فى أمرك ، واقرار بالمعجزة فى استعطافك ، الى أوان بينك ، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام. وكتب فى اسفل الكتاب

ان تعف عن عبدك المسىء ففى * عفوك مأوى للفضل والمننِ

أتيت ما أستحق من خطأ * فجد بما تستحق من حسنِ

الحسن البصرى

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى يوم وقد رأى الناس وهيأتهم : ان الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا . فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته

ونظر الى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاحكون ، فقال: الله المستعان ! ان كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تقبل فما هذا محل الشاكرين ، وان علموا أنه لم يقبل فما هـذا محل الخائبين

وكان الحسن من الخطباء النساك الفقهاء الاجواد ، ويقال انه لم يكن تابعى

أفضل منه ، هذا قول أهل العراق جميعا ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب عليه ، وكان سعيد أحسن من الحسن ورعا، وأشد الناس جزعا، واقلهم كلاما .وكان الحسن لايدع ان يتكلم بما هجس فى نفسه ، وجاش فى صدره

التهنئة برمضان

وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول :

(الفاظ لاهل العصر فى التهنئة باقبال شهر رمضان مع ما يتصل بها من الادعية)

ساق الله تعالى اليك سعادة اهلاله ، وعرّفك بركة كماله — قسم الله لك من فضله ، ووفقك لفرضه ونفله — لقّاك الله فيك ماترجود ، ورقاك الى ماتحبه فيما يتلوه. جعل الله ما اظلك من هذا الصوم مقرونا بافضل القبول ، مؤذنا بدرك البغية ونجح المأمول ، ولا اخلاك من بر مرفوع، ودعاء مسموع — قابل الله تعالى بالقبول صيامك وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك — عرفك الله من بركته مايربى على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقك الله تعالى لتحصيل أجر المتهجدين المجتهدين — أسأل الله تعالى ان يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيله بقبوله الى مرضاته عنك — اعاد الله الى مولاى أمثاله ،وتقبل منه أعماله ، واصلح فى الدين والدنيا أحواله ، وبلغه منها آماله — اسعده الله بهذا الشهر ،ووفاه فيه اجزل المثوبة والاجر ، ووفر حظه من كل ما يرتفع من دعاء الداعين ، وينزل من ثواب العاملين ، وقبل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته واعلاها ، وبلغه من الآمال منتهاها ، وظفر بابعدها واقصاها

أخلاق المؤمن

وقال الحسن : من اخلاق المؤمن ، قوة فى دين ، وحزم فى لين ، وحرص على العلم ، وقناعة فى فقر ،ورحمة المجهود ، واعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين ،وكسب فى حلال — وقال محمد بن سليمان لابن السماك بلغنى عنك شىء. قال لا أباليه !قال ولم؟ قال لانه ان كان حقا عرفته ، وان كان باطلا كذبته

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك : خير الاخوان أقلهم سقطة فى النصيحة ، وخير الاعمال احلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار ، واشرف السلطان مالم يخالطه البطر ، واغنى الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا ، وخير الاخوان من لم يخاصم ، وخير الاخلاق اعونها على الورع . وانما يختبر ذل الرجال عند الفاقة والحاجة

وصف رجل ماجد

ووصف بعض البلغاء رجلا فقال : انه بسيط الكف ، رحب الصدر ، موطأ الاكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيث مغوث ، وبحر زخور ، ضحوك السن ، بشير الوجه ، بادى القبول ، غير عبوس ، يستقبلك بطلاقة ، ويحييك ببشر ، ويستدبرك بكرم غيب ، وجميل سر ، تبهجك طلاقته ، ويرضيك بشره ، ضحاك على مائدته ، عبد لضيفانه ، غير ملاحظ لاكيله ، بطين من العقل ، خميص من الجهل ، راجح الحلم ، ثاقب الرأى ، طيب الخلق ، محصن الضريبة ، معطاء غير سائل ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل ملامة ، ان سئل بذل ، وان قال فعل * قال ابو الفتح كشاجم

مزاجك المثنى من العود والصبا * من الريح والصافى الرقيق من الخمرِ
فلو كنت وردا كنت وردا مضاعفا * ولو كنت طِيبا كنت من عنبر البحر
ولو كنت لحنا كنت تأليف معبدٍ * ولو كنت عودا ما افتقرت الى زمر

وصف حسناء

(وقال اعرابى)

ألا حبذا البُرد الذى تلبسينهُ * ويا حبذا من باعك البرد من تَجْرِ (١)
فلو كنت ماءً كنت ماء غمامةٍ * ولو كنت درا كنت من درة بكر
ولو كنت لهوا كنت تعليل ساعةٍ * ولو كنت نوما كنت إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلا كنت قمراء جُنّبت * نحوس ليالى الشهر أو ليلة القدر

(١) التجر بالفتح هو التاجر

غرر المدائح

نبذ من ألفاظ بلغاء أهل العصر تجرى فى المدح مجرى الامثال لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها — فلان مرتضع ثدى المجد ، مفترش حجر الفضل — له صدر تضيق به الدهناء ، وتفزع اليه الدهماء — له فى كل مكرمة غرة الاصباح ، وفى كل فضيلة قادمة الجناح — له صورة تستنطق الافواه بالتسبيح ، ويترقرق فيها ماء الكرم ، وتقرأ فيها صحيفة حسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يموت الفقر بعطائه — له خلق لو مزج به البحر لنفى ملوحته ، وكفى كدورته — هو غذاء الحياة ونسيم العشق . ومادة الفضل — آراؤه سكاكين فى مفاصل الخطوب — له همة تعزل السماك الاعزل ، وتجر ذيلها على المجرة — هو راجح فى موازين العقل ، سابق فى ميادين الفضل ، يفترع أبكار المكارم ، ويرفع منار المحاسن — ينابيع الجود تتفجر من أنامله ، وربيع السماء يضحك من فواضله — هو بيت القصيدة ، وأول الجريدة ، وعين الكتيبة ، وواسطة القلادة ، وانسان الحدقة ، ودرة التاج ، ونقش الفص ، وهو ملح الارض ، ودرع الملة ، ولسان الشريعة ، وحصن الامة ، هو غرة الدهر والزمان ، وناظر الايمان — له أخلاق خلقن من الفضل ، وشيم تشام منها بوارق المجد ، أرج الزمان بفضله ، وعقم النساء عن الاتيان بمثله ، الجميل لديه معتاد ، والفضل منه مبدوء ومعاد ، ماله للعفاة مباح ، وفعاله فى ظلمة الدهر مصباح ، كأن قلمه عين ، وكأن جسمه سمع ، يرى بأول رأيه آخر الامر ، — جوهر من جواهر الشرف ، لا من جواهر الصدف ، وياقوتة من يواقيت الاحرار لا يواقيت الاحجار — طلعته للبشاشة عليها ديباجة خسروانية ، وفيها للعلاقة روضة ربيعية — وجه كأن نشرته نشر البشر ، ومواجهته أمان من الدهر ، يصل ببشره ، قبل أن يصل ببره ، قد لحظت من وجهه الانوار ، ومن بنانه الانوار ، أنا من كرم عشيرته ، وطلاقة أسرته ، فى روضة وغدير ، وجنة وحرير ، وهو بحر العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومه من يوم الادب كعمر سبعة أنسر — العلم حشو ثيابه ، والادب ملء اهابه — هو شخص الادب ماثلا ، ولسان العلم قائلا : شجرة فضل

عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروأة — هم ملح الارض اذا فسدت ، وعمارة الارض اذا خربت ، ومعرض الايام اذا احتشدت ، وهم جمال الايام ، وخواص الانام ، وفرسان الاسلام ، وفلاسفة الكلام — فلان غصن طبعه نضير ، ليس له فى مجده نظير ، قد جمع الحفظ الغزير ، والفهم الصحيح ، والادب القوى القويم ، ومايؤنسه من الوحشة الا الدفاتر ، ولا يصحبه فى الوحدة الا المحابر — فلان يحل دقائق الاشكال ويزيل معترض الاشكال ، له خلق كنسيم الاسحار ، على صفحات الانوار ، كالماء صفا ، والمسك ذكا — اخلاق قد جمعت المروأة اطرافها ، وحرست الحرية أكنافها — اخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتته على مودته ، — اخلاق أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد — اخلاق أحسن من الدر والعقيان ، فى نحور الحسان ، وأذكى من حركات الروح والريحان — فلان يستحط القمر بطرفه ، ويستنزل النجم بلطفه — هو حلو المذاق ، سهل المساغ ، أجمل الناس فى جد ، وأحلاهم فى هزل ، يتصرف مع القلوب ، كتصرف السحاب مع الجنوب ، ذو جد كحلو الجد ، وهزل كحديقة الورد ، له عِشرة ماؤها يقطر ، وصحوها من الغضارة يمطر — هو ريحانة على القدح ، وذريعة على الفرح — عشرته ألطف من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحب — اذا أردت فهو سبحة ناسك ، أو أحببت فهو تفاحة فاتك ، أو اقترحت فهو مدركة راهب ، أو آثرت فهو تحية شارب — أخباره زكية ، وآثاره ذكية — أخباره تأتينا كما وشى بالمسك رياه ، وينم على الصباح محياه ، قد نتشر من طيب اخباره زائداً على المسك الفتيق ، وأوفى على الزهر الأنيق مناقب تشدح فى جبينها غرة الصباح ، وتتهادى انباءها وفود الرياح ، فلان أخباره آثاره ، وعينه قراره ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النشر ، مالا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه ، سألت عن أخباره فكأنى حركت المسك فتيقا أو صبحت الروض أنيقاً ، أخباره متضوعة كتضوع المسك الازفر ، ومشرقة

إشراق الفجر الأنور ، أحببته بخبر قبل الأثر . وبالوصف قبل الكشف ، هو ممن يثقل ميزان وده ، ويخف ميثاق عهده ، كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم الصدر ، حميد الورد فيه والصَدر — هو لاخوانه عدة تشدهم وتقويهم ، ونور يسعى بين أيديهم ، هو ثابت ركن الإخاء ، صافى شِرب الوفاء ، حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء — هو ممن لاتدوم المداهنة فى عرصات قلبه ، ولاتحوم المواربة على جنبات صدره — هو يسرى الى كرم العهد ، فى ضياء الرشد ، عهده نقش فى صخر ووده نسب ملاق من نفر — يقبل من اخوانه العفو ، كما يوليهم الصفو ، فى وده غنى للحالب ، وكفاية للراغب ، ومراد للصحب ، وزاد للركب ، هو فى حبل الوفاء حاطب ، وعلى فرض الاخاء مواظب ، النجح معقود فى نواصى آرائه ، واليمن معتاد فى مذاهب أنحائه — له الرأى الثابت الذى تخفى بطلحة مكايده ، وتظهر عوائده ، والتدبير النافذ الذى الذى تنجع مآربه ، وتنهج قوالبه ، رأى كالسهم أصاب غرة الهدف ، ودهاء كالبحر : فى بعد الغور ، وقرب المغترف ، لا يضع رأيه إلا مواضع الاحالة ولايطرق تدبيره إلا على مواقع السداد والاصالة ، يعرف من مبادىء الاقوال خواتم الافعال ، ومن صدور الامور ، أعجازها فى الصدور ، رؤيته رأى صليب ، وبديهته قدر مصيب ، يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو ثاو لم يسرح — له رأى لايخطىء شاكلة الصواب ، ومحض الرأى اذا أذكى سراج الفكر ، أضاء ظلام الامر — هو قطب صواب تدور به الامور ، ومستنبط صلاح يرد اليه التدبير ، يرى العواقب فى مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله ، وله رأى يرد الخطب مسلماً ، والرمح معلماً ، كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ، ويطالعه بعين السداد والتوفيق ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع الغيوب ، قد سرنا من مشورته فى ضياء ساطع ، ومن رأيه الصائب فى حكم قاطع

انتهى الجزء الثانى

فهرس

صفحة		صفحة	
٣	صفات الطعام	٣٩	أوصاف الرجال
٥	المقامة البغدادية	٤١	شواهد الايمان
٧	وصف القطائف	٤٢	دلالة الحال
٩	ذم ابن الرومى	٤٣	شعر لصيب
١٠	صفات الفواكه والثمار	٤٧	ابن أبى دؤاد
١١	وصف الليل	٤٩	خالد القسرى
١١	خلف الاحمر	٥٠	الأفشين التركى
١٢	قصر الليل	٥٠	المنافقون
١٢	وصف منبج	٥١	كلمات مختارة
١٣	سعيد بن هريم	٥٢	غرائب الأذواق
١٤	ذو الرياستين	٥٤	جدع الحلال أنف الغيرة
١٥	قبح السعاية	٥٤	التهانى بالبنات
١٦	حزم المهدى	٥٥	أوصاف النساء
١٧	بكاء ذى الرياستين	٥٨	غرائب الآمال
١٧	وصف فرس	٥٩	أخبار كثير عزة
١٨	شمس بن مالك	٦٤	كلمات مأثورة
١٨	خيل مصر	٦٥	شمس المعالى
١٩	صفات الخيل	٦٦	رسائل البديع
٢٦	المقامة الحمدانية	٦٨	جعفر بن يحيى
٢٨	تفسيرات لغوية	٧١	شيء من النقد
٢٩	أعجز حر ما وعد	٧٣	شعر الميكالى
٣١	المعرفة بقدر النعمة	٧٦	أوصاف العلماء
٣٣	العجز عن الشكر	٧٨	استعارات فقهية
٣٥	غرام أبى العتاهية	٨٠	رسالة لبديع الزمان
٣٦	نفى أبى العتاهية	٨٢	أبو على بن جعفر البصير

صفحة	
٨٣	كتابه الى عبيد الله بن يحيى
٨٤	نفثة مصدور
٨٥	آداب المسافر
٨٦	مدح السفر
٨٧	ذم السفر والغربة
٨٧	أبو عبيد الله
٨٨	الفضل بن الربيع
٨٨	أبو مسلم
٨٩	شعر كشاجم
٨٩	وصف أجزاء القرآن
٩٠	وصف تخت
٩٠	وصف بركار
٩١	وصف بيكات
٩٢	وصف اسطرلاب
٩٢	أبو اسحاق الصابى
٩٣	وصف الهن
٩٣	أوراك المذارى
٩٥	قلب المعانى
٩٧	ذكر النجوم
١٠٠	الاصمعى وبعض الاعراب
١٠٢	كلام الاعراب
١٠٥	أحزان الثواكل
١٠٨	وصف رجل
١٠٨	بكاء الحمائم
١٠٩	اسماعيل بن صبيح
١٠٩	رقة الحنين
١١٠	دعوة الله
١١٠	ذكرى الحبيب

صفحة	
١١٠	بر المرء بقومه
١١١	مآثم أبى نواس
١١٣	ثوب الرياء
١١٣	عود الى أبى نواس
١١٤	اغتصابه لمعانى الشعراء
١١٥	صبوة بشار
١١٧	غزل بشار
١١٨	رأيه فى شعره
١٢٠	واصل بن عطاء
١٢٠	دين بشار
١٢١	سجعه ورجزه
١٢٢	طرفه ونوادره
١٢٢	كلمات مأثورة
١٢٣	ذم الكذب
١٢٤	حزم الحسن بن سهل
١٢٥	خطب النكاح
١٢٦	الكتاب والقلم
١٣٠	أحمد بن يوسف
١٣٣	ذم المغنين
١٣٤	شعر أحمد بن يوسف
١٣٥	أصدقاء أبى العتاهية
١٣٥	أحمد بن يوسف والمأمون
١٣٦	صفات الثقلاء
١٣٧	جحظة البرمكى
١٣٩	جحظة وخالد الكاتب
١٤٠	لطف الجواب
١٤٠	سكين كشاجم
١٤١	صفات السكاكين

صفحة	
١٤١	الاسترواح بذكر الصديق
١٤٢	شروط المنادمة
١٤٢	بساط السلاف
١٤٤	أيام الشراب
١٤٥	الدعوة الى الراح
١٤٦	الكناية عن الشراب
١٤٧	غرائب الأخلاق
١٤٨	بعد المتاب
١٥٠	فضل الصهباء
١٥٢	مجالس الأنس وآلات اللهو
١٥٣	خمريات أبي نواس
١٥٤	سورة الكأس
١٥٤	ساقى المدام
١٥٤	ذكريات الشباب
١٥٤	رسائل البديع
١٥٥	كرائم النفوس
١٥٦	بين الهمذانى والخوارزمى
١٦١	خطاب البديع الى سهل بن محمد
١٦٣	كتابه إلى أبى سعيد الاسماعيلى
١٦٣	المقامة الفزارية
١٦٤	كلكم لآدم
١٦٥	فرس ابن الزيات
١٦٦	مساوى المزاح
١٦٧	زجر الطير
١٦٨	النهى عن الطيرة
١٦٩	جنازة عزة
١٧٠	الذنب للمطايا
١٧١	تطير ابن الرومى

صفحة	
١٧٢	عتابه لابن عبيد الله
١٧٣	تعازيه فى البنات
١٧٤	خير الاصهار
١٧٤	الرغبة فى موت البنات
١٧٥	ابن الرومي والاخفش
١٧٧	علقمة بن عبدة
١٧٧	طيرة ابن الرومى
١٧٨	خوفه من ركوب البحر
١٨٠	العيافة والزجر
١٨١	أحمد بن المدبر
١٨٢	أبو الفضل الميكالى
١٨٢	عبد الوهاب الثقفى
١٨٣	الجاحظ وابن أبى دؤاد
١٨٣	عقبة بن أبى سفيان
١٨٤	الجاحظ وابن الزيات
١٨٥	كلام على بن أبى طالب
١٨٥	عبد الرحمن بن حسان
١٨٥	محمد بن حازم
١٨٦	ابن الزيات
١٨٦	مرض الجاحظ
١٨٧	المقامة الجاحظية
١٨٨	اردشير بن بابك
١٨٩	بزرجمهر
١٨٩	خير الملوك
١٨٩	بين الميكالى والثعالبى
١٩٠	من الميكالى الى أبيه
١٩١	ومنه الى بعض اخوانه
١٩١	شذور من كلامه

صفحة		صفحة	
١٩٢	نماذج من شعره	٢١١	المتوكل وابن الضحاك
١٩٤	أدب الحاجب	٢١٢	أبو بكر الصولى
١٩٤	مراتب الوافدين على الملوك	٢١٣	محمد بن وكيع
١٩٤	الحسن بن سهل	٢١٤	أبو الفتح البستى
١٩٥	حكمة مأثورة	٢١٥	أبو الفضل الميكالى
١٩٥	سعيد بن عبد الملك	٢١٦	البحترى
١٩٥	وصف فتى ماجد	٢١٧	فى مجلس المبرد
١٩٦	النجاة باسم الحبيب	٢١٧	الهيثم بن عثمان الغنوى
١٩٦	ضوء الاحساب	٢١٨	الطيور فى الربيع
١٩٨	حث الشوق	٢١٩	ابن المعتز
١٩٨	اسحق الموصلى	٢١٩	كشاجم
١٩٩	مخلد بن بكار	٢٢٠	أبو فراس
٢٠٠	جودة الخط	٢٢٠	ابن هانىء
٢٠٠	شكوى وراق	٢٢١	أوصاف الرياض
٢٠٠	شعر الحمدونى	٢٢٢	أيام الربيع
٢٠١	حرفة الادب	٢٢٣	الربيع والرفاق
٢٠٢	فتنة وحرمان	٢٢٣	الصوم فى الربيع
٢٠٢	ابراهيم النظام	٢٢٣	يوم الشك
٢٠٣	أفكار الوراقين	٢٢٤	شهر رمضان
٢٠٣	أمانى الشعراء	٢٢٤	كلمة ابن العميد
٢٠٤	الاضبط بن قريع	٢٢٥	طاهر بن الحسين
٢٠٥	وصف محبرة	٢٢٥	الامين والمأمون
٢٠٦	العلم قبل المال	٢٢٥	الفضل بن الربيع
٢٠٦	آلات الكتابة	٢٢٧	أخذ البيعة للمهدى
٢٠٨	عمال المأمون	٢٢٨	كلمات الفضل بن الربيع
٢٠٩	الورد والنرجس	٢٢٩	المنصور والربيع
٢١١	صفات الانوار والازهار	٢٣٠	سهل بن هارون والرشيد
٢١١	وصف الورد	٢٣٠	شعر الفضل بن الربيع

صفحة		صفحة	
٢٣٠	أبو العيناء وابن خاقان	٢٤٧	كلام الاعراب
٢٣١	طرفة أدبية	٢٤٨	المقامة البلخية
٢٣٣	شاة سعيد بن احمد	٢٤٩	من البديع الى الميكالى
٢٣٤	طيلسان بن حرب	٢٥٠	عتابه له
٢٢٧	الحسن بن رجاء	٢٥١	ابراهيم بن المهدي والمأمون
٢٣٧	أبو العباس المبرد	٢٥٣	معاوية وروح بن زنباع
٢٣٨	وصف رجل ماجد	٢٥٣	بعض خاصة المأمون
٢٣٨	أبو جعفر المنصور	٢٥٣	أحد ملوك الفرس
٢٣٩	محمد بن يوسف	٢٥٤	بهرام جور
٢٣٩	اسماعيل بن محمد	٢٥٥	كتاب البديع الى أبى على اسماعيل
٢٤٠	ابن أبى ربيعة وجميل	٢٥٦	كتابه الى ابن مشكويه
٢٤٠	خليفة ابن أبى ربيعة	٢٥٧	سهل بن هرون
٢٤١	العرجى	٢٥٩	الحسن البصرى
٢٤٢	نثر ابن المعتز	٢٦٠	التهنئة برمضان
٢٤٤	قس ابن ساعدة	٢٦٠	أخلاق المؤمن
٢٤٤	الحارث بن حلزة	٢٦١	وصف رجل ماجد
٢٤٤	زيد بن ثابت	٢٦١	وصف حسناء
٢٤٤	ابن العميد	٢٦٢	غرر المدائح
٢٤٦	أجمل ماقيل فى العتاب		

الغلطات المطبعية

صحح هذا الجزء بغاية العناية ، وقد وقعت فيه مع هذا غلطات مطبعية طفيفة لا تفوت القارئ ولا يتغير بها المعنى المراد . ووقع كذلك غلط قليل فى بعض الكلمات المضبوطة : ولولا ندرة الاغلاط لوضعناها فى فهرس خاص

مؤلفات

الدكتور زكي مبارك

١
البدائع

٢
حب ابن أبي ربيعة وشعره

٣
الاخلاق عند الغزالى

٤

مدامع العشاق

٥

أثر الشعر في ربط الشعوب

زهر الآداب

جاء فى جريدة الاتحاد الغراء بمناسبة ظهور الجزء الاول من هذا الكتاب ما يأتى :

ندع الجانب العلمى من الدكتور زكى مبارك للعلماء : ينفسون عليه علمه ويدفعهم عن نفسه ، ويمكرون به ويمكر بهم ، وان كنا نحس أنه خير منهم مكراً، وأعز جانباً ، ثم نقف عند الجانب الادبى منه معجبين، مغتبطين

الدكتور زكى مبارك ليس من ذوى الاسنان ، بل هو شاب، ولكنه من خيرة الشبان ذكاء، ومن أعظمهم نشاطاً وتوفيقاً. ولا غرو فقد نشأ فى حضانة الاستاذين الدكتور طه حسين والدكتور منصور فهمى

وما كنا لنعرض للدكتور زكى مبارك بثناء لولا انه رشانا بعمله الجليل فى كتاب « زهر الآداب للحصرى » فملت هذه الرشوة عقدة اللسان بهذه الكلمة الوجيزة

كتاب « زهر الآداب وثمر الالباب » للحصرى كتاب لا يقال فى مدحه أقل من انه قد وضع ليلائم الذوق العربي فى أى مكان ، وفى جميع الازمنة فهو كتاب قديم جديد، تليد طريف، يتمشى مع الادب العربي مهما كرت الايام ودرجت العصور

ولقد كان الادباء ينقبون عنه تنقيباً فى الطبعة الموجودة على هامش العقد الفريد ، وكانوا يعانون من رداءة الطبع، وكثرة الاغلاط، وكثرة تحريف الكلم عن مواضعه فى هذه الطبعة الألم الكثير ، فحملت الحمية الادبية الدكتور زكى مبارك على أن يغضب لنفسه ولاخوانه الادباء، فقام بطبع هذا الكتاب على ورق صقيل طبعاً متقناً، راعى فيه الدقة ، وزينه بضبط الالفاظ الغريبة وشرحها ، وبوبه تبويباً جميلا ، مع الاحتفاظ بنسقه الاصلى ، نزولا على ارادة مؤلفه، ومرضاة لاستاذه الدكتور طه حسين

وقد ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب. فنهنئ الادباء به، ونرجو لمخرجه التوفيق وحسن المثوبة